الباب الأول في ثواب الموعظة و النصيحة

الباب الثاني في الزهد في الدنيا

الباب الثالث في ذم الدنيا

الباب الرابع في ترك الدنيا

الباب الخامس في التخويف و الترهيب

الباب السادس في التحذير بالعقوبة في الدنيا

الباب السابع في قصر الأمل

الباب الثامن في قصر الأعمار و سرعة انقضائها و ترك الاعتزاز بها

الباب التاسع في المرض و مصلحته

الباب العاشر في ثواب عيادة المريض

الباب الحادي عشر في التوبة و شروطها

الباب الثاني عشر في ذكر الموت و مواعظه

الباب الثالث عشر في المبادرة في العمل

الباب الرابع عشر في حال المؤمن عند موته

الباب الخامس عشر في الموعظة

الباب السادس عشر في أشراط الساعة و أهوالها

الباب السابع عشر في عقاب الزناء و الربا

الباب الثامن عشر وصايا و حكم بليغة

الباب التاسع عشر في قراءة القرآن المجيد

الباب العشرون في خطبة بليغة

الباب الحادي و العشرون في الذكر و المحافظة عليه

الباب الثاني و العشرون في فضل صلاة الليل

الباب الثالث و العشرون في البكاء من خشية الله تعالى

الباب الرابع و العشرون في الجهاد في سبيل الله

الباب الخامس و العشرون في مدح الخمول و الاعتزال

الباب السادس و العشرون في الورع و الترغيب منه

الباب السابع و العشرون في الصمت

الباب الثامن و العشرون في الخوف من الله تعالى

الباب التاسع و العشرون في الرجاء لله تعالى

الباب الثلاثون في الحياء من الله تعالى

الباب الحادي و الثلاثون في الحزن و فضله

الباب الثاني و الثلاثون في الخشوع لله سبحانه و التذلل له تعالى

الباب الثالث و الثلاثون في ذم الغيبة و النميمة و عقابها و حسن كظم الغيظ

الباب الرابع و الثلاثون في القناعة و مصلحتها

الباب الخامس و الثلاثون في التوكل على الله

الباب السادس و الثلاثون في شكر الله تعالى

الباب السابع و الثلاثون في اليقين

الباب الثامن و الثلاثون في الصبر

الباب التاسع و الثلاثون في المراقبة لله تعالى

الباب الأربعون في ذم الحسد

الباب الحادي و الأربعون في الفراسة بنور الله تعالى

الباب الثاني و الأربعون في حسن الخلق و ثوابه

الباب الثالث و الأربعون في السخاء و الجود

الباب الرابع و الأربعون في سؤال أبي ذر ره

الباب الخامس و الأربعون في ولاية الله تعالى

الباب السادس و الأربعون من كلام أمير المؤمنين و الأئمة ع

الباب السابع و الأربعون في الدعاء و بركته و فضله

الباب الثامن و الأربعون في فضيلة الفقر و حسن عاقبته

الباب التاسع و الأربعون في الأدب مع الله تعالى

الباب الخمسون في توحيد الله تعالى

الباب الحادي و الخمسون في أخبار عن النبي (ص) و الأئمة الأطهار

الباب الثاني و الخمسون في أحاديث منتخبة

الباب الثالث و الخمسون في العقل و أن به النجاة

الباب الرابع و الخمسون فيما سأل رسول الله (ص) ربه ليلة المعراج

ارشاد القلوب

تأليف

الشيخ أبي محمد الحسن بن محمد الديلمي

[3]

الجزء الأول في الحكم و المواعظ

[5]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين و صلى الله على محمد خاتم النبيين و على آله الطاهرين أما بعد فإنه لما استولى سلطان الشهوة و الغضب على الآدميين و محبة كل منهم لنفسه و اشتغاله عن آخرته و رمسه عملت هذا الكتاب و سميته بإرشاد القلوب إلى الصواب المنجي من عمل به أليم العقاب. اعلموا رحمكم الله تعالى أن الله لم يخلق العالم عبثا فتركه سدى بل جعل لهم عقولا دلهم بها على معرفته و أبان لهم بها شواهد قدرته و دلائل وحدانيته و أعطاهم قوى مكنهم بها من طاعته و الانتهاء عن معصيته لئلا تجب لهم الحجة فأرسل إليهم أنبياء و ختمهم بسيد المرسلين محمد بن عبد الله الصادق الأمين صلوات الله و سلامه عليه و آله و عليهم أجمعين و أنزل عليهم كتبه بالوعد و الوعيد و الترهيب و أنذر و زجر فأعذر فقال جل من قائل رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ و قال سبحانه وَ لَوْ أَنّا أَهْلَكْناهُمْ بِعَذابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقالُوا رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزى و قال سبحانه وَ ما كُنّا مُعَذِّبِينَ حَتّى نَبْعَثَ رَسُولًا و قال يا أَيُّهَا النّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ و قال سبحانه وَ يُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ و قال وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ ما فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ و قال سبحانه وَ اتَّقُوا اللّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ و قال وَ اتَّقُونِ يا أُولِي الْأَلْبابِ و قال

[6]

تعالى وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ و قال تعالى وَ اتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَ لا يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ وَ لا تَنْفَعُها شَفاعَةٌ و قال سبحانه يا أَيُّهَا النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَ اخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَ لا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ والِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَ لا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّهِ الْغَرُورُ و قال سبحانه يا أَيُّهَا النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ و قال سبحانه يا أَيُّهَا النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً وَ نِساءً و قال عز و جل يا عِبادِ فَاتَّقُونِ و قال سبحانه فَاتَّقُوا النّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجارَةُ و قال جل من قائل اقْتَرَبَ لِلنّاسِ حِسابُهُمْ وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلّا اسْتَمَعُوهُ وَ هُمْ يَلْعَبُونَ و قال سبحانه يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ وَ مَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ و قال جل و عز من قائل يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجارَةُ عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللّهَ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ و قال يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ و قال وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ و قال يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ و قال أَ لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّهِ وَ ما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ و قال أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ و قال أَيَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى و قال أَ فَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا بَياتاً وَ هُمْ نائِمُونَ أَ وَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا ضُحًى وَ هُمْ يَلْعَبُونَ و قال فَأَمّا مَنْ

طَغى وَ آثَرَ الْحَياةَ الدُّنْيا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوى وَ أَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى و قال أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَ جاءَكُمُ النَّذِيرُ و قال وَ أَنِيبُوا إِلى رَبِّكُمْ وَ أَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ و قال تُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ و قال يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً و قال

[7]

أَ فَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَهُ وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ثم خوفهم الله سبحانه و تعالى أحوال القيامة و زلزالها و عظيم أخطارها و سما لهم بعظيم الأسماء و كبير البلاء و طول العناء ليحذروها و يعتدوا لها بعظيم الزاد و حسن الإزدياد سماها الواقعة و الراجفة و الطامة و الصاخة و الحاقة و الساعة و يوم النشور و يوم الحسرة و يوم الندامة و يوم المسألة و يوم الندم و يوم الفصل و يوم الحق و يوم الحساب و يوم المحاسبة و يوم التلاق و يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم و قال وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلّا مَنْ شاءَ اللّهُ وَ كُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ و قال كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ ما يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلّا ساعَةً مِنْ نَهارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفاسِقُونَ و قال وَ اسْتَمِعْ يَوْمَ يُنادِ الْمُنادِ مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ و قال يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً وَ تَسِيرُ الْجِبالُ سَيْراً فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ و قال يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ وَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ و قال يَوْمَ تَكُونُ السَّماءُ كَالْمُهْلِ وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ وَ لا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَ صاحِبَتِهِ وَ أَخِيهِ وَ فَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ و قال يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ وَ كانَتِ الْجِبالُ كَثِيباً مَهِيلًا و قال فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا و قال إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ و قال إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَ أَخَّرَ و قال هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ و قال هذا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْناكُمْ وَ الْأَوَّلِينَ فَإِنْ كانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ و قال إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كانَ مِيقاتاً يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً وَ فُتِحَتِ السَّماءُ فَكانَتْ أَبْواباً وَ سُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً لِلطّاغِينَ مَآباً لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْداً وَ لا شَراباً إِلّا حَمِيماً وَ غَسّاقاً يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَ قالَ صَواباً ذلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ مَآباً إِنّا أَنْذَرْناكُمْ

[8]

عَذاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ ما قَدَّمَتْ يَداهُ وَ يَقُولُ الْكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً و قال يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ واجِفَةٌ أَبْصارُها خاشِعَةٌ و قال يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ ما سَعى وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرى و قال يَوْمَ يَكُونُ النّاسُ كَالْفَراشِ الْمَبْثُوثِ وَ تَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ فَأَمّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ وَ أَمّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ وَ ما أَدْراكَ ما هِيَهْ نارٌ حامِيَةٌ و قال يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ و قال وَ وُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمّا فِيهِ وَ يَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا ما لِهذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلّا أَحْصاها و كرر سبحانه و تعالى ذكرها في مواضع كثيرة و لم تخل سورة من القرآن إلا و ذكرها فيها ليكون ذلك أبلغ في تخويف الناس و أوكد في وجوب الحجة عليهم و تبصرة لهم و شفقة عليهم و إنذارا و إعذارا إليهم و موعظة لهم فتدبروها و فرغوا قلوبكم لها و لا تكونوا من الغافلين فإن الله تعالى يقول أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها فانتبه بالتدبر و التفكر و التبصر و الاعتبار فإن النبي (ص) قال أتتكم الفتن كقطع الليل المظلم قالوا يا رسول الله فبم النجاة قال عليكم بالقرآن فإنه من جعله أمامه قاده إلى الجنة و من جعله خلفه قاده إلى النار و هو أوضح دليل إلى خير سبيل من قال به صدق و من

حكم به عدل و من أخذ به أجر و من عمل به وفق و قال أمير المؤمنين (ع) مادحا للمؤمن العامل به قد ألزم الكتاب زمامه أمامه فهو قائده و دليله يحل حيث حل ثقله و ينزل حيث كان منزله و لا يدع للخير غاية إلا أمها و لا منزلة إلا قصدها و قال (ع) القرآن ظاهره أنيق و باطنه عميق لا تفنى عجائبه و لا تنقضي غرائبه و لا تكشف الظلمات إلا به فتفكروا و انزجروا بقوله تعالى وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْ آزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَناجِرِ كاظِمِينَ ما لِلظّالِمِينَ مِنْ حَمِيم وَ لا شَفِيع يُطاعُ و قال سبحانه وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ هُمْ فِي غَفْلَة وَ هُمْ لا يُؤْمِنُونَ و قال أَزِفَتِ الْ آزِفَةُ لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللّهِ كاشِفَةٌ و قال وَ أَنْذِرِ النّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ

[9]

ظَلَمُوا رَبَّنا أَخِّرْنا إِلى أَجَل قَرِيب نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَ نَتَّبِعِ الرُّسُلَ فأجابهم أَ وَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ ما لَكُمْ مِنْ زَوال وَ سَكَنْتُمْ فِي مَساكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنا بِهِمْ وَ ضَرَبْنا لَكُمُ الْأَمْثالَ و قال تعالى أَ لا يَظُنُّ أُولئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْم عَظِيم يَوْمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْس ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْر مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوء تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَ يُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ و قال يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَة عَمّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْل حَمْلَها وَ تَرَى النّاسَ سُكارى وَ ما هُمْ بِسُكارى وَ لكِنَّ عَذابَ اللّهِ شَدِيدٌ و قال يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا فاحذروا عباد الله يوم تشيب فيه رءوس الصغار و تسكر الكبار و تضع الجبال و قال سبحانه يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ و قال يَوْمَئِذ يَصْدُرُ النّاسُ أَشْتاتاً لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّة خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّة شَرًّا يَرَهُ و قال يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ و قال يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ وَ صاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئ مِنْهُمْ يَوْمَئِذ شَأْنٌ يُغْنِيهِ و قال يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْس تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها وَ تُوَفّى كُلُّ نَفْس ما عَمِلَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ و قال يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ ما قَدَّمَتْ يَداهُ وَ يَقُولُ الْكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً و قال يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدّارِ قال وَ جِيءَ يَوْمَئِذ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ وَ أَنّى لَهُ الذِّكْرى يَقُولُ يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَياتِي فَيَوْمَئِذ لا يُعَذِّبُ عَذابَهُ أَحَدٌ وَ لا يُوثِقُ وَثاقَهُ أَحَدٌ و قال يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّماواتُ وَ بَرَزُوا لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ و قال يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ وَ تَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً وَ عُرِضُوا عَلى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونا كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّة بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً وَ تَرَكْتُمْ ما خَوَّلْناكُمْ وَراءَ ظُهُورِكُمْ وَ ما نَرى مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَ ضَلَّ عَنْكُمْ ما كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ و قال يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ و قال يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ و قال وَ يَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً

[10]

و قال وَ نَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَ إِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّة مِنْ خَرْدَل أَتَيْنا بِها وَ كَفى بِنا حاسِبِينَ و قال يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّة مِنْ خَرْدَل فَتَكُنْ فِي صَخْرَة أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللّهُ إِنَّ اللّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ و أكده بالقسم بنفسه فقال فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمّا كانُوا يَعْمَلُونَ و قال فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْم وَ ما كُنّا غائِبِينَ و قال وَ نَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَ آثارَهُمْ وَ كُلَّ شَيْء أَحْصَيْناهُ فِي إِمام مُبِين و قال يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا أَحْصاهُ اللّهُ وَ نَسُوهُ وَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْء شَهِيدٌ و قال يَوْمَ يَعَضُّ الظّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ثم إن الله سبحانه لم يؤيس من أساء إلى نفسه و ظلمها من رحمته و وعده قبول التوبة و المحبة عليها إذا تاب و أناب فقال سبحانه وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَحِيماً و قال كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَة ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ و قال وَ الَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللّهُ وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ و قال وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ

وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوّاباً رَحِيماً و دعاهم سبحانه بألطف الكلام و أرجاه و أقربه إلى قلوبهم تلطفا منه و رحمة و ترغيبا فقال سبحانه قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ و قال إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ و قال وَ سارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ و قال ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ فوعدهم بالإجابة و مدحهم سبحانه في كتابه العاملين بالطاعات المسارعين إلى الخيرات ليرغب العباد في عملها كما رهب في فعل السيئات ليتناهى الناس عنها فقال سبحانه وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللّهَ بالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً و قال وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً و قال وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ

[11]

سَيِّئاتِهِ وَ يُعْظِمْ لَهُ أَجْراً و قال الَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ فِي الْ آخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللّهِ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ و قال قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ و قال يا عِبادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَ لا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِ آياتِنا وَ كانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَ أَزْواجُكُمْ تُحْبَرُونَ و قال وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيد هذا ما تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوّابٍ حَفِيظٍ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ وَ جاءَ بِقَلْب مُنِيب فلم يقنط أحدا من فضله و رحمته و بسط العفو و الرحمة و وعد و توعد ليكون العبد مترجحا بين الخوف و الرجاء كما روي أنه لو وزن خوف العبد و رجاؤه لم يرجح أحدهما على الآخر و إذا أعظم الخوف كان أدعى إلى السلام فإنه روي أن الله تعالى أنزل في بعض كتبه و عزتي و جلالي لا أجمع لعبدي المؤمن بين خوفين و أمنين إذا خافني في الدنيا أمنته في الآخرة و إذا أمنني أخفته يوم القيامة و الدليل على ذلك من القرآن المجيد كثير منه قوله تعالى لِمَنْ خافَ مَقامِي وَ خافَ وَعِيدِ و قوله وَ أَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى و قوله تعالى وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ و قوله تعالى إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ و قوله تعالى وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْض يَتَساءَلُونَ يعني خائفين فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْنا وَ وَقانا عَذابَ السَّمُومِ و قوله تعالى قالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ يعني مدحهم بذلك و قال سبحانه وَ يَدْعُونَنا رَغَباً وَ رَهَباً و قال سبحانه عن هابيل يروي قوله إِنِّي أَخافُ اللّهَ رَبَّ الْعالَمِينَ و قال وَ اتَّقُونِ يا أُولِي الْأَلْبابِ. و الآيات في ذلك كثيرة يعتبر بها و يتفكر فيها من أسعده الله تعالى بالتذكرة و أيقظه بالتبصرة و لم يخلد إلى الأماني بالكلام به فإن قوما غرتهم أماني المغفرة و العفو خرجوا من الدنيا بغير زاد مبلغ و لا عمل نافع فخسرت تجارتهم و بارت صفقتهم و بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فنسأل من الله توفقا و تسديدا يوفقنا من الغفلة و يرشدنا إلى طريق الهدى و الرشاد.

[12]

يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه و رضوانه أبو محمد الحسن بن أبي الحسن محمد الديلمي جامع هذه الآيات من الذكر الحكيم إنما بدأت بالموعظة من كتاب الله تعالى لأنه أحسن الذكر و أبلغ الموعظة و تابعته إن شاء الله بكلام عن سيدنا و مولانا رسول الله (ص) المؤيد بالوحي المسدد بالعصمة الجامع من الإيجاز و البلاغة ما لم يبلغه أحد من العالمين فقد قال (ص) أوتيت جوامع الكلم و لقد صدق رسول الله (ص) فإنه إذا فكر العبد في قوله أكثروا من ذكر هادم اللذات علم أنه قد أتي بهذه اللفظة على جوامع العظة و بلاغة التذكرة دل على ذلك قول الله تعالى في امتنانه على إبراهيم و ذريته (ع) إِنّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةِ ذِكْرَى الدّارِ و في قوله (ع) و إياك و ما تعتذر فقد دخل في هذه اللفظة جميع آداب الدنيا و في قوله (ص) دع ما يريبك إلى ما لا يريبك زجر نفسه عن كل الشبهات و قوله الأمور ثلاثة أمر استبان رشده فاتبعوه و أمر استبان غيه فاجتنبوه و أمر اشتبه عليكم فردوه إلى الله و في قوله إياك و ما يسوء الأدب فقد استوفى بذلك كل مكروه و مذموم و في أحاديثه من المواعظ و الزواجر ما هو أبلغ من كل كلام مخلوق و أنا أذكر من ذلك إن شاء الله ما تيسر إيراده بحذف الأسانيد لشهرتها في كتب أسانيدها و أتبع بكلام أهل بيته (ع) و من تابعهم من الصالحين.

قال أنس بن مالك جاء رجل إلى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله أشكو إليك قسوة قلبي فقال اطلع على القبور و اعتبر بيوم النشور .

و قال (ص) عودوا المرضى و اتبعوا الجنائز يذكركم الآخرة .

و قد حث الله تعالى في الموعظة و ندب إليها رسول الله بها فقال ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ و قال تعالى وَ عِظْهُمْ وَ قُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغاً و قال وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ و قال وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيّامِ اللّهِ يعني يوم القيامة و يوم الموت و يوم مسائلة القبر و يوم النشور و مسائله و سلامة هذه الأيام سأل الله تعالى عيسى (ع) بقوله وَ السَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا و إن كان

[13]

قوله يوم ولدت فيه فقد سئل أنواع الشكر على سلامته منه يدل على شدة المشقة قال مصنف هذا الكتاب ره و رتبت هذا الكتاب على خمسة و خمسين بابا.

الباب الأول في ثواب الموعظة و النصيحة

بها قال النبي (ص) ما أهدى المسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة تزيده هدى أو ترده عن ردة و قال نعم العطية و نعم الهدية الموعظة و أوحى الله تعالى إلى موسى تعلم الخير و علمه من لا يعلمه فإني منور لمعلمي الخير و متعلميه قبورهم حتى لا يستوحشوا بمكانهم و روي أنه ذكر عند النبي (ص) رجلان كان أحدهما يصلي المكتوبة و يجلس فيعلم الناس الخير و كان الآخر يصوم النهار و يقوم الليل فقال (ص) فضل الأول على الثاني كفضلي على الأنام و قد أثنى الله تعالى على إسماعيل بقوله إِنَّهُ كانَ صادِقَ الْوَعْدِ وَ كانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَ كانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ وَ كانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا و قال (ع) ما تصدق مؤمن بصدقة أحب إلى الله من موعظة يعظ بها قوما يتفرقون و قد نفعهم الله بها و هي أفضل من عبادة سنة فاستمع أيها العاقل إلى الموعظة و لا تضرب عن الذكر صفحا و غالب هواك و جاهد نفسك و فرغ قلبك فإنما جعل لك السعي لتعي به الحكمة و البصر لتعتبر ما ترى من خلق السماوات و الأرض و ما بينهما من الخلق و اللسان لتشكر به نعم الله و قديم ذكره به و حمده

و تلاوة كتابه و القلب لتفكر به فاجعل شغلك في آخرتك و ما تصير إليه و اصرف همتك فإن نصيبك من الدنيا يأتي من غير فكر و لا حركة فقد قال أمير المؤمنين (ع) و قد سبق إلى جنات عدن أقوام كانوا أكثر الناس صلاة و صياما فإذا وصلوا إلى الباب ردوهم عن الدخول فقيل بما ذا ردوا أ لم يكونوا في دار الدنيا قد صلوا و صاموا و حجوا فإذا بالنداء من قبل الملك الأعلى جل و علا بلى قد كانوا ليس لأحد أكثر منهم صياما و لا صلاة و لا حجا و لا اعتمارا و لكنهم غفلوا عن الله مواعظه

[14]

و عن سالم عن أبيه قال قال رسول الله (ص) أحب المؤمنين إلى الله تعالى من نصب نفسه في طاعة الله و نصح لأمة نبيه و تفكر في عيوبه و أصلحها و علم فعمل و علم و عن أنس قال قال رسول الله (ص) أ لا أخبركم بأجواد قالوا بلى يا رسول الله فقال أجود الأجواد الله و أنا أجود بني آدم و أجودهم بعدي رجل علم بعدي علما فنشره و يبعث يوم القيامة أمة واحدة و رجل جاد بنفسه في سبيل الله حتى قتل و عنه (ع) قال من علم علما فله أجر من عمل به إلى يوم القيامة و قال رسول الله (ص) إذا مات الرجل انقطع

عمله إلا من ثلاثة صدقة جارية و علم ينتفع به و ولد صالح يدعو له و قال عيسى (ع) من علم و عمل عد في الملكوت عظيما و روي أنه يؤتى بالرجل فيوضع عمله في الميزان ثم يؤتى بشيء مثل الغمام فيوضع فيه ثم يقال أ تدري ما هذا فيقول لا فيقال هذا العلم الذي علمته الناس فعملوا به من بعدك قال النبي (ص) الدنيا ملعونة و ملعون من فيها إلا عالما أو متعلما أو ذاكرا الله تعالى و روي في قوله تعالى إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إنه كان يعلم الخير و قيل الموعظة حرز من الخطإ و أمنا من الأذى و جلاء للقلوب من الصدأ و قال أمير المؤمنين (ع) الزاهدون في الدنيا قوم وعظوا فاتعظوا و خوفوا فحذروا و علموا فعملوا إن أصابهم يسر شكروا و إن أصابهم عسر صبروا قالوا يا وصي رسول الله لا نأمر بالمعروف حق نعمل به كله و لا ننهى عن المنكر حتى ننتهي عنه كله فقال لا بل مروا بالمعروف و إن لم تعملوا به كله و انهوا عن المنكر و إن لم تنتهوا عنه كله و قال أشد الناس عذابا يوم القيامة من علم علما فلم ينتفع به و قال تعلموا ما شئتم أن تعلموا فإنكم لن تنتفعوا به حتى تعملوا به و إن العلماء همتهم الرعاية و إن السفهاء همتهم الرواية و قال (ص) إن الله أوحى إلى بعض أنبيائه في بعض وحيه قل للذين

[15]

يتفقهون لغير الدين و يتعلموا لغير العمل و يطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الضأن و قلوبهم قلوب الذئاب و ألسنتهم أحلى من العسل و أعمالهم أمر من الصبر إياي يخادعون و بي يغترون و بديني يستهزءون لا يحسن لهم فتنة تدع الحكيم منكم حيران و قال (ع) مثل من يعلم و لا يعمل كمثل السراج يضيء لغيره و يحرق نفسه و العالم هو الهارب من الدنيا لا الراغب فيها لأن علمه دل على أنه سم قاتل فحمله عن الهرب من الهلكة فإذا التقم السم عرف الناس أنه كاذب فيما يقول و قال النبي (ص) إن لله تعالى خواصا من خلقه يسكنهم الرفيع الأعلى من جناته لأنهم كانوا أعقل أهل الدنيا قيل يا رسول الله كيف كانوا أعقل أهل الدنيا قال كانت همتهم المسارعة إلى ربهم فيما يرضيه فهانت الدنيا عليهم و لم يرغبوا في فضولها صبروا قليلا فاستراحوا طويلا و قال (ص) لكل شيء معدن و معدن التقوى قلوب العارفين و قال لا تزل قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس خصال عن عمره فيما أفناه و عن شبابه فيما أبلاه و عن ماله من أين اكتسبه و فيما أنفقه و عن علمه ما ذا عمل فيما علم

و قال أمير المؤمنين إنما زهد الناس في طلب العلم لما يرون من قلة انتفاع من علم بلا عمل

و قال النبي (ص) علم لا ينتفع به ككنز لا ينفق منه و قال (ع) العلم علمان علم باللسان و هو الحجة على صاحبه و علم بالقلب و هو النافع لمن عمل به و ليس الإيمان بالثمن و لكنه ما ثبتت في القلب و عملت به الجوارح و كان نقش خاتم الحسين بن علي (ع) علمت فاعمل و قال بعضهم أول العلم الإنصات ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره و قيل في قوله تعالى فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ قال تركوا العمل به و النشر له و قال (ص) مثل ما بعثت به من الهدى و الرحمة كمثل غيث أصاب الأرض

[16]

فمنها ما أنبت العشب و الكلأ و كانت منها أخاديد حقنت الماء فانتفع به الناس فشربوا و سقوا زرعهم و أرض أخرى سبخة لم تمسك الماء و لم تنبت الزرع كذلك قلوب العالمين العاملين و قلوب العالمين التاركين و قال رسول الله (ص) لا يكون الرجل مسلما حتى يسلم الناس من يده و لسانه و لا يكون مؤمنا حتى يأمن أخوه بوائقه و جاره بوادره و لا يكون عالما حتى يكون عاملا بما علم و لا يكون عابدا حتى يكون ورعا و لا يكون ورعا حتى يكون زاهدا فيما في أيدي الناس يا أخي أطل الصمت و أكثر الفكر و اعمل بالموعظة و أقل الضحك و اندم على خطيئتك تكن عند الله وجيها مقبولا و قال (ص) رأيت ليلة أسري بي إلى السماء قوما يقرض شفاههم بالمقاريض من نار ثم يرمى بها فقلت يا جبرئيل من هؤلاء فقال خطباء أمتك يأمرون الناس بالبر و ينسون أنفسهم و هم يتلون

الكتاب فلا يعقلون و قال بعضهم العالم طبيب الأمة و الدنيا الداء فإذا رأيت الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاتهمه في علمه و اعلم أنه الذي لا يوثق به فيما يقول و قال رسول الله (ص) لا تطلبوا العلم لتباهوا به العلماء و لا لتماروا به السفهاء و لا لتراءوا به في المجالس و لا لتصرفوا وجوه الناس إليكم للتراؤس فمن فعل ذلك كان في النار و كان علمه حجة عليه يوم القيامة و لكن تعلموه و علموه.

الباب الثاني في الزهد في الدنيا

قال الله تعالى يا أَيُّهَا النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَ اخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَ لا مَوْلُودٌ هُوَ جاز عَنْ والِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَ لا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّهِ الْغَرُورُ و قال سبحانه يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ و قال تعالى وَ فَرِحُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا فِي الْ آخِرَةِ إِلّا مَتاعٌ يعني جيفة و قال تعالى إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا وَ رَضُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا وَ اطْمَأَنُّوا بِها وَ الَّذِينَ هُمْ

[17]

عَنْ آياتِنا غافِلُونَ أُولئِكَ مَأْواهُمُ النّارُ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ و قال تعالى إِنَّما مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماء أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ مِمّا يَأْكُلُ النّاسُ وَ الْأَنْعامُ حَتّى إِذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها وَ ازَّيَّنَتْ وَ ظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها أَتاها أَمْرُنا لَيْلًا أَوْ نَهاراً فَجَعَلْناها حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْ آياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ و قال تعالى مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً وَ مَنْ أَرادَ الْ آخِرَةَ وَ سَعى لَها سَعْيَها وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً و قال تعالى مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَ هُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْ آخِرَةِ إِلَّا النّارُ وَ حَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ و قال سبحانه مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْ آخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَ مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَ ما لَهُ فِي الْ آخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ و قال تعالى ذاما لقوم كَلّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ وَ تَذَرُونَ الْ آخِرَةَ و قال تعالى إِنَّ هؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ وَ يَذَرُونَ وَراءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلًا و قال سبحانه وَ ما أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ زِينَتُها وَ ما عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقى و قال تعالى وَ ما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا إِلّا لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدّارَ الْ آخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ و قال تعالى اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً وَ فِي الْ آخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللّهِ وَ رِضْوانٌ وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلّا مَتاعُ الْغُرُورِ و قال تعالى لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ مَتاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمِهادُ لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللّهِ وَ ما عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ و قال سبحانه وَ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقى و قال تعالى قُلْ مَتاعُ الدُّنْيا قَلِيلٌ وَ الْ آخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقى وَ لا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا و قال النبي (ص) لأبي ذر كن في الدنيا كأنك غريب و اعدد نفسك من

[18]

الموتى فإذا أصبحت لا تحدث نفسك بالمساء و إذا أمسيت لا تحدث نفسك بالصباح و خذ من صحتك لسقمك و من شبابك لهرمك و من حياتك لوفاتك لا تدري ما اسمك غدا و قال (ص) أكثروا من ذكر هادم اللذات فإنكم إن كنتم في ضيق و سعة عليكم فرضيتم به فأثبتم و إن كنتم في غنى نغصه إليكم فجدتم به فأجرتم فإن أحدكم إذا مات فقد قامت قيامته يرى ما له من خير أو شر إن الليالي قاطعات الآجال و الأيام مدنية الآجال و إن المرأ عند خروج نفسه و حلول رمسه يرى جزاء ما أسلف و قلة غناء ما خلف و لعله من باطل جمعه أو من حق منعه و قال سعد لسلمان في مرضه كيف تجد نفسك فبكى فقال ما يبكيك فقال و الله ما أبكي حزنا على الدنيا و لكن بكائي لأن رسول الله (ص) قال ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب فأخاف أن أكون قد تجاوزت ذلك و ليس حوله في بيته غير مطهرة و إجانة و قال ثوبان يا رسول الله ما يكفيني من الدنيا فقال ما سد جوعتك و وارى عورتك و إن كانت لك فبخ بخ و أنت مسئول عما بعد ذلك و قال تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم فإنه غير نصيبه المكتوب له و من كانت الآخرة همته جمع الله له أمره و جعل غناه في قلبه و أتته الدنيا راغمة و قال موسى بن جعفر (ع) أهينوا الدنيا فإنه أهنى ما يكون عليكم فإنه ما

أهان قوم الدنيا إلا هنأهم الله العيش و ما أعزها قوم إلا ذلوا و تعبوا و كانت عاقبتهم الندامة و قال (ص) لأبي ذر يا أبا ذر إن الدنيا سجن المؤمن و القبر أمنه و الجنة مأواه و إن الدنيا جنة الكافر و القبر عذابه و النار مثواه و قال الزاهد في الدنيا يريح قلبه و بدنه و قال المؤمن يتزود و الكافر يتمتع يا ابن آدم عف عن محارم الله تكن عابدا و ارض بما قسم الله لك تكن غنيا و أحسن جار لمن جاورك تكن مسلما و صاحب الناس بما تحب أن يصحبوك تكن منصفا إنه قد كان قبلكم قوم جمعوا كثيرا و بنوا مشيدا و أملوا بعيدا جمعهم بورا و مساكنهم قبورا يا ابن آدم إنك مرتهن بعملك متعرض على ربك فجد بما في يديك و طأ الأرض بما في

[19]

قدمك فإنها عن قليل مسكنك لم تنزل في هدم عمرك منذ سقطت على الأرض من بطن أمك و قال من استغنى بالله أحوج الله الناس إليه و قال أمير المؤمنين (ع) الدنيا منتهى بصر الأعمى لا يبصر بما وراءها بشيء و البصير ينفذها بصره و يعلم أن البوار وراءها فالبصير منها شاخص و الأعمى إليها شاخص و البصير منها يتزود و قال الزاهد قصر الأمل و الشكر على النعم و الورع عن المحارم فإن عزب ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم و لا تنسوا عند النعم شكركم فإن الله تعالى قد أعذر عليكم بحجج ظاهرة مستقرة و كتب بارزة ظاهره و قال (ع) أيها الناس إن الدنيا دار ممر و الآخرة دار مستقر فخذوا من ممركم لمستقركم و أخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم فللآخرة خلقتم و في الدنيا حبستم و إن المرء إذا مات قالت الملائكة ما قدم و قالت الناس ما خلف فلله إيابكم قدموا كيلا يكون لكم و لا تقدموا كيلا يكون عليكم فإنما مثل الدنيا مثل السم يأكله من لا يعرفه و قال (ع) إن السعداء بالدنيا الهاربون منها اليوم و قال ما يصنع بالمال و الولد من يخرج منها و يحاسب عليها عراة دخلتم الدنيا و عراة تخرجون منها و إنما هي قنطرة فاعبروا عليها و انتظروها و قال في دعائه اللهم توفني فقيرا و لا تتوفني غنيا و احشرني في زمرة المساكين و قال أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا و عذاب الآخرة و قال أمير المؤمنين (ع) الرغبة بالآخرة عند الله تورث الروح و الراحة و الرغبة في الدنيا تورث الهم و الحزن و قال إن من صفات أولياء الله الثقة به في كل شيء و الغنى به عن كل شيء و الافتقار إليه في كل شيء و قال ادفع الدنيا بما يحضرك من الزاد و تبلغ به و كان (ع) ينشد و يقول ادفع الدنيا بما اندفعت و اقطع الدنيا بما انقطعتيطلب المرء الغنى عبثا و الغنى في النفس لو قنعتو قال (ع) و الله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها

[20]

و قال لي قائل أ لا تنبذها فقلت أعزب عني عند الصباح يحمد القوم السري و قال الزاهدون في الدنيا ملوك الدنيا و الآخرة و من لم يزهد في الدنيا و رغب فيها فهو فقير الدنيا و الآخرة و من زهد فيها ملكها و من رغب فيها ملكته و قال نوف البكالي كنت عند أمير المؤمنين (ع) ذات ليلة فقام من فراشه و نظر إلى النجوم ثم قرأ آيات آل عمران إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ ثم قال يا نوف أ راقد أنت أم رامق فقلت بل رامق يا أمير المؤمنين فقال يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطا و ترابها فراشا و ماءها طيبا و القرآن شعارا و الدعاء دثارا ثم رفضوا الدنيا رفضا على منهاج المسيح يا نوف إن الله تعالى أوحى إلى المسيح أن قل لبني إسرائيل لا تدخلوا بيوتا من بيوتي إلا بقلوب طاهرة و ثياب نقية و ألسنة ناطقه صادقة و أعلمهم أني لا أستجيب لأحد منهم دعاء و لا لأحد من خلقي قبله مظلمة يا نوف إن رسول الله (ص) قام في مثل هذه الساعة فقال إن هذه الساعة لا ترد لأحد فيها دعوة إلا أن يكون عريفا أو عشارا أو شرطيا أو شاعرا أو صاحب عرطبة و كوبة العرطبة الطبل الكبير و الكوب الصغير و روي بالعكس و قال ما عاقبت أحدا عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه و ضع أمر أخيك إلى أحسنه و لا تظنن بكلمة خرجت منه شرا و أنت تجد لها في الخير محملا و من كتم سره ملك أمره و كانت الخيرة بيده و من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن إلا نفسه و لا يلومن من أساء به الظن و عليكم بإخوان الصدق تعيشوا في أكنافهم و لا تهاونوا بالحلف فيهينكم الله و لا تتعرضوا لما لا

يعنيكم و عليكم بالصدق فهو النجاة و المنجاة و احذروا عدوكم من الجن و الإنس و لا تصحبوا الفجار و استشيروا ذي الدين و النصيحة ترشدوا و آخوا الإخوان في الله و لا تعيبوا شيئا تأتون بمثله

و قال سويد بن غفلة دخلت على أمير المؤمنين (ع) داره فلم أر في البيت شيئا فقلت أين الأثاث يا أمير المؤمنين فقال يا ابن غفلة نحن أهل بيت لا نتأثث في الدنيا نقلنا أجل متاعنا إلى الآخرة إن مثلنا في الدنيا كراكب ظل

[21]

تحت شجرة ثم راح و تركها .

و قال رسول الله (ص) إن أشد ما أتخوف عليكم منه اتباع الهوى و طول الأمل فإن اتباع الهوى يصد عن الحق و طول الأمل ينسي الآخرة و إن الله تعالى يعطي الدنيا لمن يحب و يبغض و لا يعطي الآخرة إلا لمن يحب و إن للدنيا أبناء و للآخرة أبناء فكونوا من أبناء الآخرة و لا تكونوا من أبناء الدنيا فإن كل ولد يتبع بأمه و إن الدنيا قد ترحلت مدبرة و الآخرة قد تجملت مقبلة و إنكم في يوم عمل ليس فيه حساب و يوشك أن تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل و قال (ص) أيها الناس لا تغتروا فإن الله تعالى لو أهمل شيئا لأهمل الذرة و الخردلة و البعوضة و قال ابن مسعود إنما أنتم في الدنيا آجال منقوصة و أعمال محفوظة و الموت يأتي بغتة فمن يزرع خيرا يحصد زرعه رغبة و من يزرع شرا يحصد زرعه رهبة و من أعطي خيرا فالله أعطاه و من وقي شرا فالله وقاه المتقون سادة و الفقهاء قادة و مجالستهم زيادة و لو لم يكن فينا إلا حبنا لمن أبغض الله و هي الدنيا لكفى به ذنبا و قد قال النبي (ص) حب الدنيا رأس كل خطيئة و مفتاح كل سيئة و سبب إحباط كل حسنة و العجب أن الله تعالى يقول أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ و الناس يجمعونها و يحبونها مع علمهم أنهم مفارقوها و محاسبون عليها و لقد أحسن من قال فيها شعرا

هي الدنيا تقول لمن عليها ***حذار حذار من بطشي و فتكي

فلا يغرركم حسن ابتسامي ***فقولي مضحك و الفعل مبكي

الباب الثالث في ذم الدنيا

منثور و منظوم قال:

عجبا عجبت لغفلة الإنسان **** قطع الحياة بذلة و هوان

[22]

فكرت في الدنيا فكانت منزلا ***عندي كبعض منازل الركبان

مجرى جميع الخلق فيها واحد *** فكثيرها و قليلها سيان

أبغي الكثير إلى الكثير مضاعفا *** و لو اقتصرت على القليل كفاني

لله در الوارثين كأنني *** * بأخصهم متبرم بمكاني

قلقا يجهزني إلى دار البلا *** متحفزا لكرامتي بهوان

متبرئا حتى إذا نشر الثرى *** فوفى طوى كشحا على هجراني

و قال

نل ما بدا لك إن تنـ *** ـال فإنما تعطي و تسلب

و اعلم بأنك غافل *** في الغافلين و أنت تطلب

و المشكلات كثيرة *** و الوقف عند الشك أصوب

يبغي المهذب في الأمور *** جميعها و من المهذب

و روي أنه وجد على باب مدينة يا ابن آدم غافص الفرصة عند إمكانها و كل الأمور إلى مدبرها و لا تحمل على نفسك هم يوم لم يأتك فإنه إن لم يكن من أجلك يأتي الله فيه برزقك و لا تكن عبرة للناظرين و أسوة بالمغرورين في جمع المال على المال فكم من جامع لبعل حليلته و تقتير المرء على نفسه توفير لخزانة غيره .

و قال الخليل إنما يجمع المرء المال لأحد ثلاثة كلهم أعداؤه إما زوج امرأته أو زوجة ابنه أو زوج بنته فمال المرء لهؤلاء إن تركه فالعاقل الناصح لنفسه الذي يأخذه معه زادا لآخرته و لا يؤثر هؤلاء على نفسه .

يا جامعا لاهيا و الدهر يرمقه *** مفكرا أي باب عنه يغلقه

جمعت مالا فقل لي هل جمعت له *** يا غافل القلب أياما تفرقه

و لأبي العتاهية :

أصبحت و الله في مضيق *** هل من دليل إلى الطريق

أف لدنيا تلاعبت بي بي *** تلاعب الموج بالغريق

و قال أيضا

نظرت إلى الدنيا بعين مريضة *** و فكرة مغرور و تدبير جاهل

فقلت هي الدنيا التي ليس مثلها *** و نافست منها في غرور باطل

و ضيمت أحقابا أمامي طويلة *** بلذات أيام ق:صار قلائل

و قال :

و من امرئ دنياه أكبر همه *** لمستمسك منها بحبل غرور

و قال آخر :

طلبتك يا دنيا فأعذرت في الطلب *** و ما نلت إلا الهم و الغم و النصب

و أسرعت في ذنبي و لم أقض حسرتي *** هربت بذنبي منك إن نفع الهرب

و لم أر حظا كالقنوع لأهله *** و إن يحمل الإنسان ما عاش في الطلب

و قال رسول الله (ص) لا تخالفوا على الله في أمره فقالوا و ما ذاك يا رسول الله قال تسعون في عمران دار قد قضى الله خرابها و كان علي بن الحسين زين العابدين (ع) يتمثل بهذه و يقول :

و من يصحب الدنيا يكن مثل قابض *** على الماء خانته فروج الأصابع

و قال النبي (ص) إن الله تعالى جعل الدنيا دار بلوى و الآخرة دار عقبى فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سببا و ثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضا فيأخذ ليعطي و يبتلي ليجزي و أنها سريعة الزوال وشيكة الانتقال فاحذروا حلاوة رضاعها لمرارة فطامها و اهجروا لذيذ عاجلها لكربة آجلها و لا تواصلوها و قد قضى الله اجتنابها و لا تسعوا في عمرانها و قد قضى الله خرابها فتكونوا لسخطه متعرضين و لعقوبته مستحقين و قال شعرا :

الدار دار نوائب و مصائب *** و فجيعة بأحبة و حبائب

ما ينقضي رزئي بفرقة صاحب *** إلا أصبت بفرقة من صاحب

فإذا مضى آلاف عنك لظنه *** و المونسون فأنت أول ذاهب

الباب الرابع في ترك الدنيا

روي عن النبي (ص) إنه قال:

إن الناس في الدنيا ضيف و ما في أيديهم عارية و إن الضيف راحل و إن

العارية مردودة ألا و إن الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر و الفاجر و الآخرة وعد صادق يحكم فيه ملك عادل قاهر فرحم الله من نظر لنفسه و مهد لرمسه و حبله على عاتقه ملقى قبل أن ينفذ أجله و ينقطع أمله و لا ينفع الندم .

و قال الحسن (ع) من أحب الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه و من ازداد حرصا على الدنيا لم يزدد منها إلا بعدا و ازداد هو من الله بغضا و الحريص الجاهد و الزاهد القانع كلاهما مستوف أكله غير منقوص من رزقه شيئا فعلام التهافت في النار و الخير كله في صبر ساعة واحدة تورث راحة طويلة و سعادة كثيرة و الناس طالبان طالب يطلب الدنيا حتى إذا أدركها هلك و طالب يطلب الآخرة حتى إذا أدركها فهو ناج فائز و اعلم أيها الرجل أنه لا يضرك ما فاتك من الدنيا و أصابك من شدائدها إذا ظفرت بالآخرة و ما ينفعك ما أصبت من الدنيا إذا حرمت الآخرة .

و كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري عظني فكتب له أن رأس ما يصلحك هو الزهد في الدنيا و الزهد باليقين و اليقين بالفكر و الفكر هو الاعتبار فإذا فكرت في الدنيا لم تجدها أهلا أن تنفع نفسك بجميعها فكيف ببعضها و وجدت نفسك أهلا أن تكرمها بهوان الدنيا و اذكر قول الله عز و جل وَ كُلَّ إِنسان أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً فلقد عدل عليك من جعلك حسيبا على نفسك و لقوله تعالى اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً و قال لقد صحبت في الدنيا أقواما كانوا و الله قرة عين و كلامهم شفاء الصدور و كانوا و الله في الحلال أزهد منكم في الحرام و كانوا على النوافل أشد محافظة منكم على الفرائض و كانوا و الله من حسناتهم و من أعمالهم الحسنة ترد عليهم أكثر وجلا من أعمالكم السيئة أن تعذبوا بها و كانوا و الله يخافون من حسناتهم أن تظهر أشد خوفا منكم من سيئاتكم أن تشهر و كانوا و الله يستترون حسناتهم كما تستترون أنتم سيئاتكم و كانوا محسنين فهم مع ذلك يبكون و أنتم تسيئون و تضحكون فإنا لله و إنا إليه راجعون ظهر المخالفون و قلت العلماء و عفت السنة و هجر الكتاب و شاعت البدعة و تعامل الناس بالمداهنة و تقارضوا

[25]

الثناء و ذهب الناس و بقي حثالة من الناس و يوشك أن تدعوا فلا تجابوا و يظهروا عليكم أيدي المشركين فلا تغاثوا فأعدوا الجواب فإنكم مسئولون و الله لو تكاشفتم ما تدافنتم فاتقوا الله و قدموا فضلكم فإن من كان قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغهم و يأثرون بفضل ذلك إخوانهم المؤمنين و مساكينهم و أيتامهم و أراملهم فانتبهوا من رقدتكم فإن الموت فضح الدنيا و لم نجعل لذي عقل فسحا و اعلموا أنه من عرف ربه أحبه فأطاعه و من عرف عداوة الشيطان عصاه و من عرف الدنيا و غدرها بأهلها زهد فيها و أن المؤمن ليس بذي لهو و لا غفلة و إنما همته التفكر و الاعتبار و شعاره الذكر قائما و قاعدا و على كل حال نطقه ذكر و صمته فكر و نظره اعتبار لأنه يعلم أنه يصبح و يمسي بين أخطار ثلاثة إما ببلية نازلة أو نعمة زائلة أو منية قاضية و لقد كدر ذكر الموت عيش كل عاقل فعجبا لقوم نودي فيهم بالرحيل و هم غافلون عن التزود و لقد علموا أن لكل سفر زاد لا بد منه حبس أولهم عن آخرهم و هم لاهون ساهون .

و روي في قوله تعالى وَ آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا عن يحيى (ع) أنه كان له سبع سنين فقال له الصبيان امض معنا نلعب فقال ليس للعب خلقنا .

و قال أمير المؤمنين (ع) في قوله تعالى وَ لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا قال لا تنس صحتك و قوتك و شبابك و غناك و نشاطك أن تطلب الآخرة.

و قال آخرون هو الكفن من جميع ما تملك لا تنس أنه هو نصيبك من الدنيا كلها لو ملكتها .

و قال علي بن الحسين (ع) أعظم الناس قدرا من لم يبال بالدنيا في يد من كانت و قال محمد بن الحنفية من كرمت نفسه عليه هانت الدنيا عنده .

و قال رسول الله (ص) لا يزداد الزمان إلا شدة و العمر إلا نقصانا و الرزق إلا قلة و العلم إلا ذهابا و الخلق إلا ضعفا و الدنيا إلا إدبارا و الناس إلا شحا و الساعة إلا قربا يقوم على الأشرار من الناس و قال كان الكنز الذي تحت الجدار عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح و عجبا لمن أيقن بالرزق كيف يحزن و عجبا لمن أيقن بالنار كيف يذنب و عجبا لمن عرف الدنيا و تقلبها بأهلها كيف

يطمئن إليها .

و قال رسول الله (ص) إذا أحب الله عبدا ابتلاه و إذا أحبه الحب البالغ افتناه فقالوا و ما معنى الافتناء قال لا يترك له مالا و لا ولدا و أن الله تعالى يتعهد عبده المؤمن في نفسه و ماله بالبلاء كما تتعهد الوالدة ولدها باللبن و أنه ليحمي عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي الطبيب المريض من الطعام .

و كان أمير المؤمنين (ع) يقول اللهم إني أسألك سلوا عن الدنيا و مقتا لها فإن خيرها زهيد و شرها عتيد و صفوها يتكدر و جديدها يخلق و ما فات فيها لم يرجع و ما نيل فيها فتنة إلا من أصابته منك عصمة و شملته منك رحمة فلا تجعلني ممن رضي بها و اطمأن إليها و وثق بها فإن من اطمأن إليها خانته و من وثق بها غرته و لقد أحسن من وصفها بقوله :

رب ريح لأناس عصفت *** ثم ما إن لبثت أن سكتت

و كذا الدهر في أطواره *** قدم زلت و أخرى ثبتت

و كذا الأيام من عاداتها *** إنها مفسدة ما أصلحت

و قال غيره :

لا تحرصن على الدنيا و من فيها *** و احزن على صالح لم يكتسب فيها

و قال آخر :

و اذكر ذنوبا عظاما منك قد سلف *** نسيت كثرتها و الله محصيها

و في قوله تعالى كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنّات وَ عُيُون وَ زُرُوع وَ مَقام كَرِيم وَ نَعْمَة كانُوا فِيها فاكِهِينَ كَذلِكَ وَ أَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ وَ ما كانُوا مُنْظَرِينَ.

و قال بعضهم مررت بخربة فأدخلت رأسي فيها و قلت شعرا :

ناد رب الدار ذا المال الذي *** جمع الدنيا بحرص ما فعل

فأجابه هاتف من الخربة :

كان في دار سواها داره *** عللته بالمنى حتى انتقل

و قال قتادة في قوله تعالى وَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ قال وقائع القرون

[27]

الماضية و ما حل بهم من خراب الديار و تعفية الآثار و مر الحسين (ع) بقصر أوس فقال لمن هذا فقالوا لأوس فقال ود أوس أن له في الآخرة بدله رغيفا و قال أبو العتاهية شعرا :

جمعوا فما أكلوا الذي جمعوا *** و بنوا مساكنهم فما سكنوا

و كأنهم كانوا بها ظعنا **** فما استراحوا ساعة ظعنوا

و قال مسروق ما امتلأت دار حبرة إلا امتلأت عبرة و أنشد :

كم ببطن الأرض ثاو من وزير و أمير *** و صغير الشأن عبد خامل الذكر حقير

لو تأملت قبور القوم في يوم قصير **** لم تميزهم و لم تعرف غنيا من فقير

و روي أن سعد بن أبي وقاص لما ولى العراق دعا حرقة ابنة النعمان فجاءت في لمة من جوارها فقال لهن أيكن حرقة قالوا هذه فقالت نعم فما استبداؤك إياي يا سعد فو الله ما طلعت الشمس و ما شيء يدب تحت الخورنق إلا و هو تحت أيدينا فغربت شمسنا و قد رحمنا جميع من كان يحسدنا و ما من بيت دخلته حيرة إلا و عقبته عبرة ثم أنشأت تقول :

فبنينا نسوق الناس و الأمر أمرنا *** إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

فأف لدينا لا يدوم سرورها *** تقلبنا ثاراتها و تصرف

هم الناس ما ساروا يسيرون حولنا *** و إن نحن أومينا إلى الناس أوقفوا

ثم قالت الدنيا دار فناء و زوال لا تدوم على حال تنتقل بأهلها انتقالا و تعقبهم بعد حال حالا و لقد كنا ملوك هذا القصر يطيعنا أهله و يحبوا إلينا دخله فأدبر الأمر و صاح بنا الدهر فصدع عصانا و شتت شملنا و كذا الدهر لا يدوم لأحد ثم بكت و بكى لبكائها و أنشد شعرا :

إن للدهر صولة فاحذريها *** لا تقولين قد أمنت الدهورا

قد يبيت الفتى معافا فيؤدى *** و لقد كان آمنا مسرورا

فقال لها اذكري حاجتك فقالت بنو النعمان أجرهم على عوائدهم فقال لها اذكري حاجتك لنفسك خاصة فقالت يد الأمير بالعطية أطلق من لساني بالمسألة فأعطاهم و أعطاها و أجزل فقالت شكرتك يد افتقرت بعد غنى و لا

[28]

ملكتك يدا استغنت بعد فقر و أصاب الله بمعروفك مواضعه و لا جعل الله لك إلى اللئيم حاجة و لا أخلا الله من كريم نعمة إلا و

جعلك السبب في ردها إليه فقال سعد اكتبوه في ديوان الحكمة فلما خرجت من عنده سألها نساؤها فقلن ما فعل معك الأمير فقالت حاط لله ذمتي و أكرم وجهي إنما يكرم الكريم الكريما و لقد أحسن من قال شعرا :

و ما الدهر و الأيام إلا كما ترى *** رزية مال أو فراق حبيب

و إن امرأ قد جرب الدهر لم يخف *** تقلب يوميه لغير أريب

و قال آخر :

هو الموت لا ينجى من الموت و الذي *** أحاذر بعد الموت أدهى و أفظع

و قال آخر :

إذ الرجال كثرت أولادها *** و جعلت أوصابها تعتادها

و اضطربت من كبر أعضادها *** فهي زروع قد دنا حصادها

و قال بعضهم اجتزت بدار جبار كان معجبا بنفسه و ملكه فسمعت هاتفا ينشد و يقول:

و ما سالم عما قليل بسالم *** و إن كثرت أحراسه و مواكبه

و من يك ذا باب شديد و حاجب *** فعما قليل يهجر الباب حاجبه

و يصبح في لحد من الأرض ضيق *** يفارقه أجناده و مواكبه

و ما كان إلا الموت حتى تفرقت *** إلى غيره أحراسه و كتائبه

و أصبح مسرورا به كل كاشح *** و أسلمه أحبابه و حبائبه

بنفسك فاكسبها السعادة جاهدا *** فكل امرئ رهن بما هو كاسبه

و كان بعضهم إذا نظر في المرآة إلى جماله أنشد شعرا :

يا حسان الوجوه سوف تموتون *** و تبلى الوجوه تحت التراب

يا ذوي الأوجه الحسان المصونات *** و أجسامها الغضاض الرطاب

أكثروا من نعيمها و أقلوا *** سوف تهدونها لعقر التراب

قد نعتك الأيام نعيا صحيحا *** بفراق الأقران و الأصحاب

[29]

و قال غيره :

تذكر و لا تنسى المعاد و لا تكن كأنك في الدنيا مخلى و مخرج

فلا بد من بيت انقطاع و وحشة و إن غرك البيت الأنيق المدبج

و وجد على بعض القبور مكتوبة هذه الأبيات:

تزود من الدنيا فإنك لا تبقى *** و خذ صفوها لما صفوت و دع الزلقا

و لا تأمنن الدهر إني أمنته *** فلم يبق لي خلا و لم يرع لي حقا

قتلت صناديد الملوك فلم أدع **** عدوا و لم أهمل على ظنه خلقا

و أخليت دار الملك من كل بارع *** فشردتهم غربا و مزقتهم شرقا

فلما بلغت النجم عزا و رفعة *** و صارت رقاب الخلق أجمع لي رقا

رماني الردى رميا فأخمد حمرتي *** فها أنا ذا في حفرتي مفردا ملقى

فأفسدت دنياي و ديني جهالة *** فما ذا الذي مني بمصرعه أشقى

و قال بعضهم يا أيها الإنسان لا تتعظم فليس بعظيم من خلق من التراب و إليه يعود و كيف يتكبر من أوله نطفة قذرة و آخره جيفة قذرة و هو يحمل بين جنبيه العذرة و اعلم أنه ليس بعظيم من تصرعه الأسقام و تفجعه الآلام و تخدعه الأيام لا يأمن الدهر أن يسلبه شبابه و ملكه و ينزل من علو سريره إلى ضيق قبره و إنما الملك هو العاري من هذه المعايب ثم أنشد شعرا :

أين الملوك و أبناء الملوك و من *** قاد الجيوش ألا يا بئس ما عملوا

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم *** غلب الرجال فلم ينفعهم القلل

فأنزلوا بعد عز عن معاقلهم *** و أسكنوا حفرة يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا *** أين الأسرة و التيجان و الكلل

أين الوجوه التي كانت منعمة *** من دونها تضرب الأستار و الحجل

فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم *** تلك الوجوه عليها الدود تنتقل

قد طال ما أكلوا دهرا و ما شربوا *** فأصبحوا بعد طيب الأكل قد أكلوا

سالت عيونهم فوق الخدود و لو *** رأيتهم ما هناك العيش يا رجل

و قال الحسين (ع) يا ابن آدم تفكر و قل أين ملوك الدنيا و أربابها الذين

[30]

عمروا و احتفروا أنهارها و غرسوا أشجارها و مدنوا مدائنها فارقوها و هم كارهون و ورثها قوم آخرون و نحن بهم عما قليل لاحقون يا ابن آدم اذكر مصرعك و في قبرك مضجعك و موقفك بين يدي الله تشهد جوارحك عليك يوم تزل فيه الأقدام و تبلغ القلوب الحناجر و تبيض وجوه و تسود وجوه و تبدو السرائر و يوضع الميزان القسط يا ابن آدم اذكر مصارع آبائك و أبنائك كيف كانوا و حيث حلوا و كأنك عن قليل قد حللت محلهم و صرت عبرة للمعتبر و أنشد شعرا :

أين الملوك التي عن حفظها غفلت *** حتى سقاها بكأس الموت ساقيها

تلك المدائن في الآفاق خالية *** عادت خرابا و ذاق الموت بانيها

أموالنا لذوي الوراث نجمعها *** و دورنا لخراب الدهر نبنيها

ما عبر أحد عن الدنيا كما عبر أمير المؤمنين (ع) بقوله دار بالبلاء محفوفة و بالغدر معروفة لا تدوم أحوالها و لا تسلم نزالها أحوالها مختلفة و تارات متصرفة و العيش فيها مذموم و الأمان

فيها معدوم و إنما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها و تفنيهم بحمامها و اعلموا عباد الله أنكم و ما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من كان قبلكم ممن كان أطول منكم أعمارا و أعمر ديارا و أبعد آثارا أصبحت أصواتهم خامدة و رياحهم راكدة و أجسادهم بالية و ديارهم خاوية و آثارهم عافية فاستبدلوا بالقصور المشيدة و النمارق الممهدة و الصخور و الأحجار المسندة و القبور اللاطئة الملحدة التي قد بني على الخراب فناؤها و شيد بالتراب بناؤها فمحلها مقترب و ساكنها مغترب بين أهل محله موحشين و أهل فراغ متشاغلين لا يستأنسون بالأوطان و لا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار و دنو الدار فكيف يكون بينهم تواصل و قد طحنهم بكلكله البلاء و أكلهم الجنادل الثرى و كأنكم قد صرتم إلى ما صاروا إليه و ارتهنكم ذلك المضجع و ضمكم ذلك المستودع فكيف بكم إذا تناهت بكم الأمور و بعثرت القبور و هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت و ردوا إلى الله مولاهم الحق و ضل عنهم ما كانوا يفترون

[31]

و دخل أبو هذيل دار المأمون فقال إن دارك هذه كانت مسكونة قبلك من ملوك درست آثارهم و انقطعت أعمارهم فالسعيد من وعظ بغيره

الباب الخامس في التخويف و الترهيب

قال تعالى وَ نُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلّا طُغْياناً كَبِيراً و قال سبحانه بَلِ السّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ السّاعَةُ أَدْهى وَ أَمَرُّ و قال تعالى أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذا هِيَ تَمُورُ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ و قال تعالى وَ ما نُرْسِلُ بِالْ آياتِ إِلّا تَخْوِيفاً و قال أَ فَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا بَياتاً وَ هُمْ نائِمُونَ أَ وَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا ضُحًى وَ هُمْ يَلْعَبُونَ أَ فَأَمِنُوا مَكْرَ اللّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ و قال تعالى وَيْلٌ لِكُلِّ أَفّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آياتِ اللّهِ تُتْلى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ و قال وَ لَوْ يُؤاخِذُ اللّهُ النّاسَ بِظُلْمِهِمْ ما تَرَكَ عَلَيْها مِنْ دَابَّةٍ و قال سبحانه ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ و قال وَ تِلْكَ الْقُرى أَهْلَكْناهُمْ لَمّا ظَلَمُوا و قال فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ و قال سبحانه وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكانَ لِزاماً وَ أَجَلٌ مُسَمًّى يعني ألزمهم بالعذاب عند كل معصية و إنما سبق منه سبحانه إنه قال وَ ما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ ما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ.

و قال أمير المؤمنين (ع) كان في الناس أمانان رسول الله (ص) و الاستغفار فرفع منهم أمان و هو رسول الله و بقي عليهم أمان و هو الاستغفار و قال رسول الله (ص) مهلا عباد الله عن معصية الله فإن الله شديد العقاب و قال رسول الله (ص) إن الله لم يعط ليأخذ و لو أنعم على قوم ما أنعم و بقوا ما بقي الليل و النهار ما سلبهم تلك النعم و هم له شاكرون إلا أن يتحولوا من شكر إلى كفر و من طاعة إلى معصية و ذلك قوله تعالى إِنَّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ

[32]

و قال أمير المؤمنين (ع) إن الله تعالى يبتلي عباده عند طول السيئات بنقص الثمرات و حبس البركات و إغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب و يقلع مقلع و يتذكر متذكر و ينزجر منزجر و قد جعل الله الاستغفار سببا له و للرزق و رحمة للخلق فقال سبحانه اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً وَ يُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنّاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً فرحم الله من قدم توبته و أخر شهوته و استقال عثرته فإن أمله خادع له و أجله مستور عنه و الشيطان يتوكل به يمنيه التوبة ليسوقها و يزهي له المعصية ليرتكبها حتى تأتي عليه منيته و هو أغفل ما يكون عنها فيا لها حسرة على ذي غفلة أن يكون عمره حسرة عليه و أن تؤديه الأيام إلى شقوة فنسأل الله تعالى أن يجعلنا و إياكم ممن لا يبطره نعمة و لا تقتصر به عن طاعة ربه غاية و لا تجعل به بعد الموت ندامة و لا كائبة.

و قال رسول الله (ص) و لو أنهم حين تزول عنهم النعم و تحل بهم النقم فزعوا إلى الله توبة يوله من نفوسهم و صدق من نياتهم و خالص من طوباتهم لرد عليهم كل شارد و لأصلح لهم كل فاسد.

و قال النبي إن الله تعالى خلق ملكا ينزل في كل ليلة ينادي يا أبناء العشرين جدوا و اجتهدوا و يا أبناء الثلاثين لا تغرنكم الحياة الدنيا و يا أبناء الأربعين ما ذا أعددتم للقاء ربكم و يا أبناء الخمسين أتاكم النذير و يا أبناء الستين زرع آن حصاده و يا أبناء السبعين نودي لكم فأجيبوا و يا أبناء الثمانين أتتكم الساعة و أنتم غالفون ثم يقول لو لا عباد ركع و رجال خشع و صبيان رضع و أنعام رتع لصب عليكم العذاب صبا.

و قال رسول الله (ص) أكرموا ضعفاءكم فإنما ترزقون و تنصرون بضعفائكم و قال (ص) يا بني هاشم يا بني عبد المطلب و يا بني عبد مناف و يا بني قصي اشتروا أنفسكم من الله و اعلموا أني أنا النذير و الموت المغير و الساعة الموعد و لما أنزل الله عليه وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ صعد على الصفا و جمع عشيرته و قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا بني قصي اشتروا

[33]

أنفسكم من الله فإني لا أغني عنكم من الله شيئا يا عباس عم محمد يا صفية عمته يا فاطمة ابنته ثم نادى كل رجل باسمه و كل امرأة باسمها ألا يجيء الناس يوم القيامة يحملون الآخرة و يأتون و يقولون بأن محمدا منا و ينادون يا محمد يا محمد فأعرض بهذا و هكذا و أعرض عن يمينه و شماله فو الله ما أوليائي منكم إلا المتقون إن أكرمكم عند الله أتقاكم.

و روي أنه (ص) لما مرض مرضه الذي مات فيه خرج متعصبا معتمدا على يد أمير المؤمنين (ع) و الفضل بن العباس فتبعه الناس فقال أيها الناس إنه قد آن مني خفوقي يعني رحيلي و قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع ثم جاء حتى دخل البقيع ثم قال السلام عليكم يا أهل التوبة السلام عليكم يا أهل الغربة ليهنكم ما أصبحتم فيه ما الناس فيه أتت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها ثم استغفر لهم و أطال الاستغفار و رجع فصعد المنبر و اجتمع الناس حوله فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أيها الناس إنه قد آن مني خفوقي فإن جبرئيل (ع) كان يأتيني يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة و إنه قد عارضني به في هذه السنة مرتين و لا أقول ذلك إلا لحضور أجلي فمن كان له علي دين فليذكره لأعطيه و من كان له عندي عدة فليذكرها أعطه أيها الناس لا يتمنى متمني و لا يدعي مدع فإنه و الله لا ينجي إلا العمل و رحمة الله لو عصيت لهويت ثم رفع طرفه إلى السماء و قال اللهم قد بلغت.

و قال (ص) إياكم و محقرات الذنوب فإن لها من الله طالبا و إنها لتجمع على المرء حتى تهلكه.

و قال (ع) لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا على أنفسكم و لخرجتم على الصعدات تبكون على أعمالكم و لو تعلم البهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم سمينا.

و قال (ص) أما و الله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم على أنفسكم و لخرجتم على الصعدات تندمون على أعمالكم و لتركتم أموالكم لا حارس لها و لا خائف عليها

[34]

و لكنكم نسيتم ما ذكرتم و أمنتم ما حذرتم فتاه عنكم رأيكم و تشتت عليكم أمركم أما و الله لوددت أن الله ألحقني بمن هو خير لي منكم قوم و الله ميامين الرأي مراجيح الحكمة مقاويل الصدق متاريك البغي مضوا قدما على الطريق و أجفوا على المحجة ظفروا بالعقبى الدائمة و الكرامة الباقية أما و الله ليظهر عليكم غلام ثقيف الديال الميال يأكل خضرتكم و يذيب شحمتكم إيه أبا وذحة يعني بذلك الحجاج بن يوسف لهمه يهتم به .

و قال (ص) إن الزاهدين في الدنيا تبكي قلوبهم و إن ضحكوا و يشتد حزنهم و إن فرحوا و يكثر مقتهم أنفسهم و إن اغتبطوا بما رزقوا.

و قال (ص) في خطبته أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت و أذنت بوداع و إن الآخرة قد أقبلت و أشرفت باطلاع ألا و إن اليوم المضمار و غدا السباق و السبقة الجنة و الغاية النار أ فلا تائب من خطيئته قبل منيته أ لا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه و حسرته ألا و إنكم في أيام عمل من ورائه أجل فمن عمل في أيام عمله قبل حضور أجله نفعه عمله و لم يضره أجله و من قصر في أيام عمله خسر عمله و ضره أجله ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة ألا إني لم أر كالجنة نام طالبها و لا كالنار نام هاربها و إن من لم ينفعه الحق يضره الباطل و من لم يستقم به الهدى يرده الضلال ألا و إنكم قد أمرتم بالظعن و دللتم على الزاد و إن أخوف ما أتخوف عليكم اتباع الهوى و طول الأمل تزودوا من الدنيا في الدنيا مما تنجون به أنفسكم.

يقول العبد الفقير إلى رحمة الله و رضوانه الحسن بن محمد الديلمي تغمده الله برحمته و رضوانه إن هذا الكلام منه (ع) لعظيم الموعظة و جليل الفائدة بليغ المقالة لو كان كلام يأخذ بالازدجار و الموعظة لكان هذا يكفي به قاطعا لعلائق الآمال و قادحا لزناد الاتعاظ و الإيقاظ يأخذ و الله بأعناق المتفكرين فيه و المتبشرين إلى الزهد و يضطرهم إلى عمل الآخرة فاعتبروا و تفكروا و تبصروا إلى معانيه يا أولي الألباب .

و قال (ص) في خطبة أخرى تجري هذا المجرى انظروا إلى الدنيا نظر

[35]

الزاهدين فيها الصارفين عنها فإنها و الله عن قليل تزيل الثاوي الساكن و تفجع المترف الآمن لا يرجع ما تولى منها فأدبر و لا يدري ما هو آت منها فينتظر سرورها مشوب بالحزن و جلد الرجال منها إلى الضعف و الوهن فلا تغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها فرحم الله امرأ تفكر فاعتبر فأبصر و كأنما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن ما هو كائن من الآخرة عما قليل لم يزل و كل معدود منتقص و كل متوقع آت و كل آت قريب دان و العالم من عرف قدره و كفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره و إن أبغض العباد إلى الله لعبد وكل الله بنفسه جائر عن قصد السبيل سائر بغير دليل إن دعي إلى حرث الدنيا عمل و إلى حرث الآخرة كسل كان ما عمل له واجب عليه و ما ونى عنه ساقط عنه و ذلك زمان لا يسلم فيه إلا كل مؤمن نؤمه أن شهد لم يعرف و إن غاب لم يفتقد أولئك مصابيح الهدى و أعلام السرى ليسوا بالمسايح و لا المذاييع البذر أولئك يفتح الله عليهم أبواب رحمته و يكشف عنهم ضر نقمته يا أيها الناس إنه سيأتي عليكم زمان يكفأ فيه الإسلام كما يكفأ الإناء بما فيه أيها الناس إن الله تعالى قد أعاذكم من أن يحم عليكم و لم يعذكم من أن يبتليكم لقوله تعالى إِنَّ فِي ذلِكَ لَ آيات وَ إِنْ كُنّا لَمُبْتَلِينَ و قوله (ع) كل مؤمن نؤمه يريد الخامل الذكر القليل الشر و المصابيح جمع مصباح و المسايح جمع مسياح و هو الذي يسيح بالفساد و النمائم و المذاييع جمع مذياع و هو الذي سمع لغيره بفاحشة أذاعها و أعلن بها و البذر هو الكثير السفه و اللغو بالهذيان .

و قال (ع) في خطبة أخرى تجري هذا المجرى ألا و إن الدنيا قد تصرمت و أذنت بالزوال و تنكر بانقضاء معروفها و أدبرت حذاء فهي تحفز بالفناء سكانها و تحدو بالموت جيرانها و قد أمر منها ما كان حلوا و كدر منها ما كان صفوا فلم يبق منها إلا سملة كسملة الإداوة أو جرعة كجرعة المقلة لو لم يمررها يمرؤها الصديان لم ينفع فأزمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدار المقدر على أهلها الزوال و لا يغرنكم فيها الأجل و لا يطولن عليكم الأمل فو الله لو حننتم حنين الوله العجلان و دعوتم بهديل الحمام و جأرتم جؤار متبتلي الرهبان

[36]

و خرجتم إلى الله من الأموال و الأولاد ابتغاء القربة إليه في رفع درجته عنده أو غفران سيئة أحصاها كتبته و حفظتها رسله لكان قليلا فيما أخشى عليكم من عقابه و أرجو لكم من ثوابه تالله لو انماثت قلوبكم انمياثا و سالت عيونكم رغبة لله و رهبة دما ثم عمرتم في الدنيا قائمة ما جزت أعمالكم و لو لم تبقوا شيئا من جهدكم لأنعمه عليكم العظام و هداه إياكم للإيمان .

و قال رسول الله (ص) إنه ليظهر النفاق و ترفع الأمانة و تقيض الرحمة و يتهم الأمين و يؤتمن الخائن أتتكم الفتن كأمثال الليل المظلم و جاء في قوله تعالى وَ نادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ قال ينادون أربعين عاما فلا يجيبهم ثم يقول إِنَّكُمْ ماكِثُونَ فيقولون رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها فَإِنْ عُدْنا فَإِنّا ظالِمُونَ فيدعون أربعين عاما فيقال لهم اخْسَؤُا فِيها وَ لا تُكَلِّمُونِ فيئس القوم بعدها فلم يبق إلا الزفير و الشهيق كما تتناهق الحمير .

و قال (ص) يشتد بأهل النار الجوع على ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة و عذاب أليم و شراب من حميم فيقطع أمعاءهم فيقولون لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنّا يَوْماً مِنَ الْعَذابِ فيقال لهم أَ وَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّناتِ قالُوا بَلى قالُوا فَادْعُوا وَ ما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلّا فِي ضَلال .

قال الحسن (ع) إن الله تعالى لم يجعل الأغلال في أعناق أهل النار لأنهم أعجزوه و لكن إذا أطفأ بهم اللهب أرسبهم في قعرها ثم غشي عليه فلما أفاق من غشوته قال يا ابن آدم نفسك نفسك فإنما هي نفس واحدة إن نجت نجوت و إن هلكت لم ينفعك نجاة من نجاة .

و قال رسول الله (ص) ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا التي فرضت عليهم في أموالهم .

و قال (ع) بئس العبد عبد سها و لهى و غفل و نسي القبر و البلاء و بئس العبد عبد صغى و بغى و نسي المبتدأ و المنتهى و بئس العبد عبد يقوده الطمع و يطغيه الغنى و يرديه الهوى الحديث رواه الخليفة بن الحصين قال قال قيس بن عاصم وفدت على رسول الله (ص) في جماعة من بني تميم فقال لي اغتسل بماء

و سدر فاغتسلت ثم رجعت إليه فقلت يا رسول الله عظنا موعظة ننتفع بها فقال يا قيس إن مع العز ذلا و إن مع الحياة موتا و إن مع الدنيا آخرة و إن لكل شيء حسيبا و على كل شيء رقيبا و إن لكل حسنة ثوابا و لكل سيئة عقابا و إنه لا بد لك يا قيس من قرين يدفن معك و هو حي و تدفن معه و أنت ميت فإن كان كريما أكرمك و إن كان لئيما أسلمك ثم لا تدفن إلا معه و لا يدفن إلا معك فلا تجعله إلا صالحا لأنه إذا كان صالحا لا يؤنسك إلا هو و إن كان فاحشا لا يوحشك إلا هو فقال يا رسول الله لو نظم شعرا افتخرنا به على من يلينا من العرب فأراد أن يدعو حسانا لينشد فيه فقال رجل يقال له صلصال شعرا :

تخير خليطا من فعالك إنما *** قرين الفتى في القبر ما كان يفعل

فلا بد بعد الموت من أن تعده *** ليوم ينادى المرء فيه فيقبل

فإن كنت مشغولا بشيء فلا تكن *** بغير الذي يرضى به الله تشغل

فلن يصحب الإنسان من بعد موته *** و من قبله إلا الذي كان يعمل

ألا إنما الإنسان ضيف لأهله *** يقيم بينهم قليلا ثم يرحل

و قال رسول الله (ص) لكل إنسان ثلاثة أخلاء أما أحدهم فيقول إن قدمتني كنت لك و أما الآخر فيقول أنا معك إلى باب الملك ثم أودعك و أمضي عنك و أما الثالث فيقول أنا معك لا أفارقك فأما الأول فماله و أما الثاني فأهله و ولده و أما الثالث فعمله فيقول و الله لقد كنت عندي أهون الثلاثة فليتني لم أشتغل إلا بك .

و قال العرباض بن سارية وعظنا رسول الله (ص) موعظة ذرفت العيون و وجلت منها القلوب فقلنا يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فما تعهد إلينا قال لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ بعدها إلا هالك و من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتي بعدي و سنة الخلفاء الراشدين من أهل بيتي فعضوا عليهم بالنواجد و أطيعوا الحق و لو كان صاحبه عبدا حبشيا فإن المؤمن كالجمل الألوف حيث ما قيد استقاد .

و قال أمير المؤمنين (ع) في قوله تعالى لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذ عَنِ النَّعِيمِ

[38]

الصحة و الأمن و القوة و العافية و قيل الماء البارد في أيام الحر و كان رسول الله (ص) إذا شرب الماء قال الحمد لله الذي لم يجعله أجاجا بذنوبنا و جعله عذبا فراتا بنعمته .

و قال سفيان بن عيينة ما من أحد من عباد الله إلا و لله الحجة عليه إما مهمل لطاعة الله أو مرتكب لمعصيته أو مقصر في شكره .

و قال رسول الله (ص) يقول الله تعالى يا ابن آدم أ ما تنصفني أتحبب إليك بالنعم و تتبغض إلي بالمعاصي خيري إليك نازل و شرك إلي صاعد و لم يزل و لا يزال في كل يوم ملك كريم يأتيني عنك بعمل قبيح يا ابن آدم لو سمعت وصفك من غيرك و أنت لا تدري من الموصوف لسارعت إلى مقته .

و قال (ع) لا يغرنكم من ربكم طول النسية و تمادي الأمهال و حسن التقاضي فإن أخذه أليم و عذابه شديد إن لله تعالى على نعمه حقا و هو شكره فمن أداه زاده و من قصر فيه سلبه منه فليراكم الله من النقمة وجلين كما يراكم بالنعمة فرحين .

و قال ابن عباس آخر آية نزلت وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفّى كُلُّ نَفْس ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ .

و قال رسول الله (ص) إني لأعرف آية من كتاب الله لو أخذ بها جميع الناس كفتهم قالوا يا رسول الله و ما هي قال وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ .

الباب السادس في التحذير بالعقوبة في الدنيا

قال الله تعالى فَكُلًّا أَخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا وَ ما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .

و قال رسول الله (ص) يظهر في أمتي الخسف و القذف قالوا متى يكون ذلك يا رسول الله قال إذا ظهرت المعارف و القينات و شرب الخمر و الله ليبيتن أناس من أمتي على أشر و بطر و لعب يصبحون قردة و خنازير لاستحلالهم

[39]

الحرام و اتخاذهم القينات و شرب الخمور و أكلهم الربا و لبسهم الحرير .

و قال (ع) إذا جار الحاكم قل المطر و إذا غرر بأهل الذمة ظهر عليهم عدوهم و إذا ظهرت الفواحش كانت الرجفة و إذا قل الأمر بالمعروف استبيح الحريم و إنما هو التبديل ثم التدبير ثم التدمير .

الباب السابع في قصر الأمل

قال الله تعالى ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ و قال رسول الله (ص) جاء الأجل دون رجاء الأمل و قال بعضهم لو رأيت الأجل و مسيره لأبغضت الأمل و غروره .

و قال أنس كنا عند رسول الله (ص) فوضع ثوبه تحت رأسه و نام فهبت ريح عاصفة و قام فزعا و ترك رداءه فقلنا يا رسول الله ما لك قال ظننت أن الساعة قد قامت .

و قال (ص) يهرم ابن آدم و يبقى معه اثنان الحرص و طول الأمل .

و قال أمير المؤمنين (ع) في خطبته اتقوا الله فكم من مؤمل ما لا يبلغه و جامع ما لا يأكله و لعله من باطل جمعه و من حق منعه أصابه حراما و ورثه عدوا فاحتمل إصره و باء بوزره ورد على ربه خاسرا آسفا لاهفا قد خسر الدنيا و الآخرة ذلك هو الخسران المبين.

و قال الأصمعي سمعت أعرابيا يقول إن الآمال قطعت أعناق الرجال كالسراب أخلف من رجاه و غر من رآه و من كان الليل و النهار مطيتاه أسرعا به السير و يلحقاه المحل و أنشد بعضهم :

و يمسي المرء ذا أجل قريب *** و في الدنيا له أمل طويل

و يعجل للرحيل و ليس يدري *** إلى ما ذا يقربه الرحيل

و قال آخر :

يا أيها المطلق آماله *** من دون آمالك آجال

كم أبلت الدنيا و كم جددت *** فينا و كم تبلى و تغتال

[40]

و قال الحسين (ع) يا ابن آدم إنما أنت أيام كلما مضى يوم ذهب بعضك

و قال بعضهم لرجل كيف أصبحت فقال أصبحت و الله في غفلة من الموت مع ذنوب قد أحاطت بي و أجل مسرع أقدم على هول لا أدري ما أقتحم فمن أسوأ حالا مني و أعظم خطرا ثم بكى و دخل أبو العتاهية على أبي نواس في مرضه الذي مات فيه فقال كيف تجد نفسك فقال أبو نواس شعرا :

دب في الفنا سفلا و علوا *** و أراني أموت عضوا فعضوا

ذهبت جدتي بطاعة نفسي *** فتذكرت طاعة الله نضوا

ليس من ساعة مضت بي إلا *** نقصتني بمرها لي جزوا

قد أسأت كل الإساءة فاللهم *** صفحا عنا و عفوا عفوا

و قال آخر :

يمد المنى للمرء آمال نفسه *** و سهم الردى من لحظ عينيه قد نزع

لمن يجمع المال البخيل و قد أرى *** مصارع من كان بالأمس قد جمع

الباب الثامن في قصر الأعمار و سرعة انقضائها و ترك الاعتزاز بها

قال النبي (ص) أعمار أمتي بين الستين إلى السبعين و قل من يتجاوزها و جاء في قوله تعالى أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ أنها معاتبة لابن الأربعين و قيل لابن ثمانية عشر وَ جاءَكُمُ النَّذِيرُ الشيب و في قوله وَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا جاوزت الستين .

و روي أن لله تعالى ملكا ينادي يا أبناء الستين عدوا أنفسكم في الموتى و قال بعضهم يوشك أن من سار إلى منهل ستين سنة أن يرده و أنشد بعضهم :

تزود من الدنيا فإنك لا تبقى *** و خذ صفوها لما صفت و دع الزلفا

و لا تأمنن الدهر إني أمنته *** فلم يبق لي خلا و لم يبق لي خلفا

و قال آخر :

تزود من الدنيا فإنك راحل *** و بادر فإن الموت لا شك نازل

و إن امرأ قد عاش ستين حجة *** و لم يتزود للمعاد فهو جاهل

و قال آخر :

إذا كانت الستون عمرك لم يكن *** لدائك إلا أن تموت طبيب

و إن امرأ قد عاش ستين حجة *** إلى منهل من ورده لقريب

إذا ذهب القرن الذي أنت فيهم *** و خلفت في قرن فأنت غريب

و قال في قوله تعالى إِنَّما نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا قال الأنفاس يخسرها من أنفقها في غير طاعة الله.

و قال بعضهم العمر قصير و السفر بعيد فاشتغل بصلاح أيامك و تزود لطول سفرك و انتفع بما جمعت فقدمه من ممرك إلى مقرك قبل أن تنزعج عنه فتحاسب به و يحظى به غيرك فما أقل مكثك في دار الفناء و أعظم مقامك في دار البقاء و قال بعضهم شعرا :

لهفي على عمر ضيعت أوله *** و غال آخره الأسقام و الهرم

كم أقرع السن عند الموت من ندم *** و أين يبلغ قرع السن و الندم

هلا انتهيت و وجه العمر مقتبل *** و النفس في جدة و العزم محتزم

و جاء في قوله تعالى لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم قال الشباب ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ قال الهرم.

و قال بعضهم الشيب رائد الموت و نذير الفناء و رسول المنية و قاطع المنية و أول مراحل الآخرة و مقدمة الهرم و رائد الانتقال و نذير الآخرة و واعظ فصيح و هو للجاهل نذير و للعاقل بشير و هو سمة الوقار و شعار الأخيار و مركب للحمام و الشباب حلم المنام و قيل لشيخ من العباد ما بقي منك مما تحب له الحياة فقال البكاء على الذنوب .

و قال النبي (ص) خير شبابكم من تزيا بزي كهولكم و شر كهولكم من تزيا بزي شبابكم .

و قال (ص) قال الله تعالى و عزتي و جلالي إني لأستحي من عبدي و أمتي يشيبان في الإسلام أن أعذبهما ثم بكى (ص) فقيل مم تبكي يا رسول الله فقال أبكي لمن استحى الله من عذابهم و لا يستحون من عصيانه

و قال بعضهم من أخطأته سهام المنية قيد عقال الهرم و قال بعضهم شعرا :

إني أرى رقم البلا في *** قرن رأسك قد نزل

و أراك تعثر دائما *** في كل يوم بالعلل

و الشيب و العلل الكثيرة *** من علامات الأجل

فاعمل لنفسك أيها *** المغرور في وقت العمل

و قال آخر :

و لقد رأيت صغيرة *** فسترت شيبي بالخمار

قالت غبار قد علاك *** فقلت ذا غير الغبار

هذا الذي نقل الم *** لوك إلى القبور من الديار

الباب التاسع في المرض و مصلحته

قال رسول الله (ص) يوما لأصحابه أيكم يحب أن يصح و لا يسقم قالوا كلنا يا رسول الله فقال أ تحبون أن تكونوا كالحمير الضالة أ

لا تحبون أن تكونوا أصحاب الكفارات و الذي نفسي بيده إن الرجل لتكون له درجة في الجنة ما يبلغها بشيء من عمله و لكن بالصبر على البلاء و عظيم الجزاء لعظيم البلاء و إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه بعظيم البلاء فإن رضي فله الرضا و إن سخط فله السخط و قال (ع) لو يعلم المؤمن حاله في السقم ما أحب أن يفارق السقم أبدا و قال (ع) يود أهل العافية يوم القيامة أن لحومهم قرضت بالمقاريض لما يرون من ثواب أهل البلاء .

و قال موسى (ع) يا رب لا مرض يضنيني و لا صحة تنسيني و لكن بين ذلك أمرض تارة فأشكرك و أصح تارة فأشكرك .

و روي أن أبا الدرداء مرض فعادوه فقالوا أي شيء تشتكي فقال ذنوبي قالوا فأي شيء تشتهي فقال المغفرة من ربي فقالوا أ لا ندعو لك طبيبا فقال الطبيب أمرضني قالوا فاسأله عن سبب ذلك فقال قد سألته فقال إني أفعل ما أريده و مرض رجل فقيل له أ لا تتداوى فقال إن عادا و ثمود و أصحاب

الرس و قرونا بين ذلك كثيرا كانت لهم أطباء و أدوية فلا الناعت بقي و لا المنعوت له و لو كانت الأدوية تمنع الداء لما مات طبيب و لا ملك .

الباب العاشر في ثواب عيادة المريض

عن أبي عبد الله (ع) قال قال رسول الله (ص) الحمى رائد الموت و سجن الله في أرضه و حرها من جهنم و هي حظ كل مؤمن من النار و نعم الوجع الحمى تعطى كل عضو حقه من البلاء و لا خير فيمن لا يبتلى و إن المؤمن إذا حم حمة واحدة تناثرت عنه الذنوب كورق الشجر فإن أن على فراش فأنينه تسبيح و صياحه تهليل و تقلبه في فراشه كمن يضرب بسيفه في سبيل الله فإن أقبل يعبد الله في مرضه كان مغفور له و طوبى له و حمى ليلة كفارة سنة لأن ألمها يبقى في الجسد سنة فهي كفارة لما قبلها و لما بعدها و من اشتكى ليلة فقبلها بقبولها و أدى شكرها كانت له كفارة ستين سنة لقبولها و منة لصبره عليها و المرض للمؤمن تطهير و رحمة و للكافرين عذاب و لعنة و لا يزال المرض بالمؤمن حتى لا يبقى عليه ذنب و صداع ليلة تحط كل خطيئة إلا الكبائر .

و قال (ص) للمريض في مرضه أربع خصال يرفع عنه القلم و يأمر الله الملك أن يكتب له نوال ما كان يعمله في صحته و تساقطت ذنوبه كما يتساقط ورق الشجر و من عاد مريضا لم يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه و يوحي الله تعالى إلى ملك الشمال لا تكتب على عبدي ما دام في وثاقي شيئا و إلى ملك اليمين أن اجعل أنينه حسنات و أن المرض ينقي الجسد من الذنوب كما ينقي الكير خبث الحديد و إذا مرض الصغير كان مرضه كفارة لوالديه .

و روي فيما ناجى به موسى ربه إذ قال يا رب أعلمني ما في عيادة المريض من الأجر فقال سبحانه أوكل به ملكا يعوده في قبره إلى محشره قال يا رب فما لمن غسله قال أغسله من ذنوبه كما ولدته أمه فقال يا رب فما لمن شيع جنازته قال أوكل بهم ملائكتي يشيعونهم في قبورهم إلى محشرهم قال يا رب فما لمن عزى مصابا على مصيبته قال أظله بظلي يوم لا ظل إلا ظلي

و قال النبي (ص) عائد المريض يخوض في الرحمة فإذا جلس ارتمس فيها و يستحب الدعاء له فيقول العائد اللهم رب السماوات السبع و رب الأرضين السبع و ما فيهن و ما بينهن و ما تحتهن و رب العرش العظيم اشفه بشفائك و داوه بدوائك و عافه من بلائك و اجعل شكايته كفارة لما مضى من ذنوبه و لما بقي و يستحب للمريض الدعاء لعائد فإن دعاءه مستجاب و يكره الإطالة عند المريض .

الباب الحادي عشر في التوبة و شروطها

قال الله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً يعني بالنصوح لا رجوع فيها إلى ذنب و قال تعالى إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قوله بِجَهالَةٍ يعني بمواقع العقاب و قيل بعظة الله و أخذه للعبد بعصيانه حال المواقعة ثم قال سبحانه وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الْ آنَ وَ لَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفّارٌ نفى سبحانه قبول التوبة عند مشاهدة أشراط الموت من العاصي و الكافر و إنما هي مقبولة ما لم يتيقن الموت فإنه تعالى وعد قبوله بقوله وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَ يَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ و بقوله عن نفسه غافِرِ الذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقابِ فالتوبة واجبة في نفسها عن القبيح و عن الإخلال بالواجب ثم إن كانت التوبة عن حق الله تعالى مثل ترك الصلاة و الصيام و الحج و الزكاة و سائر الحقوق اللازمة للنفس و البدن أو لأحدهما فيجب على التائب الشروع فيها مع القدرة أو العزم عليها مع عدم القدرة عليها في وقت القدرة و الندم على الإخلال بها في الماضي و العزم على ترك العود و إن كانت التوبة عن حق الناس يجب رده عليهم إن كانوا أحياء و إلى ورثتهم بعد موتهم إن كانت ذلك المال بعينه و إلا فمثله و إن لم يكن لهم وارث تصدق به

عنهم إن علم مقداره و إلا فيما يغلب على ظنه مساواته و الندم على غصبه و العزم على ترك العود إلى مثله و يستغفر الله تعالى على تعدي أمره و أمر رسوله و تعدي أمر إمام زمانه فلكل

[45]

منهم حق في ذلك يسقط بالاستغفار و إن كان توبته عن أخذ عرض أو نميمة أو بهتان عليهم بكذب فيجب انقياده إليهم و إقراره على نفسه بالكذب عليهم و البهتان و ليستبرأ لهم عن حقهم إن نزلوا أو يراضيهم بما يرضون به عنه و إن كان عن قتل نفس عمدا أو جراح أو شيء في أبدانهم فينقاد إليهم للخروج من حقوقهم على الوجه المأمور به من قصاص أو جراح أو دية عن نفس عمدا إن شاءوا رضوا بالدية و إلا فالقتل بالقتل و إن كانت التوبة عن معصية من زنى أو شرب خمر و أمثاله فالتوبة عنه الندم على ذلك الفعل و العزم على ترك العود إليه و ليست التوبة قول الرجل أستغفر الله و أتوب إليه و هو لا يؤدي حقه و لا حق رسوله و لا حق الناس فيقول الرجل هذا من دون ذلك استهزاء بنفسه و يجر عليها ذنبا بكذبه كما روي أن بعض الناس اجتاز على رجل و هو يقول أستغفر الله و هو يشتم و يكرر الاستغفار و يشتم فقال السامع له استغفر الله من هذا الاستغفار و ترجع بل أنت تهزأ بنفسك .

و قال رسول الله (ص) أيها الناس توبوا إلى الله توبة نصوحا قبل أن تموتوا و بادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا و أصلحوا بينكم و بين ربكم تسعدوا و أكثروا من الصدقة ترزقوا و أمروا بالمعروف تحصنوا و انهوا عن المنكر تنتصروا يا أيها الناس إن أكيسكم أكثركم للموت ذكرا و إن أحزمكم أحسنكم استعدادا له و إن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور و الإنابة إلى دار الخلود و التزود لسكنى القبور و التأهب ليوم النشور و كان رسول الله (ص) يقول في دعائه اللهم اغفر لي كل ذنب علي إنك أنت التواب الرحيم و قيل إن إبليس قال و عزتك لا أزال أغوي و أدعو ابن آدم على المعصية ما دامت الروح في بدنه فقال الله تعالى و عزتي و جلالي لا أمنعه التوبة حتى يعزب بروحه و ما يقبض الله عبدا إلا بعد أن يعلم منه أنه لا يتوب لو أبقاه كما أخبر سبحانه عن جواب أهل النار من قولهم ربنا أرجعنا نعمل صالحا فقال تعالى وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ و كان رسول الله (ص) يستغفر الله في كل يوم سبعين مرة يقول أستغفر الله ربي و أتوب إليه

[46]

و كذلك أهل بيته (ع) و صالحوا أصحابه لقوله تعالى وَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ .

و قال رجل يا رسول الله إني أذنبت فقال استغفر الله فقال إني أتوب ثم أعود فقال كلما أذنبت استغفر الله فقال إذن تكثر ذنوبي فقال عفو الله أكثر فلا تزال تتوب حتى يكون الشيطان هو المدحور و قال إن الله تعالى أفرح بتوبة العبد منه لنفسه و قد قال إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ و قال رسول الله (ص) ما من عبد أذنب ذنبا فقام فتطهر و صلى ركعتين و استغفر الله إلا و غفر له و كان حقيقا على الله أن يقبله لأنه سبحانه قال وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً و قال إن العبد ليذنب فيدخل به الجنة قيل و كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه لا يزال يستغفر منه و يندم عليه فيدخله الله به الجنة و لم أر أحسن من حسنة حدثت بعد ذنب قديم إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ و قال إذا أذنب العبد كان نقطة سوداء على قلبه فإن هو تاب و أقلع و استغفر صفا قلبه منها و إن هو لم يتب و لم يستغفر كان الذنب على الذنب و السواد على السواد حتى يغمر القلب فيموت بكثرة غطاء الذنوب عليه و ذلك قوله تعالى بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ يعني الغطاء و العاقل يحسب نفسه قد مات و يسأل الله الرجعة ليتوب و يقلع و يصلح فأجابه الله فيجد و يجتهد و جاء في قوله تعالى وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الْأَدْنى دُونَ الْعَذابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ .

و قال المصائب في المال و الأهل و الولد و النفس دون العذاب الأكبر و العذاب الأكبر عذاب جهنم و قوله لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ يعني عن المعصية و هذا لا يكون إلا في الدنيا و أوحى الله تعالى إلى داود احذر أن آخذك على غرة فتلقاني بغير حجة يريد التوبة و روي أن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه قوله تعالى رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ و روي أنه و زوجته حواء رأيا على باب الجنة محمد و علي و فاطمة

[47]

و الحسن و الحسين صفوتي من الخلق فسألا الله بهم فتاب عليهم و التوبة على أربعة خصال ندم بالقلب و عزم على ترك العود و خروج من الحقوق و ترك بالجوارح و التوبة النصوح أن يتوب فلا يرجع فيما تاب عنه و التائب من الذنب كمن لا ذنب له و المصر على الذنب مع الاستغفار يستهزئ بنفسه و يسخر منه الشيطان و أن الرجل إذا قال أستغفرك يا رب و أتوب إليك ثم عاد ثم قال ثم عاد ثم قال كان في الرابعة من الكذابين.

و قال بعضهم كن وصي نفسك و لا تجعل الرجال أوصياءك و كيف تلومهم على تضييع وصيتك و قد ضيعتها أنت في حياتك و سمع أمير المؤمنين رجلا يقول أستغفر الله فقال ثكلتك أمك أ و تدري ما حد الاستغفار الاستغفار درجة العليين و هو اسم واقع على ستة معان أولها الندم على ما مضى و الثاني العزم على ترك العود إليه أبدا و الثالث أن تؤدي إلى المخلوقين حتى تلقى الله أملس و الرابع أن تعمد إلى كل فريضة ضيعتها فتؤدي حقها و الخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت و المعاصي فتذيبه و السادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول أستغفر الله و لقد أحسن بعضهم شعرا :

مضى أمسك الماضي شهيدا معدلا *** و أصبحت في يوم عليك شهيد

و إن كنت بالأمس اقترفت إساءة *** فثن بإحسان و أنت حميد

و لا تؤجل فعل الصالحات إلى غد *** لعل غدا يأتي و أنت فقيد

و قال آخر :

تمتع إنما الدنيا متاع *** و إن دوامها لا يستطاع

و قدم ما ملكت و أنت حي *** أمير فيه متبع مطاع

و لا يغرك من توصي إليه *** قصر وصية المرء الضياع

و ما لي أن أملك ذاك غيري *** و أوصيه به لو لا الخداع

و قال آخر :

إذا ما كنت متخذا وصيا *** فكن فيما ملكت وصي نفسك

[48]

ستحصد ما زرعت غدا و تجني *** إذا وضع الحساب ثمار غرسك

الباب الثاني عشر في ذكر الموت و مواعظه

قال الحسن بن أبي الحسن محمد الديلمي مصنف هذا الكتاب تغمده الله برحمته إنه من جعل الموت نصب عينيه زهده في الدنيا و هون عليه المصائب و رغبة في فعل الخير و حثه على التوبة و قيده عن الفتك و قطعه عن بسط الأمل في الدنيا و قل أن يعود يفرح قلبه بشيء من الدنيا و ما أنعم الله تعالى على عبد بنعمة أعظم من أن يجعل ذكر الدار الآخرة نصب عينيه و لهذا من الله على إبراهيم و ذريته (ع) بقوله تعالى إِنّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَة ذِكْرَى الدّارِ .

و قال رسول الله (ص) أكثروا من ذكر هادم اللذات فإنكم إن كنتم في ضيق وسعه عليكم فرضيتم به فأثبتم و إن كنتم في غنى بغضه إليكم فجدتم به فأجرتم إلا أن المنايا قاطعات الآمال و الليالي مدنيات الآجال و أن المرء عند خروج نفسه و حلول رمسه يرى جزاء ما قدم و قلة غنى ما خلف و لعله من باطل جمعه و من حق منعه .

و قال أمير المؤمنين (ع) من علم أن الموت مصدره و القبر مورده و بين يدي الله موقفه و جوارحه شهيدة له طالت حسرته و كثرت عبرته و دامت فكرته .

و قال (ص) من علم أنه يفارق الأحباب و يسكن التراب و يواجه بالحساب كان حريا بقطع الأمل و حسن العمل فاذكروا رحمكم الله قوله تعالى وَ جاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ يعني شاهدته ما بقي عندك فيه شك و لا ارتياب بعد ما كنت ناسيا له غير مكترث به فقال (ص) أ تدرون من أكيسكم قالوا لا يا رسول الله قال أكثركم و أحسنكم استعدادا له فقالوا و ما علامة ذلك يا رسول الله قال التجافي عن دار الغرور إلى دار الخلود و التزود لسكنى القبور و التأهب ليوم النشور و لقد أحسن من قال شعرا:

[49]

اذكر الموت هادم اللذات *** و تجهز لمصرع سوف يأتي

و قال آخر :

ما ذا تقول و ليس عندك حجة *** لو قد أتاك منغص اللذات

ما ذا تقول إذا دعيت و لم تجب *** فإذا تركت فأنت في غمرات

ما ذا تقول إذا حللت محله *** ليس الثقات لأهلها بثقات

الباب الثالث عشر في المبادرة في العمل

يقول مصنف هذا الكتاب رحمه الله انتبه أيها الإنسان من رقدتك و أفق من سكرتك و اعمل و أنت في مهل قبل حلول الأجل و جد مما في يديك لما بعد موتك فإن أمامك عقبة كئود لا يقطعها إلا المخفون فأحسن الاستعداد لها من دار تدخلها عريانا و تخرج منها عريانا كما قال تعالى وَ لَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادى كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّة وَ تَرَكْتُمْ ما خَوَّلْناكُمْ وَراءَ ظُهُورِكُمْ وَ ما نَرى مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ .

و قال النبي (ص) اعملوا في الصحة قبل السقم و في الشباب قبل الهرم و في الفراغ قبل الشغل و في الحياة قبل الموت و قد نزل جبرئيل (ع) إلي و قال لي يا محمد ربك يقرئك السلام و يقول لك كل ساعة تذكرني فيها فهي لك عندي مدخرة و كل ساعة لا تذكرني فيها فهي منك ضائعة و أوحى الله تعالى إلى داود (ع) يا داود كل ساعة لا تذكرني فيها عدمتها من ساعة .

و قال أمير المؤمنين (ع) إن امرأ ضيع من عمره ساعة في غير ما خلق له الجدير أن يطول عليها حسرته يوم القيامة و قد روي أن شابا ورث من أبيه مالا جزيلا فجعل يخرجه في سبيل الله فشكت أمه ذلك إلى صديق كان لأبيه و قالت إني أخاف عليه الفقر فأمره ذلك الصديق أن يستبقي لنفسه من الأموال فقال له الشاب ما تقول في رجل ساكن في ربط البلد و قد عزم على أن يتحول

إلى داخل المدينة فجعل يبعث غلمانه برحله و متاعه إلى داره بالمدينة فذلك خير أم كان يرحل بنفسه و يترك متاعه خلفه لا يدري يبعث به إليه فعرف الصديق أنه صادق في مثاله ذلك فأمره بإنفاقه في الصدقات فعليك يا أخي بدوام الصدقات فدوامها من دليل سعادات الدنيا و الآخرة و لا تحقرن قليلها فإن قليلها ينتظم إلى قليل مثله فيصير كثيرا و بادر بإخراج الزكاة إذا وجبت من المال تطوعا فإن الصدقة لا تخرج من يد المؤمن حتى يفك بها سبعين شيطانا كلهم ينهونه عن إخراجها و لا تستكثر يا أخي ما تعطيه في الصدقة و طاعة الله إذا استكبرها المؤمن صغرت عند الله و إذا صغرت عند المؤمن كبرت عند الله .

و في الخبر أن موسى (ع) قال لإبليس أخبرني بالذنب الذي إذا عمله ابن آدم استحوذت عليه فقال إذا أعجبته نفسه و استكبر عمله و صدقته و نسي ذنوبه استحوذت عليه و إياك ثم إياك أن تنهر سائلا أو ترده خائبا و لو بشق تمرة و إن ألح في السؤال بل رده ردا جميلا إذا لم يكن شيء تعطيه فإنه أبقى لنعمة الله عليك فإنه ربما كان السائل ملكا بعثه الله إليك في صورة آدمي يختبرك به ليرى كيف تصنع بما رزقك و أعطاك ففي الحديث أن الله تعالى لما ناجى موسى قال يا موسى أنل السائل و لو باليسير و إلا فرده ردا جميلا فإنه يأتيك من ليس بإنس و لا جان بل ملائكة من ملائكة الرحمن يسألونك عما حق لك و يختبرونك فيما رزقك .

و روي أن بعض العلماء كان جالسا في المجلس و حوله أصحابه فدخل مسكين فسأل شيئا فقال لهم العالم أ تدرون ما يقول لكم هذا المسكين يقول أعطوني أحمل لكم إلى الدار الآخرة يكون لكم ذخيرة تقدمون عليه غدا في عرصة المحشر فيا أخي يجب عليك أن تبعث معهم شيئا جزيلا من مالك إلى دار البقاء ليكون ثوابك غدا الجنة في دار النعيم الباقي الدائم و لله در القائل حيث يقول :

يا صاح إنك راحل فتزود *** فعساك في ذي اليوم ترحل أو غد

لا تفعلن فالموت ليس بغافل *** هيهات بل هو للأنام بمرصد

فليأتين منه عليك بساعة *** فتود أنك قبلها لم تولد

[51]

و لتخرجن إلى القبور مجردا * مما شقيت بجمعه صفر اليد**

و قال الخليل بن أحمد لصديق له من الأغنياء إنما تجمع مالك لأجل ثلاثة أنفس كلهم أعداؤك إما زوج امرأتك بعدك أو زوج ابنتك أو زوجة ابنك و كلهم يتمنى موتك و لا يستطيل عمرك فإن كنت عاقلا ناصحا لنفسك فخذ مالك معك زادا و لا تؤثر أحد هؤلاء على نفسك و لقد أجاد الشاعر حيث قال :

تورع ما حرم الله و امتثل * أوامره و انظر غدا ما أنت عامله**

فأنت بذي الدار لا شك تاجر * لدار غد فانظر غدا من تعامله**

و قال رجل صالح لبعض العلماء أوصني قال أوصيك بشيء واحد اعلم أن الليل و النهار يعملان فيك فاعمل أنت فيهما و هذا القول إذا تدبره العاقل علم أنه أبلغ العظات و قيل لعالم ما أحمد الأشياء و أحلاها في قلب المؤمن قال شيء واحد و هو ثمرة العمل الصالح قيل له فما نهاية السرور قال الأمن من الوجل عند حلول الأجل ثم تمثل بهذين البيتين :

ولدتك إذ ولدتك أمك باكيا * و الناس حولك يضحكون سرورا**

فاجهد لنفسك أن تكون إذا بكوا * في يوم موتك ضاحكا مسرورا**

و قال رجل للصادق (ع) أوصني قال له أعد جهازك و أكثر من زادك لطول سفرك و كن وصي نفسك و لا تكن تأمن غير أن يبعث بحسناتك إلى قبرك فإنه لن يبعثها أحد من ولدك إليك فما أبين الحق لذي عينين أن الرحيل أحد اليومين تزودوا من صالح الأعمال و تصدقوا

من خالص الأموال فقد دنا الرحلة و الزوال شعر :

خرجت من الدنيا فقامت قيامتي * غداة أقل الحاملون جنازتي**

و عجل أهلي حفر قبري فصيروا * خروجي عنهم من أجل كرامتي**

يجب على العاقل أن يحافظ على أول أوقات الصلاة و يسارع إلى فعل الخيرات فيكثر من أعمال البر و الصدقات فإن العمر لحظات و يقال فلان قد مات فإذا عاين في قبره الأهوال و الحسرات قال أعيدوني إلى الدنيا لأتصدق بمالي فيقال هيهات فاغتنم أيها اللبيب ما بقي لك من الأوقات فإن بقية عمرك لا بقاء لها

[52]

فاستدرك بها ما فات و اجتهد أن تجعل بصرك لأخراك فهو أعود عليك من نظرك إلى دنياك فإن الدنيا فانية و الأخرى باقية و السعيد من استعد لما بين يديه و أسلف عملا صالحا يقدم عليه قبل نزول المنون يوم لا ينفع مال و لا بنون شعر:

و بادر شبابك أن يهرما *** و صحة جسمك أن يسقما

و أيام عزك قبل الممات *** فما كل من عاش أن يسلما

و قدم فكل امرئ قادم *** على كل ما كان قد قدما

أقول في جمع المال و البخل به على نفسه و إنفاقه في مرضات الله تعالى كما قال تعالى في كتابه وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ و في الخبر عن النبي (ص) قال يصور الله تعالى مال أحدكم شجاعا أقرع فيطوق في حلقه و يقول أنا مالك الذي منعتني إن تتصدق بي ثم ينهشها بأنيابه فيصيح عند ذلك صياحا عظيما ثم عليك يا طالب الجنة و نعيمها بترك حب الدنيا و زينتها لأن الله تعالى قد ذمها في كتابه العزيز فقال مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَ هُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ أي لا ينقصون من المال و الجاه أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْ آخِرَةِ إِلَّا النّارُ وَ حَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها و الإحباط هو إبطال أعمالهم في الدنيا و قال الله تعالى مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً و قال تعالى مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْ آخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَ مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَ ما لَهُ فِي الْ آخِرَةِ مِنْ نَصِيب و حرث الآخرة هو العمل للآخرة الذي يستحق به العبد دخول الجنة لأن الحرث هو زرع الأرض و قال بعض الصالحين شعرا :

و ما الناس إلا هالك و ابن هالك *** و ذو نسب في الهالكين عريق

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت *** له عن عدو في ثياب صديق

و قال آخر :

كأحلام نوم أو كظل زائل *** إن اللبيب بمثلها لا يخدع

و قال النبي (ص) إن أهل الجنة لا يندمون على شيء من أمور الدنيا إلا على

ساعة مرت بهم في الدنيا لم يذكروا الله تعالى فيها .

و قال (ص) ما من يوم يمر إلا و الباري عز و جل ينادي عبدي ما أنصفتني أذكرك و تنسى ذكري و أدعوك إلى عبادتي و تذهب إلى غيري و أرزقك من خزانتي و آمرك لتتصدق لوجهي فلا تطيعني و أفتح عليك أبواب الرزق و أستقرضك من مالي فتجبهني و أذهب عنك البلاء و أنت معتكف على فعل الخطايا يا ابن آدم ما يكون جوابك لي غدا إذا أجبتني و قال بعض العلماء يا أخي إن الموتى لم يبكوا من الموت لأنه محتوم لا بد منه و إنما يبكون من حسرة الفوت كيف يتزودون من الأعمال الصالحة التي يستحقون بها الدرجات العلى و لأنهم ارتحلوا من دار لم يتزودوا منها و حلوا بدار لم يعمروها فيقولون حينئذ يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللّهِ .

و قال (ص) ما من ليلة إلا و ملك الموت ينادي يا أهل القبور لمن تغبطون اليوم و قد عاينتم هول المطلع فيقول الموتى إنما نغبط المؤمنون في مساجدهم لأنهم يصلون و لا نصلي و يؤتون الزكاة و لا نزكي و يصومون شهر رمضان و لا نصوم و يتصدقون بما فضل عن عيالهم و نحن لا نتصدق .

و قال لقمان لابنه يا بني إن كنت تحب الجنة فإن ربك يحب الطاعة فأحب ما يحب و إن كنت تكره النار فإن ربك يكره المعصية فأكره ما يكرهه لينجيك مما تكره و اعلم أن من وراء الموت ما هو أعظم و أدهى قال الله تعالى في محكم كتابه وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلّا مَنْ شاءَ اللّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ .

و قد روى الثقة عن زين العابدين (ع) أن الصور قرن عظيم له رأس واحد و طرفان و بين الطرف الأسفل الذي يلي الأرض إلى الطرف الأعلى الذي يلي السماء مثل ما بين تخوم الأرضين السابعة إلى فوق السماء السابعة فيه أثقاب بعدد أرواح الخلائق وسع فمه ما بين السماء و الأرض و له في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع و نفخة الموت و نفخة البعث فإذا أفنيت أيام الدنيا أمر الله عز و جل إسرافيل أن ينفخ فيه نفخة الفزع فرأت الملائكة إسرافيل و قد هبط و معه الصور قالوا

[54]

قد أذن الله في موت أهل السماء و الأرض فيهبط إسرافيل عند بيت المقدس مستقبل الكعبة فينفخ في الصور نفخة الفزع قال الله تعالى وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلّا مَنْ شاءَ اللّهُ وَ كُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ إلى قوله تعالى مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ و تزلزلت الأرض و تذهل كل مرضعة عما أرضعت و تضع كل ذات حمل حملها و يصير الناس يميدون و يقع بعضهم على بعض كأنهم سكارى و ما هم بسكارى و لكن من عظيم ما هم فيه من الفزع و تبيض لحى الشبان من الفزع و تطير الشياطين هاربة إلى أقطار الأرض و لو لا أن الله تعالى يمسك أرواح الخلائق في أجسادهم لخرجت من هول تلك النفخة فيمكثون على هذه الحالة ما شاء الله تعالى ثم يأمر الله تعالى إسرافيل أن ينفخ في الصور نفخة الصعق فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض إنس و لا جن و لا شيطان و لا غيرهم ممن له روح إلا صعق و مات و يخرج الصوت من الطرف الذي يلي السماء فلا يبقى في السماوات ذو روح إلا مات قال الله تعالى إِلّا مَنْ شاءَ اللّهُ و هو جبرائيل و ميكائيل و إسرافيل و عزرائيل فأولئك الذين شاء الله فيقول الله تعالى يا ملك الموت من بقي من خلقي فقال يا رب أنت الحي الذي لا يموت بقي جبرائيل و ميكائيل و إسرافيل و بقيت أنا فيأمر الله بقبض أرواحهم فيقبضها ثم يقول الله يا ملك الموت من بقي فيقول ملك الموت بقي عبدك الضعيف المسكين ملك الموت فيقول الله مت يا ملك الموت بإذني فيموت ملك الموت و يصيح عند خروج روحه صيحة عظيمة لو سمعها بنو آدم قبل موتهم لهلكوا و يقول ملك الموت لو كنت أعلم أن في نزع أرواح بني آدم هذه المرارة و الشدة و الغصص لكنت على قبض أرواح المؤمنين شفيقا فإذا لم يبق أحد من خلق الله في السماء و الأرض نادى الجبار جل جلاله يا دنيا أين الملوك و أبناء الملوك أين الجبابرة و أبناؤهم و أين من ملك الدنيا بأقطارها أين الذين كانوا يأكلون رزقي و لا يخرجون من أموالهم حقي ثم يقول لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ فلا يجيبه أحد فيجيب هو عن نفسه فيقول لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ ثم يأمر الله السماء فتمور أي تدور بأفلاكها و نجومها كالرحى و يأمر الجبال فتسير

[55]

كما تسير السحاب ثم تبدل الأرض بأرض أخرى لم يكتسب عليها الذنوب و لا سفك عليها دم بارزة ليس عليها جبال و لا نبات كما دحاها أول مرة و كذا تبدل السماوات كما قال الله تعالى يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّماواتُ وَ بَرَزُوا لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ و يعيد

عرشه على الماء كما كان قبل خلق السماوات و الأرض مستقلا بعظمته و قدرته ثم يأمر الله السماء أن تمطر على الأرض حتى يكون الماء فوق كل شيء اثني عشر ذراعا فتنبت أجساد الخلائق كما ينبت البقل فتتدانى أجزاؤهم التي صارت ترابا بعضها إلى بعض بقدرة العزيز الحميد حتى أنه لو دفن في قبر واحد ألف ميت و صارت لحومهم و أجسادهم و عظامهم النخرة كلها ترابا مختلطة بعضها في بعض لم يختلط تراب ميت بميت آخر لأن في ذلك القبر شقيا و سعيدا جسد ينعم بالجنة و جسد يعذب بالنار نعوذ بالله منها ثم يقول الله تعالى لنحيي جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل و عزرائيل و حملة العرش فيحيون بإذن الله فيأمر الله إسرافيل أن يأخذ الصور بيده ثم يأمر الله أرواح الخلائق فتأتي فتدخل في الصور ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ في الصور للحياة و بين النفختين أربعين سنة قال فتخرج الأرواح من أثقاب الصور كأنها الجراد المنتشر فتملأ ما بين السماء و الأرض فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد و هم

نيام في القبور كالموتى فتدخل كل روح في جسدها فتدخل في خياشيمهم فيحيون بإذن الله تعالى فتنشى الأرض عنهم كما قال يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ سِراعاً كَأَنَّهُمْ إِلى نُصُب يُوفِضُونَ خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ و قال تعالى ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ ثم يدعو إلى عرصة المحشر فيأمر الله الشمس أن تنزل من السماء الرابعة إلى السماء الدنيا قريب حرها من رءوس الخلق فيصيبهم من حرها أمر عظيم حتى يعرفون من شدة حرها كربها حتى يخوضون في عرقهم ثم يبعثون على ذلك حفاة عراة عطاشا و كل واحد دالع لسانه على شفتيه قال فيبكون عند ذلك حتى ينقطع الدمع ثم يبكون بعد الدموع دما قال الراوي و هو الحسن بن محبوب يرفعه إلى يونس بن أبي فاختة قال رأيت

[56]

زين العابدين (ع) عند بلوغه المكان ينتحب و يبكي بكاء الثكلى و يقول آه ثم آه على عمري كيف ضيعته في غير عبادة الله و طاعته لأكون من الناجين الفائزين قلت و ذلك في تفسير قوله تعالى آخر سورة المؤمنين حَتّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ يعني فيما تركته ورائي لوراثي فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصّالِحِينَ فيقول له ملك الموت كَلّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها أي كلا لا رجوع لك إلى دار الدنيا و قوله إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها أي قال هذه الكلمة لما شاهده من شدة سكرات الموت و أهوال ما عاينه من عذاب القبر و هول المطلع و من هول سؤال منكر و نكير قال الله تعالى وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ أي لو ردوا إلى دار الدنيا و مددنا لهم في العمر لعادوا إلى ما كانوا عليه من بخلهم بأموالهم فلم يتصدقوا و لم يطعموا الجيعان و لم يكسوا العريان و لم يواسوا الجيران بل يطيعون الشيطان في البخل و ترك الطاعة ثم قال تعالى وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ و البرزخ في التفسير القبر ثم قال تعالى فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذ وَ لا يَتَساءَلُونَ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَ مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النّارُ الآية قوله فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ ففي الخبر الصحيح عن النبي (ص) أن الخلائق إذا عاينوا القيامة و دقة الحساب و أليم العذاب فإن الأب يومئذ يتعلق بولده فيقول أي بني كنت لك في دار الدنيا أ لم أربك و أغذيك و أطعمك من كدي و أكسيك و أعلمك الحكم و الآداب و أدرسك آيات الكتاب و أزوجك كريمة من قومي و أنفقت عليك و على زوجتك في حياتي و آثرتك على نفسي بمالي بعد وفاتي فيقول صدقت فيما قلت يا أبي فما حاجتك فيقول يا بني إن ميزاني قد خفت و رجحت سيئاتي على حسناتي و قالت الملائكة يحتاج كفة حسناتك إلى حسنة واحدة حتى ترجع بها و إني أريد أن تهب لي حسنة واحدة أثقل بها ميزاني في هذا اليوم العظيم خطره قال فيقول الولد لا و الله يا أبت إني أخاف مما خفته أنت و لا أطيق أعطيك من حسناتي شيئا قال فيذهب عنه الأب باكيا نادما على ما كان أسدى إليه في

[57]

دار الدنيا و كذلك قيل الأم تلقى ولدها في ذلك اليوم فتقول يا بني أ لم يكن بطني لك وعاء فيقول بلى يا أماه فتقول أ لم يكن ثديي لك سقاء فيقول بلى يا أماه فتقول له إن ذنوبي أثقلتني فأريد أن تحمل عني ذنبا واحدا فيقول إليك عني يا أماه فإني مشغول بنفسي فترجع عنه باكية و ذلك تأويل قوله تعالى فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذ وَ لا يَتَساءَلُونَ قال و يتعلق الزوج بزوجته فيقول يا فلانة أي زوج كنت لك في الدنيا فتثني عليه خيرا و تقول نعم الزوج كنت لي فيقول لها أطلب منك حسنة واحدة لعلي أنجو بها مما ترين من دقة الحساب و خفة الميزان و الجواز على الصراط فتقول له لا و الله إني لا أطيق ذلك و إني لأخاف مثل ما تخافه أنت فيذهب عنها بقلب حزين حيران و ذلك ورد في تأويل قوله تعالى وَ إِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلى حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى يعني أن النفس المثقلة بالذنوب تسأل أهلها و قرابتها أن يحملوا عنها شيئا من حملها و ذنوبها فإنهم لا يحملونه بل يكون حالهم يوم القيامة نفسي نفسي كما قال تعالى يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ وَ صاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذ شَأْنٌ يُغْنِيهِ .

قال رسول الله (ص) أخبرني جبرائيل قال بينما الخلائق وقوف في عرصة القيامة إذ أمر الله تعالى ملائكة النار أن يقودوا جهنم فيقودها سبعون ألف ملك بسبعين ألف زمام فيجد الخلائق حرها و وهجها من مسيرة شهر للراكب المجد و قد تطاير شررها و علا زفيرها فإذا دنت من عرصة القيامة صارت ترمى بشرر كالقصر فلا يبقى يومئذ أحد من سائر الخلق إلا و يخر على وجهه و كل منهم ينادي يا رب نفسي نفسي إلا أنت يا نبي الله فإنك قائم تقول يا رب نجني و ذريتي و شيعتي و محب ذريتي قال فيطلب النبي أن تتأخر عنهم جهنم فيأمر الله تعالى خزنة جهنم أن يرجعوها إلى حيث أتت منه و ذلك في تفسير قوله تعالى في سورة الفجر وَ جِيءَ يَوْمَئِذ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ وَ أَنّى لَهُ الذِّكْرى يعني يومئذ أي يوم القيامة و معنى يتذكر أي ابن آدم يتذكر ذنوبه و معاصيه و يندم كيف ما قدم ماله ليقدم عليه يوم القيامة و قوله تعالى وَ أَنّى لَهُ الذِّكْرى أي

[58]

أنى له الذكرى يوم القيامة حيث ترك الذكرى في دار الأعمال و ما تذكر إلا في دار الجزاء فما عاد تنفعه الذكرى و قوله يحكي عن ابن آدم يَقُولُ يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَياتِي أي قدمت أمامي فتصدقت به لوجه ربي و تزيدت من عمل الخير و الصلاة و العبادات و التسبيح و ذكر الله تعالى حتى نلت به في هذا اليوم درجات العلى في الآخرة و النعيم الدائم في أعلى الجنان مع الشهداء و الصالحين و إنما سمى الله تعالى الآخرة الحياة لأن نعيم الجنة خالد دائم لا نفاد له باق ببقاء الله تعالى بخلاف الدنيا فإن الحياة فيها منقطعة مع أنه مشوب بالهم و الغم و المرض و الخوف و الضعف و الشيب و الدين و غير ذلك فاستيقظ يا أخي من نومك و اخرج من غفلتك و حاسب نفسك قبل يوم الحساب و اخرج من تبعات العباد و صالح الذين أخذت منهم الربا و اعتذر إلى من قذفته بالزناء و اغتبته و نلت من عرضه فإن العبد ما دام في الدنيا تقبل توبته إذا تاب من ذنوبه و إذا اعتذر من غرمائه رحموه و عفوا عنه و أسقطوا عنه حقوقهم الذي عليه فأما في الآخرة فلا حق يوهب و لا معذرة تقبل و لا ذنب يغفر و لا بكاء ينفع .

و قال (ع) ما فزع امرؤ فزعة إلا كانت فزعته عليه حسرة يوم القيامة فما خلق امرؤ ليلهو و انظروا إلى قوله تعالى أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً و قال تعالى أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً و اعلموا أيها الإخوان أن العمر منجو عظيم مريح و كل نفس منه جوهرة و كيف لا يكون كذلك و قد قال رسول الله (ص) من قال أشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له إلها واحدا أحدا فردا صمدا لم يتخذ صاحبه و لا ولدا كتب الله له بكلماته خمسا و أربعين ألف ألف حسنة و محا عنه أربعين ألف ألف سيئة و رفع له خمسا و أربعين ألف ألف درجة في عليين فقال له جبرائيل يا رسول الله كل شيء يحصى حسابه إلا قول الرجل لا إله إلا الله وحده لا شريك له فإنه لا يحصى ثوابه إلا الله تعالى ادخر لك و لأمتك فاذكروني أذكركم و إن الله سبحانه يقول أهل ذكرى في ضيافتي و أهل طاعتي في نعمتي و أهل شكري في زيارتي و أهل معصيتي لا أؤيسهم من رحمتي إن تابوا فأنا أجيبهم و إن مرضوا فأنا طبيبهم أداويهم بالمحن و المصائب لأطهرهم

[59]

من الذنوب و المعايب .

و قال علي بن الحسين (ع) العقل دليل الخير و الهوى مركب المعاصي والفقه وعاء العمل و الدنيا سوق الآخرة و النفس تاجرة والليل و النهار رأس المال و المكسب الجنة و الخسران النار هذا و الله التجارة التي لا تبور و البضاعة التي لا تخسر و قال مثله (ص) وسوق الفائزين من شيعته و شيعة آبائه و أبنائه (ع) و لقد جمع الله هذا كله بقوله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ و قال سبحانه و تعالى رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ و

قال تعالى فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّى عَنْ ذِكْرِنا وَ لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَياةَ الدُّنْيا ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ و قال تعالى وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَ اتَّبَعَ هَواهُ وَ كانَ أَمْرُهُ فُرُطاً .

و قال أمير المؤمنين (ع) إن الله تعالى جعل الذكر جلاء للقلوب تسمع به بعد الوقرة و تبصر به بعد الغشوة و تقاد به بعد المعاندة و شرح الله عزت أسماؤه في البرهة بعد البرهة و في أزمان الفترات صدور عباد ناجاهم في قلوبهم و كلمهم في ذات عقولهم فأصبحوا بنوره يقظة في الأسماع و الأبصار و الأفئدة يذكرون بأيام الله يخوفون مقامه بمنزلة الأدلة في القلوب فمن أخذ القصد حمدوا إليه الطريق و بشروه بالنجاة و من أخذ يمينا و شمالا لزموا إليه الطريق و حذروه من الهلكة كانوا لذلك مصابيح تلك الظلمات و أدلة تلك الشبهات و أن المذكر أهلا أخذوه بدلا من الدنيا فلم تشغلهم تجارة و لا بيع عنه يقطعون به أيام الحياة و يهتفون بالزواجر عن محارم الله في أسماء الغافلين يأمرون بالمعروف و يأتمرون به و ينهون عن المنكر و يتناهون عنه فكأنما قطعوا الدنيا إلى الآخرة و هم فيها فشاهدوا ما وراء ذلك و كأنما اطلعوا على عيوب أهل البرزخ في طول الإقامة فيه و حققت القيامة عليهم عذابها فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس و يسمعون ما لا يسمعون فلو مثلتهم بعقلك في مقاماتهم المحمودة و مجالسهم المشهودة قد نشروا دواوين أعمالهم ففزعوا للحساب على كل صغيرة و كبيرة أمروا فيها فقصروا عنها أو نهوا عنها ففرطوا فيها و حملوا أوزارهم

[60]

على ظهورهم فضعفوا عن الاستقلال بها فنشجوا نشيجا و تجاوبوا نجيبا يعجون إلى الله من مقام ندم و اعتراف بذنب لرأيت أعلام هدى و مصابيح دجى قد حفت بهم الملائكة و نزلت عليهم السكينة و فتحت لهم أبواب السماء و أعدت لهم مقاعد الكرامات في مقعد اطلع الله عليهم فيه فرضي سعيهم و حمد مقامهم يتنسمون بدعائه روح التجاوز رهائن فاقة إلى فضله و أسارى ذلة لعظمته جرح طول الأذى قلوبهم و أقرح طول البكاء عيونهم لكل باب رغبة إلى الله منهم يد تارعة يسألون من لا تضيق لديه المنادح و لا يخيب عليه السائلون فحاسب نفسك لنفسك فإن غيرها من النفوس لها حسيب غيرك.

و روي عن النبي (ص) قال ارتعوا في رياض الجنة فقالوا و ما رياض الجنة فقال الذكر غدوا و رواحا فاذكروا و من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فإن الله تعالى ينزل العبد حيث أنزل الله العبد من نفسه ألا إن خير أعمالكم و أذكارها عند مليككم و أرفعها عند ربكم في درجاتكم و خير ما اطلعت عليه الشمس ذكر الله سبحانه و تعالى و قد أخبر عن نفسه فقال أنا جليس من ذكرني و أي منزلة أرفع منزلة من جليس الله تعالى و روي أنه ما اجتمع قوم يذكرون الله تعالى إلا اعتزل الشيطان عنهم و الدنيا فيقول الشيطان للدنيا أ لا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فلو قد تفرقوا أخذت بأعناقهم و قال (ص) يقول الله تعالى من أحدث و لم يتوضأ فقد جفاني و من أحدث و توضأ و لم يصل ركعتين و لم يدعني فقد جفاني و من أحدث و توضأ و صلى ركعتين و دعاني فلم أجبه فيما يسأل عن أمر دينه و دنياه فقد جفوته و لست برب جاف و روي أنه إذا كان آخر الليل يقول الله تعالى هل من داع فأجيبه هل من سائل فأعطيه سؤاله هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأتوب عليه .

و روي أن الله تعالى أوحى إلى داود (ع) يا داود من أحب حبيبا صدق قوله و من أنس بحبيب قبل قوله و رضي فعله و من وثق بحبيب اعتمد عليه و من اشتاق إلى حبيب جد في المسير إليه يا داود ذكري للذاكرين و جنتي للمطيعين و زيارتي للمشتاقين و أنا خاصة للمحبين

[61]

و قال (ع) على كل قلب خادم من الشيطان فإذا ذكر الله تعالى خنس و إذا ترك الذكر التقمه فجذبه و أغواه و استنزله و أطغاه و روى كعب الأحبار قال أوحى الله إلى نبي من أنبيائه إن أردت أن تلقاني غدا في حظيرة القدس فكن ذاكرا غريبا محزونا مستوحشا كالطير الوحداني الذي يطير في الأرض المقفرة و يأكل من رءوس الأشجار المثمرة فإذا جاءه الليل أوى إلى وكره و لم يكن مع الطير استيحاشا منه و استيناسا بربه .

و قال رسول الله (ص) إن الملائكة يمرون على مجالس الذكر فيقفون على رءوسهم و يبكون لبكائهم و يؤمنون على دعائهم و إذا صعدوا إلى السماء يقول الله تعالى ملائكتي أين كنتم و هو أعلم بهم فيقولون ربنا أنت أعلم كنا حضرنا مجلسا من مجالس الذكر فرأيناهم يسبحونك و يقدسونك و يستغفرونك يخافون نارك و يرجون ثوابك فيقول سبحانه أشهدكم أني قد غفرت لهم و آمنتهم من ناري و أوجبت لهم جنتي فيقولون ربنا تعلم أن فيهم من لم يذكرك فيقول سبحانه قد غفرت له بمجالسة أهل ذكري فإن الذاكرين لا يشقى بهم جليسهم و روي عن بعض الصالحين أنه قال نمت ذات ليلة فسمعت هاتفا يقول أ تنام عن حضرة الرحمن و هو يقسم الجوائز بالرضوان بين الأحبة و الخلان فمن أراد منا المزيد فلا ينام ليله الطويل و لا يقنع من نفسه بالقليل .

و قال كعب الأحبار مكتوب في التوراة يا موسى من أحبني لم ينسني و من رجا معروفي ألح في مسألتي يا موسى لست بغافل عن خلقي و لكن أحب أن تسمع ملائكتي ضجيج الدعاء و ترى حفظتي تقرب بني آدم إلي بما أنا مقويهم عليه و مسببه لهم يا موسى قل لبني إسرائيل لا تبطرنكم النعمة فيعاجلكم السلب و لا تغفلوا عن الذكر و الشكر فتسلبوا النعم و يحل بكم الذل و ألحوا بالدعاء تشملكم الإجابة و يهنئكم النعمة بالعافية و جاء في قوله تعالى اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ قال يطاع فلا يعصى و يذكر فلا ينسى و يشكر فلا يكفر و قال رسول الله (ص) لأبي ذر يا أبا ذر أقلل من الشهوات يقلل عليك الفقر و أقلل من الذنوب يخفف عليك الحساب و اقنع بما أوتيته يسهل عليك الموت و قدم

[62]

مالك أمامك يسرك اللحاق به و انظر العمل الذي تحب أن يأتيك الموت و أنت عليه فاعمله و لا تتشاغل عما فرض عليك بما ضمن لك و أسع لملك لا زوال له في منزل لا انتقال عنه .

الباب الرابع عشر في حال المؤمن عند موته

قال النبي (ص) إن المؤمن إذا حضره الموت جاءت إليه ملائكة الرحمن بجريدة بيضاء فيقولون لنفسه اخرجي راضية مرضية إلى روح و ريحان و رب غير غضبان فتخرج كالطيب من المسك حتى يتناولها بعض من بعض فينتهي بها إلى باب السماء فيقول سكانها ما أطيب رائحة هذه النفس و كلما صعدوا بها من سماء إلى سماء قال أهلها مثل ذلك حتى يؤتى بها إلى الجنة مع أرواح المؤمنين فتستريح من غم الدنيا و أما الكافر فتأتيه ملائكة العذاب فيقولون لنفسه اخرجي كارهة مكروهة إلى عذاب الله و نكاله و رب عليك غضبان قال النبي (ص) أ ما ترون المحتضر يشخص ببصره قالوا بلى قال يتبع بصره نفسه .

و قال النبي ما من بيت إلا و ملك الموت يأتيه في كل يوم خمس مرات فإذا وجد الرجل قد انقطع أجله و نفد أكله ألقي عليه غم الموت فغشيته كرباته و غمرته غمراته فمن أهل بيته الناشرة شعرها و الضاربة وجهها و الباكية شجوها و الصارخة بويلها فيقول ملك الموت ويلكم فما الجزع و الفزع و الله ما أذهبت لواحد منكم رزقا و لا قربت له أجلا و لا أتيته حتى أمرت و لا قبضت روحه حتى استأمرت و إن لي فيكم عودة ثم عودة حتى لا يبقى منكم أحد ثم قال و الذي نفسي بيده لو يرون مكانه و يسمعون كلامه لذهلوا عن

ميتهم و لبكوا على نفوسهم حتى إذا حمل الميت في نعشه رفرفت روحه فوق نعشه تنادي يا أهلي و يا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي مال جمعته من حلة و من غير حلة و خلفته لكم فالمهنأ لكم و التبعة علي فاحذروا مثل ما قد نزل بي و لقد أحسن القائل شعرا :

لقد لهوت و حد الموت في طلبي *** و إن في الموت لي شغلا عن اللعب

لو شمرت فكرتي فيما خلقت *** له ما اشتد حرصي على الدنيا و لا طلبي

[63]

و قال الوراق :

أبقيت مالك ميراثا لوارثه *** فليت شعري ما أبقى لك المال

القوم بعدك في حال يسرهم *** فكيف بعدهم حالت بك الحال

ملوا البكاء فما يبكيك من أحد *** و استحكم القيل في الميراث و القال

آنستهم العهد دنيا أقبلت لهم *** و أدبرت عنك و الأيام أحوال

و قال آخر :

هون الدنيا و ما فيها عليك *** و اجعل الهم لما بين يديك

إن هذا الدهر يدنيك إلى *** ملك الموت و يدنيه إليك

فاجعل العدة ما عشت له *** إنه يأتيك إحدى ليلتيك

و قال سلمان ره أضحكني ثلاث و أبكاني ثلاث غافل و ليس بمغفول عنه و ضاحك ملاقيه و الموت يطلبه و مؤمل الدنيا و لا يدرى أجله و أبكاني فراق الأحبة و هول المطلع و الوقوف بين يدي الله تعالى لا أدري أ ساخط هو أم راض و اعلموا رحمكم الله إنما يتوقع الصحيح سقما يرديه و موته من البلاء يدنيه فكأنه لم يكن في الدنيا ساكن و إليها راكن نزل به الموت فأصبح بين أهله و ولده لا يفهم كلاما و لا يرد سلاما قد اصفر وجهه و شخص بصره و حشرج صدره و يبس ريقه و اضطربت أوصاله و قلقت أحشاؤه و الأحبة حوله يرى و لا يعرف و يسمع فلا يرد و ينادي فلا يجيب خلف القصور و خلت منه الدور و حمل إلى أعناق الرجال يسرعون به إلى محل الأموات و دار الخسران و بيت الوحدة و الغربة و الوحشة ثم قسموا أمواله و سكنوا داره و تزوجوا أزواجه و حصل هو برمسه فرحم الله من جعل الهم هما واحدا و أكل قوته و أحسن عمله و قصر أمله و روي أنه إذا حمل عدو الله إلى قبره نادى إلى من تبعه يا إخوتاه احذروا مثل ما قد وقعت فيه إني أشكو دنيا غرتني حتى إذا اطمأننت إليها وضعتني و أشكو إليكم إخلاء الهوى إذا وافقتهم تبرءوا مني و خذلوني و أشكو إليكم أولاد آثرتهم على نفسي و أسلموني و أشكو إليكم مالا كدحت في جمعه في البر و البحر و قاسيت الأهوال فأخذه أعدائي و صار وبالا علي و عاد نفعه لغيري و أصبحت مرتهنا به و أشكو إليكم

[64]

بيت الوحدة و الوحشة و الظلمة و المساءلة عن الصغيرة و الكبيرة فاحذروا مثل ما قد نزل بي فوا طول بلائي و عظيم عنائي ما لي من شفيع و لا حميم .

و كان رسول الله (ص) إذا دخل الجبانة يقول السلام عليكم أيها الأبدان البالية و العظام النخرة التي خرجت من الدنيا بحسراتها و حصلت منها برهنها اللهم أدخل عليهم روحا منك و سلاما منا و منك يا أرحم الراحمين و قال عبد الله الجرهمي و كان من المعمرين تبعت يوما جنازة فخنقتني العبرة فأنشدت شعرا :

يا قلب إنك في الدنيا لمغرور *** فاذكر و هل ينفعن اليوم تذكير

فبينما المرء في الأحياء مغتبطا *** إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير

يبكي الغريب عليه ليس يعرفه *** و ذو قرابته في الحي مسرور

فاسترزق الله خيرا ثم ارض به *** فبينما العسر إذ دارت مياسير

و قال رجل من أصحاب الجنازة تعرف لمن هذا الشعر فقلت لا و الله فقال هو لصاحب هذه الجنازة و أنت غريب و تبكي عليه و أهله مسرورون بتركته فقال أبو العتاهية شعرا :

أرى الدنيا تجهز بانطلاق *** مشمرة على قدم و ساق

فلا الدنيا بباقية لحي *** و لا حي على الدنيا بباق

و قال بعضهم محلة الأموات أبلغ العظات فزوروا القبور و اعتبروا النشور و رئي بعضهم يدخل المقبرة ليلا فينادي و يقول يا أهل القبور من أنتم ثم يجيب عن نفسه نحن الآباء و الأمهات و الإخوة و الأخوات نحن الأحباب و الجيران نحن الأصدقاء و الإخوان نحن الأحبة و الخلان طحننا البلى و أكلنا الثرى و أنشد بعضهم و قال :

خمدوا و ليس يجاب من ناداهم *** هم موتى و كيف إجابة الموت

و قال البراء بن عازب بينما نحن مع رسول الله (ص) إذ أبصر بجنازة تدفن فبادر إليها مسرعا حتى وقف عليها ثم بكى حتى بل ثوبه ثم التفت إلينا فقال يا إخوتي لمثل هذا فليعمل العاملون احذروا هذا و اعملوا له و كتب بعضهم إلى

[65]

ملك يعظه أيها الملك اعدل برعيتك و ارحم من تحت يديك و لا تتجبر عليهم و لا تعل قدرك و لا تنس قبرك الذي هو منتهى أمرك فإن الموت يأتيك و إن طال عمرك و الحساب أمامك و القيامة موعدك و قد كان هذا الأمر الذي أنت فيه بيد غيرك فلو بقي له لم يصل إليك و سينتقل عنك كما انتقل عنه و أنه لا يبقى لك و لا تبقى له فقدم لنفسك خيرا تجده محضرا و تزود من دار الغرور لدار

الفرح و السرور و اعتبر بمن كان قبلك ممن خزن الأموال و جدد الإقلال و جمع الرجال فلم يستطع دفع المنية و لا رد الرزية فلا تغتر بدنيا دنية لم يرضها الله جزاء لأوليائه و لا عذابا لأعدائه و اعتبر بقوله القائل شعرا :

و كيف يلذ العيش من كان موقنا *** بأن المنايا بغتة ستعاجله

و كيف يلذ النوم من كان مؤمنا *** بأن إله الخلق لا بد سائله

و كيف يلذ العيش من كان صائرا *** إلى جدث يبلي الثياب منازله

و كيف يلذ النوم من أثبتوا له *** مثاقيل أوزان الذي هو فاعله

الباب الخامس عشر في الموعظة

قال جامع هذا الكتاب إن الموعظة لا تنجح فيمن لا زاجر له و لا واعظ من نفسه و ما وهب الله تعالى لعبده هبة أنفع له من زاجر من نفسه و قل أن تنجح الموعظة في أهل التجبر و التكبر و إني لأعجب من قوم غدوا في المطارف العتاق و الثياب الرقاق يخيطون الولايات و يتحملون الأمانات و يتعرضون للخيانات حتى إذا بلغوا بغيتهم و نالوا أمنيتهم خافوا من فوقهم من أهل الفضل و الفقه و ظلموا من دونهم من أهل الضعف و الحرفة و سمنوا أبدانهم و أهزلوا دينهم و عمروا دنياهم و خربوا آخرتهم و أوسعوا دورهم و ضيقوا قبورهم يتكئ أحدهم على شماله و يأكل غير ماله و يدعو بحلو بعد حامض و رطب بعد يابس و حار بعد بارد حتى إذا غصته الكظة و أثقلته البطنة و غلبه البشم قال يا جارية هات هاضوما و هات حاطوما و الله يا جاهل يا مغرور ما حطمت طعامك بل

حطمت دينك و أزلت يقينك فأين مسكينك و أين يتيمك و أين جارك و أين من غصبته و ظلمته و استأثرت بهذا عليه و تجبرت بسلطانك عليه حتى إذا بالغ هذا في المظالم و ارتطم في الم آثم قال قد زرت و قد حججت و قد تصدقت و نسي قول الله تعالى إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ و قوله تعالى تِلْكَ الدّارُ الْ آخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ .

و قال النبي (ص) ما آمن بالقرآن من استحل محارمه .

و قال أمير المؤمنين (ع) ليس من شيعتي من أكل مال المؤمن حراما إنما يعيش صاحب هذا الحال مفتونا و يموت مغرورا و يقول يوم القيامة لمن دخل الجنة من أهل السعادة هو و أمثاله أَ لَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قالُوا بَلى وَ لكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَ تَرَبَّصْتُمْ وَ ارْتَبْتُمْ وَ غَرَّتْكُمُ الْأَمانِيُّ حَتّى جاءَ أَمْرُ اللّهِ وَ غَرَّكُمْ بِاللّهِ الْغَرُورُ فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَ لا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا دل هذا على أنهم غير الكافر .

الباب السادس عشر في أشراط الساعة و أهوالها

قال الله تعالى فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها و قال سبحانه السّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ السّاعَةُ أَدْهى وَ أَمَرُّ و قال تعالى أَنَّ السّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها .

و خطب رسول الله (ص) فقال أصدق الحديث كتاب الله و أفضل الهدي هدي الله و شر الأمور محدثاتها و كل بدعة ضلالة فقام إليه رجل و قال يا رسول الله متى الساعة فقال ما المسئول بأعلم بها من السائل لا تأتيكم إلا بغتة فقال فأعلمنا أشراطها فقال لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم و تكثر الزلازل و تكثر الفتن و يظهر الهرج و المرج و تكثر فيكم الأهواء و يخرب العامر و يعمر الخراب و يكون خسف بالمشرق و خسف بالمغرب و خسف بجزيرة العرب و تطلع الشمس من مغربها و تخرج الدابة و يظهر الدجال و ينتشر يأجوج و مأجوج و ينزل عيسى ابن مريم فهناك تأتي ريح من جهة اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحدا

[67]

فيه مثقال ذرة من الإيمان إلا قبضته و إنه لا تقوم الساعة على الأشرار ثم تأتي نار من قبل عدن تسوق سائر من على الأرض تحشرهم فقالوا فمتى يكون يا رسول الله قال إذا داهن قراؤكم أمراءكم و عظمتم أغنياءكم و أهنتم فقراءكم و ظهر فيكم الغناء و فشا الزناء و علا البناء و تغنيتم بالقرآن و ظهر أهل الباطل على أهل الحق و قل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و أضيعت الصلوات و اتبعت الشهوات و ميل مع الهوى و قدم أمراء الجور فكانوا خونة و الوزراء فسقة و ظهر الحرص في القراء و النفاق في العلماء فعند ذلك ينزل بهم البلاء مع أنه ما تقدست أمة لا ينتصر لضعيفها من قويها تزخرف المساجد و تذهب بالمصاحف و تعلى المنابر و تكثر الصفوف و ترتفع الضجات في المساجد و تجتمع الأجساد و الألسن مختلفة و دين أحدهم لعقة على لسانه إن أعطي شكر و إن منع كفر لا يرحمون صغيرا و لا يوقرون كبيرا يستأثرون أنفسهم توطأ حريمهم و يجورون في حكمهم يحكم عليهم العبيد و تملكهم الصبيان و تدبر أمورهم النساء تتحلى الذكور بالذهب و الفضة و يلبسون الحرير و الديباج و يسبون الجواري و يقطعون الأرحام و يخيفون السبيل و ينصبون العشارين و يجاهدون المسلمين و يسالمون الكافرين فهناك يكثر المطر و يقل النبات و تكثر الهزات و يقل العلماء و يكثر الأمراء و يقل الأمناء فعند ذلك ينحسر الفرات عن جبل من ذهب فيقتتل الناس عليه فيقتل من المائة تسعة و تسعون و يسلم واحد .

و قال رجل صلى بنا رسول الله (ص) من غلس فنادى رجل متى الساعة يا رسول الله فزجره حتى إذا أسفرنا رفع طرفه إلى السماء فقال تبارك خالقها و واضعها و ممهدها و محليها بالنبات ثم قال أيها السائل عن الساعة تكون عند خبث الأمراء و مداهنة القراء و نفاق العلماء و إذا صدقت أمتي بالنجوم و كذبت بالقدر ذلك حين يتخذون الأمانة مغنما و الصدقة مغرما و الفاحشة إباحة و العبادة تكبرا و استطالة على الناس .

و قال (ص) و الذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكون عليكم أمراء فجرة و وزراء خونة و عرفاء ظلمة و قراء فسدة و عباد جهال يفتح الله عليهم

[68]

فتنة غبراء مظلمة فيتيهون فيها كما تاهت اليهود فحينئذ ينقض الإسلام عروة عروة يقال الله الله .

و قال أمير المؤمنين (ع) ما من سلطان آتاه الله قوة و نعمة فاستعان بها على ظلم عباده إلا كان حقا على الله أن ينزعها منه أ لم تر إلى قول الله تعالى إِنَّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْم حَتّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ .

و قال النبي (ص) لا تزال هذه الأمة تحت يد الله و في كنفه ما لم يمالئ قراؤها أمراءها و لم يوال صلحاؤها أشرارها فإذا فعلوا ذلك نزع الله يده منهم و رماهم بالفقر و الفاقة و سلط عليهم أشرارهم و ملأ قلوبهم رعبا و رمى جبابرتهم بالعذاب المهين فيدعون دعاء الغريق و لا يستجيب لهم .

و قال بئس العبد عبد يسأل المغفرة و هو يعمل بالمعصية و يرجو النجاة و لا يعمل لها و يخاف العذاب و لا يحذره و يعجل الذنب و يؤخر التوبة و يتمنى على الله الأماني الكاذبة فويل له ثم ويل له من يوم العرض على الله تعالى .

و روي أن عمر بن هبيرة لما ولي العراق من قبل هشام بن عبد الملك أحضر السبيعي و الحسن البصري و قال لهما إن هشام بن عبد الملك أخذ بيعتي له على السمع و الطاعة ثم ولاني عراقكم من غير أن أسأله و لا تزال كتبه تأتيني بقطع قطائع الناس و ضرب الرقاب و أخذ الأموال فما تريان في ذلك فأما السبيعي فداهنه و قال قولا ضعيفا و أما الحسن البصري فإنه قال له يا عمر إني أنهاك عن التعرض لغضب الله برضى هشام و اعلم أن الله يمنعك من هشام و لا يمنعك هشام من الله تعالى و لا أهل الأرض أ يأتيك كتاب من الله بالعمل بكتابه و العدل و الإحسان و كتاب من رسول الله نبيك و كتاب من هشام بخلاف ذلك فتعمل بكتاب هشام و تترك كتاب الله و سنة رسول الله إن هذا لهو الحرب الكبير و الخسران المبين فاتق الله و احذره فإنه يوشك أن ينزل إليك ملك من السماء فينزلك من علو سريرك و يجرك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ثم لا يوسعه عليك إلا عملك إن كان حسنا و لا يوحشك إلا هو إن كان قبيحا و اعلم أنك إن تنصر الله ينصرك و يثبت أقدامك فإن الله تعالى ضمن إعزاز من

[69]

يعزه و نصر من ينصره قال سبحانه وَ لَيَنْصُرَنَّ اللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ .

و قال كيف أنتم إذا ظهر فيكم البدع حتى يربو فيها الصغير و يهرم الكبير و يسلم عليها الأعاجم و إذا ظهرت البدع قيل سنة و إذا عمل بالسنة قيل بدعة قيل و متى يا رسول الله يكون ذلك قال إذا ابتعتم الدنيا بعمل الآخرة و قال ابن عباس لا يأتي على الناس زمان إلا أماتوا فيه سنة و أحيوا فيه بدعة حتى تموت السنن و تحيا البدع و بعد فو الله ما أهلك الناس و أزالهم عن الحجة قديما و حديثا إلا علماء السوء قعدوا على طريق الآخرة فمنعوا الناس سلوكها و الوصول إليها و شككوهم فيها مثل ذلك مثل رجل كان عطشانا فرأى جرة مملوءة ماء فأراد أن يشرب منها فقال له رجل لا تدخل يدك فيها فإن فيها أفعى تلسعك و قد ملأتها سما فامتنع الرجل من ذلك ثم إن المخبر عن ذلك أخذ يدخل يده فيها قال العطشان لو كان فيها سما لما أدخل يده و كذلك حال الناس مع علماء السوء زهدوا الناس في الدنيا و رغبوهم فيها و منعوا الناس من الدخول إلى الولاة و التعظيم لهم و دخلوا هم إليهم و عظموهم و مدحوهم و حسنوا إليهم أفعالهم و وعدوهم بالسلامة لا بل قالوا لهم قد رأينا لكم المنامات بعظيم المنازل و القبول ففتنوهم و غروهم و نسوا قول الله تعالى إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيم وَ إِنَّ الْفُجّارَ لَفِي جَحِيم و قوله تعالى ما لِلظّالِمِينَ مِنْ حَمِيم وَ لا شَفِيع يُطاعُ و قوله تعالى يَوْمَ يَعَضُّ الظّالِمُ عَلى يَدَيْهِ و قوله تعالى يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً .

و قال النبي (ص) الجنة محرمة على جسد غذي بالحرام .

و قال أمير المؤمنين (ع) ليس من شيعتي من أكل مال امرئ حراما .

و قال النبي (ص) لا يشم ريح الجنة جسد نبت على الحرام .

و قال (ع) إن أحدكم ليرفع يديه إلى السماء فيقول يا رب يا رب و مطعمه حرام و ملبسه حرام فأي دعاء يستجاب لهذا و أي عمل يقبل منه و هو ينفق من غير حل إن حج حج حراما و إن تصدق تصدق بحرام و إن تزوج تزوج بحرام و إن صام أفطر على حرام فيا ويحه ما علم أن الله طيب لا يقبل إل

[70]ا

الطيب و قد قال في كتابه إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ .

و قال النبي (ص) ليكون عليكم أمراء سوء فمن صدق قولهم و أعانهم على ظلمهم و غشي أبوابهم فليس مني و لست منه و لن يرد علي الحوض .

و قال (ص) لحذيفة كيف أنت يا حذيفة إذا كانت أمراء إن أطعتموهم كفروكم و إن عصيتموهم قتلوكم فقال حذيفة كيف أصنع يا رسول الله قال جاهدهم إن قويت و اهرب عنهم إن ضعفت .

و قال (ص) صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس و إذا فسدا فسد الناس الأمراء و العلماء قال الله تعالى وَ لا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النّارُ . و قال و لا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي و الله ما فسدت أمور الناس إلا بفساد هذين الصنفين و خصوصا الجائر في قضائه القابل الرشا في الحكم ، و لقد أحسن أبو نواس في قوله شعرا :

إذا خان الأمير و كاتباه *** و قاضي الأمر داهن في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل *** لقاضي الأرض من قاضي السماء

و جاء في تفسير قوله تعالى لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْ آخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ الآية نزلت فيمن يخالط السلاطين و الظلمة .

و قال (ع) الإسلام علانية باللسان و الإيمان سر بالقلب و التقوى عمل بالجوارح كيف تكون مسلما و لا يسلم الناس منك و كيف تكون مؤمنا و لا تأمنك الناس و كيف تكون تقيا و الناس يتقون من شرك و أذاك ؟

و قال إن من ادعى حبنا و هو لا يعمل بقولنا فليس منا و لا نحن منه أ ما سمعوا قول الله تعالى يقول مخبرا عن نبيه قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ .

و لما بايع أصحابه أخذ عليهم العهد و الميثاق بالسمع لله تعالى و الطاعة له في العسر و اليسر و على أن يقولوا الحق أينما كانوا و أن لا يأخذهم في الله لومة لائم قال إن الله ليحصي على العبد كل شيء حتى أنينه في مرضه و الشاهد على ذلك قوله تعالى ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْل إِلّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ و قوله تعالى وَ إِنَّ

[71]

عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ و قوله تعالى إِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللّهُ .

الباب السابع عشر في عقاب الزناء و الربا

قال النبي (ص) إن لأهل النار صرخة من نتن فروج الزناة و إياكم و الزناء فإن فيه ست خصال ثلاث في الدنيا و ثلاث في الآخرة فأما التي في الدنيا فإنه يذهب بهاء الوجه و يورث الفقر و ينقص العمر و أما التي في الآخرة يوجب سخط الله و سوء الحساب و عظم العذاب إن الزناة يأتون يوم القيامة تشتعل فروجهم نارا يعرفون بنتن فروجهم و قال النبي (ص) إن الله مستخلفكم في الدنيا فانظروا كيف تعملون فاتقوا الزناء و الربا قيل قالت المعتزلة يوما في مجلس الرضا (ع) إن أعظم الكبائر القتل لقوله تعالى وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها الآية .

و قال الرضا (ع) أعظم من القتل إثما و أقبح منه بلاء الزناء لأن القاتل لم يفسد بضرب المقتول غيره و لا بعده فسادا و الزاني قد أفسد النسل إلى يوم القيامة و أحل المحارم فلم يبق في المجلس فقيه إلا قبل يده و أقر بما قاله .

و قال (ص) إذا كانت فيكم خمس رميتم بخمس إذا أكلتم الربا رميتم بالخسف و إذا ظهر فيكم الزناء أخذتم بالموت و إذا جارت الحكام ماتت البهائم و إذا ظلم أهل الملة ذهبت الدولة و إذا تركتم السنة ظهرت البدعة و قال (ص) ما نقض قوم عهدهم إلا سلط عليهم عدوهم و ما جار قوم إلا كثر القتل بينهم و ما منع قوم الزكاة إلا حبس القطر عنهم و لا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت و ما يخسر قوم المكيال و الميزان إلا أخذوا بالسنين و قال (ص) إذا عملت أمتي خمس عشرة خصلة حل بهم البلاء إذا كان الفيء دولا و الأمانة مغنما و الصدقة مغرما و أطاع الرجل امرأته و عصى أمه و بر صديقه و جفا أباه و ارتفعت الأصوات في المساجد و أكرم الرجل مخافة شره و كان زعيم القوم أرذلهم و لبسوا الحرير و اتخذوا المغنيات و شربوا الخمور و أكثروا

[72]

الزناء فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسفا أو مسخا أو ظهر العدو عليكم ثم لا تنصرون .

الباب الثامن عشر وصايا و حكم بليغة

من وصية لقمان لابنه قال :

يا بني لا يكن الديك أكيس منك و أكثر محافظة على الصلوات أ لا تراه عند كل صلاة يؤذن لها و بالأسحار يعلن بصوته و أنت نائم و قال يا بني من لا يملك لسانه يندم و من يكثر المراء يشتم و من يدخل مداخل السوء يتهم و من يصاحب صاحب السوء لا يسلم و من يجالس العلماء يغنم يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة يا بني اجعل غناك في قلبك و إذا افتقرت فلا تحدث الناس بفقرك فتهون عليهم و لكن اسأل الله من فضله يا بني كذب من يقول الشر يقطع بالشر أ لا ترى أن النار لا تطفأ بالنار و لكن بالماء و كذلك الشر لا يطفأ إلا بالخير يا بني لا تشمت بالمصاب و لا تعير المبتلى و لا تمنع المعروف فإنه ذخيرة لك في الدنيا و الآخرة يا بني ثلاثة تجب مداراتهم المريض و السلطان و المرأة و كن قنعا تعش غنيا و كن متقيا تكن عزيزا يا بني من حين سقطت من بطن أمك استدبرت الدنيا و استقبلت الآخرة و أنت في كل يوم إلى ما استقبلت أقرب منك إلى ما استدبرت فتزود لدار أنت مستقبلها و عليك بالتقوى فإنه أربح التجارات و إذا أحدثت ذنبا فاتبعه بالاستغفار و الندم و العزم على ترك العود لمثله و اجعل الموت نصب عينيك و الوقوف بين يدي خالقك و تمثل شهادة جوارحك عليك بعملك و الملائكة الموكلين بك تستحي منهم و من ربك الذي هو مشاهدك و عليك بالموعظة فاعمل بها فإنها عند العاقل أحلى من العسل الشهد و هي على السفيه أشق من صعود الدرجة على الشيخ الكبير و

لا تسمع الملاهي فإنها تنسيك الآخرة و لكن احضر الجنائز و زر المقابر و تذكر الموت و ما بعده من الأهوال فتأخذ حذرك يا بني استعذ بالله من شرار النساء و كن من خيارهن على حذر يا بني لا تفرح على ظلم أحد بل أحزن على ظلم من ظلمته يا بني الظلم ظلمات و يوم القيامة حسرات

[73]

و إذا دعتك القدرة على ظلم من هو دونك فاذكر قدرة الله عليك يا بني تعلم من العلماء ما جهلت و علم الناس ما علمت تذكر بذلك في الملكوت يا بني أغنى الناس من قنع بما في يديه و أفقرهم من مد عينيه إلى ما في أيدي الناس و عليك يا بني باليأس عما في أيدي الناس و الوثوق بوعد الله و اسع فيما فرض عليك و دع السعي فيما ضمن لك و توكل على الله في كل أمورك يكفيك و إذا صليت فصل صلاة مودع تظن أن لا تبقى بعدها أبدا و إياك ما تعتذر منه فإنه لا يعتذر من خير و أحب للناس ما تحب لنفسك و اكره لهم ما تكره لنفسك و لا تقل ما لم تعلم و اجهد أن يكون اليوم خيرا لك من أمس و غدا خيرا لك من اليوم فإنه من استوى يوماه فهو مغبون و من كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون و ارض بما قسم الله لك فإنه سبحانه يقول أعظم عبادي ذنبا من لم يرض بقضائي و لم يشكر نعمائي و لم يصبر على بلائي .

و أوصى رسول الله (ص) معاذ بن جبل فقال له أوصيك باتقاء الله و صدق الحديث و أداء الأمانة و خفض الجناح و الوفاء بالعهد و ترك الخيانة و حسن الجوار و صلة الأرحام و رحمة اليتيم و لين الكلام و بذل السلام و حسن العمل و قصر الأمل و توكيد الأيمان و التفقه في الدين و تدبر القرآن و ذكر الآخرة و الجزع من الحساب و كثرة ذكر الموت و لا تسب مسلما و لا تطع آثما و لا تقطع رحما و لا ترض بقبيح تكن كفاعله و اذكر الله عند كل شجر و مدر و بالأسحار و على كل حال يذكرك فإن الله تعالى ذاكر من ذكره و شاكر من شكره و جدد لكل ذنب توبة السر بالسر و العلانية بالعلانية و اعلم أن أصدق الحديث كتاب الله و أوثق العز التقوى و أشرف الذكر ذكر الله تعالى و أحسن القصص القرآن و شر الأمور محدثاتها و أحسن الهدي هدي الأنبياء و أشرف الموت الشهادة و أعمى العمى الضلالة بعد الهدى و خير العلم ما نفع و شر العمى عمى القلب و اليد العليا خير من اليد السفلى و ما قل و كفى خير مما كثر و ألهى و شر المعذرة عند الموت و شر الندامة يوم القيامة و من أعظم الخطايا اللسان الكذب و خير الغنى غنى النفس و خير الزاد التقوى و رأس الحكمة مخافة الله تعالى في السر و العلانية و خير ما ألقي في القلب

[74]

اليقين و إن جماح الإثم الكذب و الارتياب و النساء و حبائل الشيطان و الشباب شعبة من الجنون و شر الكسب كسب الربا و شر الم آثم أكل مال اليتيم و السعيد من وعظ بغيره و ليس لجسم نبت على الحرام إلا النار و من تغذى بالحرام فالنار أولى به و لا يستجاب له دعاء و الصلاة نور و الصدقة حرز و الصوم جنة حصينة و سكينة و تركها مغنم مغرم و على العاقل أن يكون له ساعة يناجي فيها ربه و ساعة يتفكر فيها صنع الله و ساعة يحاسب فيها نفسه و ساعة يتخلى فيها لحاجته من حلال و على العاقل أن يكون ساعيا في ثلاث تزود لمعاد و سعى لمعاش و لذة في غير محرم و على العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه .

و في توراة موسى (ع) عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح و لمن أيقن بالحساب كيف يذنب و لمن أيقن بالقدر كيف يحزن و لمن أيقن بالنار كيف يضحك و لمن رأى تقلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها و لمن أيقن بالجزاء كيف لا يعمل و لا عقل كالدين و لا ورع كالكف و لا حسب كحسن الخلق .

و قال أبو ذر أوصاني رسول الله (ص) بسبع خصال حب المساكين و الدنو منهم و هجران الأغنياء و أن أصل رحمي و أن لا أتكلم بغير الحق و أن لا أخاف في الله لومة لائم و أن أنظر إلى من هو دوني و لا أنظر إلى من هو فوقي و أن أكثر من سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنهن الباقيات الصالحات.

و قال من سلك الجدد أمن العثار و الصبر مطية السلامة و الجزع مطية الندامة و مرارة الحلم أعذب من حلاوة الانتقام و ثمرة الحقد الندامة و من صبر على من يكره أدرك ما يحب و الصبر على المصيبة مصيبة للشامت بها و الجزع عليها مصيبة ثانية بفوات الثواب و هي أعظم المصائب .

و قال رسول الله (ص) خير الرزق ما يكفي و خير الذكر ما يخفى و إني أوصيكم بتقوى الله و حسن النظر لأنفسكم و قلة الغفلة عن معادكم و ابتياع ما يبقى بما يفنى و اعلموا أنها أيام معدودة و الأرزاق مقسومة و الآجال معلومة و الآخرة

[75]

أبد لا أمد له و أجل لا منتهى له و نعيم لا زوال له فاعرفوا ما تريدون و ما يراد بكم و اتركوا من الدنيا ما يشغلكم عن الآخرة و احذروا حسرة المفرطين و ندامة المغترين و استدركوا فيما بقي ما فات و تأهبوا للرحيل من دار البوار إلى دار القرار و احذروا الموت أن يفاجئكم على غرة و يعجلكم عن التأهب و الاستعداد و إن الله تعالى قال فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَ لا إِلى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ فرب ذي عقل أشغله هواه عما خلق له حتى صار كمن لا عقل له و لا تعذروا أنفسكم في خطئها و لا تجادلوا بالبطل فيما يوافق هواكم و اجعلوا همكم نصر الحق من جهتكم أو من جهة من يجادلكم فإن الله تعالى يقول يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصارَ اللَّهِ فلا تكونوا أنصارا لهواكم و الشيطان و اعلموا أنه ما هدم الدين مثل إمام ضلالة و أضل و جدال منافق بالباطل و الدنيا قطعت رقاب طالبيها و الراغبين إليها و اعلموا أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران فمهدوه بالعمل الصالح فمثل أحدكم يعمل الخير كمثل الرجل ينفذ كلامه يمهد له قال الله تعالى فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ و إذا رأيتم الله يعطي العبد ما يحب و هو مقيم على معصيته فاعلموا أن ذلك استدراج له قال الله تعالى سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ سئل ابن عباس عن صفة الذين صدقوا الله المخافة فقال هم قوم قلوبهم من الخوف قرحة و أعينهم باكية و دموعهم على خدودهم جارية يقولون كيف نفرح و الموت من ورائنا و القبر موردنا و القيامة موعدنا و على الله عرضنا و شهودنا جوارحنا و الصراط على جهنم طريقنا و على الله حسابنا فسبحان الله و تعالى فإنا نعوذ به من ألسن واصفة و أعمال مخالفة مع قلوب عارفة فإن العمل ثمرة العلم و الخوف ثمرة العمل و الرجاء ثمرة اليقين و من اشتاق إلى الجنة اجتهد في أسباب الوصول إليها و من حذر النار تباعد مما يدني إليها و من أحب لقاء الله استعد للقائه .

و روي أن الله تعالى يقول في بعض كتبه يا ابن آدم أنا حي لا أموت أطعني فيما أمرتك أجعلك حيا لا تموت يا ابن آدم أنا أقول للشيء كن فيكون أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء كن فيكون و كذلك قال الله تعالى في

[76]

كتابه العزيز وَ لَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُور رَحِيم .

و قال رسول الله ثلاث مهلكات و ثلاث منجيات فأما المهلكات فشح مطاع و هوى متبع و إعجاب المرء بنفسه و أما المنجيات فخشية الله في السر و العلانية و القصد في الغنى و الفقر و العدل في الرضا و الغضب .

و قال الحسن (ع) لقد أصبحت أقوام كانوا ينظرون إلى الجنة و نعيمها و النار و جحيمها يحسبهم الجاهل مرضى و ما بهم مرض أو قد خولطوا و إنما خالطهم أمر عظيم خوف الله و مهابته في قلوبهم كانوا يقولون ليس لنا في الدنيا من حاجة و ليس لها خلقنا و لا بالسعي لها أمرنا أنفقوا أموالهم و بذلوا دماءهم و اشتروا بذلك رضا خالقهم علموا إن اشترى منهم أموالهم و أنفسهم بالجنة فباعوه و ربحت تجارتهم و عظمت سعادتهم و أفلحوا و أنجحوا فاقتفوا آثارهم رحمكم الله و اقتدوا بهم فإن الله تعالى وصف لنبيه (ص) صفة آبائه إبراهيم و إسماعيل و ذريتهما و قال فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ و اعلموا عباد الله أنكم مأخوذون بالاقتداء بهم و الاتباع لهم فجدوا و اجتهدوا و احذروا أن تكونوا أعوانا للظالم فإن رسول الله (ص) قال من مضى مع ظالم يعينه على ظلمه فقد خرج من ربقة الإسلام و من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد حاد الله و رسوله و من أعان ظالما ليبطل حقا لمسلم فقد برئ من ذمة الإسلام و ذمة الله و ذمة رسوله و من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله و من ظلم بحضرته مؤمن أو اغتيب و كان قادرا على نصره و لم ينصره فقد باء بغضب من الله و من رسوله و من نصره فقد استوجب الجنة من الله تعالى و إن الله تعالى أوحى إلى داود (ع) قل لفلان الجبار إني لم أبعثك لتجمع الدنيا على الدنيا و لكن لترد عني دعوة المظلوم و تنصره فإني آليت على نفسي أن أنصره و أنتصر له ممن ظلم بحضرته و لم ينصره .

و قال النبي (ص) من آذى مؤمنا و لو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله و كان كمن هدم الكعبة و البيت المقدس و قتل عشرة

[77]

آلاف من الملائكة .

و قال رفاعة بن أعين قال لي الصادق (ع) أ لا أخبرك بأشد الناس عذابا يوم القيامة قلت بلى يا مولاي قال أشد الناس عذابا يوم القيامة من أعان على مؤمن بشطر كلمة ثم قال أ لا أخبرك بأشد من ذلك فقلت بلى يا سيدي فقال من عاب عليه شيئا من قوله أو فعله ثم قال ادن مني أزدك أحرفا أخر ما آمن بالله و لا برسوله و لا بولايتنا أهل البيت من أتاه المؤمن في حاجة لم يضحك في وجهه فإن كانت عنده قضاها و إن لم تكن عنده تكلفها له حتى يقضيها له و إن لم يكن كذلك فلا ولاية بيننا و بينه و لو علم الناس ما للمؤمن عند الله لخضعت له الرقاب فإن الله تعالى اشتق للمؤمن اسما من أسمائه فالله هو المؤمن سبحانه و سمى عبده مؤمنا تشريفا له و تكريما و إنه يوم القيامة يؤمن على الله تعالى فيجير إيمانه و قال الله تعالى ليأذن بحرب مني من آذى مؤمنا أو أخافه و كان عيسى (ع) يقول يا معشر الحواريين تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي و تقربوا إلى الله بالبعد عنهم و التمسوا رضاه في غضبهم و إذا جالستم فجالسوا من يزيد في عملكم منطقه و يذكركم الله رؤيته و يرغبكم في الآخرة عمله .

و قال أمير المؤمنين (ع) لأبي ذر ألزم قلبك الفكر و لسانك الذكر و جسدك العبادة و عينيك البكاء من خشية الله و لا تهتم برزق غد و ألزم المساجد عمارها هم أهل الله و خاصته قراء كتابه العاملون به .

و قال (ع) المروة ست ثلاث في السفر و ثلاث في الحضر فالتي في الحضر تلاوة القرآن و عمارة المساجد و اتخاذ الإخوان في الله و أما التي في السفر بذل الزاد و حسن الخلق و المعاشرة بالمعروف .

و كان الحسن (ع) يقول يا ابن آدم من مثلك و قد خلى ربك بينه و بينك متى شئت أن تدخل إليه توضأت و قمت بين يديه و لم يجعل بينك و بينه حجابا و لا بوابا تشكو إليه همومك و فاقتك و تطلب منه حوائجك و تستعينه على أمورك و كان (ع) يقول أهل

المسجد زوار الله و حق على المزور و التحفة لزائره و روي أن المتنخم في المسجد يجد بها خزيا في وجهه يوم القيامة و كان الناس في

[78]

المساجد ثلاثة أصناف صنف في الصلاة و صنف في تلاوة القرآن و صنف في تعلم العلوم فأصبحوا صنف في البيع و الشراء و صنف في غيبة الناس و صنف في الخصومات و أقوال الباطل .

و قال (ع) ليعلم الذي يتنخم في القبلة أنه يبعث و هي في وجهه و قال يقول الله تعالى المصلي يناجيني و المنفق يقرضني في الغنى و الصائم يتقرب إلي و قال إن الرجلين يكونا في صلاة واحدة و بينهما مثل ما بين السماء و الأرض من فضل الثواب .

الباب التاسع عشر في قراءة القرآن المجيد

قال رسول الله (ص) إن هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد و إن جلاها قراءة القرآن .

و قال ابن عباس قارئ القرآن التابع له لا يضل في الدنيا و لا يشقى في الآخرة و قال ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون و بنهاره إذ الناس غافلون و ببكائه إذ الناس ضاحكون و بورعه إذ الناس يطعمون و بخشوعه إذ الناس يمرحون و بحزنه إذ الناس يفرحون و بصمته إذ الناس يخوضون .

و قال (ص) القرآن على خمسة أوجه حلال و حرام و محكم و متشابه و أمثال فاعملوا بالحلال و اجتنبوا الحرام و اتبعوا المحكم و آمنوا بالمتشابه و اعتبروا بالأمثال و ما آمن بالقرآن من استحل محارمه و شر الناس من يقرأ القرآن و لا يرعوي عن شيء به .

و قال جعفر بن محمد (ع) في قوله تعالى الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ قال يرتلون آياته و يتفقهون فيه و يعملون بأحكامه و يرجون وعده و يخافون وعيده و يعتبرون بقصصه و يأتمرون بأوامره و يتناهون عن نواهيه ما هو و الله حفظ آياته و درس حروفه و تلاوة سوره و درس أعشاره و أخماسه حفظوا حروفه و أضاعوا حدوده و إنما تدبر آياته و العمل بأحكامه قال الله

[79]

تعالى كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ و اعلموا رحمكم الله إن سبيل الله سبيل واحد و جماعها الهدى و مصير العالم العامل بها الجنة و المخالف لها النار و إنما الإيمان ليس بالتمني و لكن ما ثبت في القلب و عملت به الجوارح و صدقته الأعمال الصالحة و اليوم فقد ظهر الجفاء و قل الوفاء و تركت السنة و ظهرت البدعة و تواخى الناس على الفجور و ذهب منكم الحياء و زالت المعرفة و بقيت الجهالة ما ترى إلا مترفا صاحب دنيا لها يرضى و لها يغضب و عليها يقاتل ذهب الصالحون و بقيت تفالة الشعير و حثالة التمر .

و قال الحسن (ع) ما بقي في الدنيا بقية غير هذا القرآن فاتخذوه إماما يدلكم على هداكم و إن أحق الناس بالقرآن من عمل به و إن لم يحفظه و أبعدهم منه من لم يعمل به و إن كان يقرؤه

و قال من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ و قال إن هذا القرآن يجيء يوم القيامة قائدا و سائقا يقود قوما إلى الجنة أحلوا حلاله و حرموا حرامه و آمنوا بمتشابهه و يسوق قوما إلى النار ضيعوا حدوده و أحكامه و استحلوا محارمه .

و قال (ص) رتلوا القرآن و لا تنثروه و لا تهذوه هذاء الشعر قفوا عند عجائبه و حركوا به القلوب و لا يكن هم أحدكم آخر السورة .

و خطب (ص) و قال لا خير في العيش إلا لعالم ناطق أو مستمع واع أيها الناس إنكم في زمان هدنة و إن السير بكم سريع و قد رأيتم الليل و النهار كيف يبليان كل جديد و يقربان كل بعيد و يأتيان بكل موعود فقال له المقداد يا نبي الله و ما الهدنة فقال دار بلاء و انقطاع فإذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع و شاهد مصدق من جعله أمامه قاده إلى الجنة و من جعله خلفه ساقه إلى النار و هو أوضح دليل إلى خير سبيل ظاهره حكم و باطنه علم لا تحصى عجائبه و لا تنقضي غرائبه و هو حبل الله المتين و صراطه المستقيم من قال به صدق و من حكم به عدل و من عمل به فاز فإن المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب و ريحها طيب و إن الكافر كالحنظلة طعمها مر و رائحتها كريهة

[80]

و قال (ص) أ لا أدلكم على أكسل الناس و أبخل الناس و أسرق الناس و أجفى الناس و أعجز الناس قالوا بلى يا رسول الله فقال أكسل الناس عمد صحيح فارغ لا يذكر الله بشفة و لا لسان و أبخل الناس رجل اجتاز على مسلم فلم يسلم عليه و أما أسرق الناس فرجل يسرق من صلاته تلف كما تلف الثوب الخلق فتضرب بها وجهه و أجفى الناس رجل ذكرت بين يديه فلم يصل علي و أعجز الناس من عجز عن الدعاء .

الباب العشرون في خطبة بليغة

أيها الناس تدبروا القرآن المجيد فقد دلكم على الأمر الرشيد و سلموا لله أمره فإنه فعال لما يريد و احذروا يوم الوعيد و اعملوا بطاعته فهذا شأن العبيد و احذروا غضبه فكم قصم من جبار عنيد ق وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ أين من بنى و شاد و طول و ت آمر على الناس و ساد في الأول و ظن جهالة منه و جرأة أنه لا يتحول عاد الزمان عليه سالبا ما خول فسقوا إذ فسقوا كأسا على هلاكهم عول أَ فَعَيِينا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْس مِنْ خَلْق جَدِيد فيا من أنذره بالعبر يومه و أمسه و حادثه بالغير قمره و شمسه و استلب منه ولده و إخوته و عرسه و هو يسعى في الخطايا مشمرا و قد دنا حبسه وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَ نَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ أ ما علمت أنك مسئول من الزمان مشهود عليك يوم ينطق عنك الأركان محفوظ عليك ما عملت في زمان الإمكان إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْل إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ فكأنك بالموت و قد اختطفك اختطاف البرق و لم تقدر على دفعه بملك الغرب و الشرق و ندمت على تفريطك بعد اتساع الخرق و تأسفت على ترك الأولى و الأخرى أحق وَ جاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ثم ترحلت من القصور إلى القبور و بقيت وحيدا على ممر الدهور كالأسير المحصور وَ نُفِخَ فِي

الصُّورِ ذلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ فحينئذ أعاد الأجسام من صنعها و لف أشتاتها بقدرته و جمعها و ناداها بنفخة الصور فأسمعها وَ جاءَتْ كُلُّ نَفْس مَعَها سائِقٌ وَ شَهِيدٌ

[81]

فيهرب منك الأخ و تنسى أخاك و يعرض عنك الصديق و يرفض ولاءك و يتجافاك صاحبك و يجحد آلاءك و تلقى من الأهوال كلما أزعجتك و ساءك و تنسى أولادك و نساءك لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ و يجري دموع الأسف وابلا و رذاذا و تسقط الأكباد من الحسرات أفلاذا و لهب لهيب النار إلى الكفار فجعلهم جذاذا و لا يجد العاصي من النار ملجأ و لا معاذا وَ قالَ قَرِينُهُ هذا ما لَدَيَّ عَتِيدٌ يوم يقوم الزبانية إلى الكفار و يبادر من يسوقهم سوقا عنيفا و الدموع تتحادر و تثب النار إلى الكفار كوثوب الليث إذا شاخر فيذل من زفيرها كل من عز و فاخر الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَأَلْقِياهُ فِي الْعَذابِ الشَّدِيدِ و يقول الحق و قد زالت المبطل و اللمم و فصل هذا الأمر إلي و انتصار المظلوم من ظالمه قال الله لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ما أنذرتكم فيما مضى من الأيام أ ما حذرتكم بالعدائد بالمعاصي و الآثام أ ما وعدتكم بهذا اليوم من سائر الأيام ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَ ما أَنَا بِظَلّام لِلْعَبِيدِ فالعياذ بالله من هذا الأمر المهول الذي يحار فيه الغافل الجهول و تذهل منه ذوي الألباب و العقول قد أعد للكافر ابن ملجم و للكافرين يزيد يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيد فيا حسرة على العاصين حسرة لا يملك تلافيها و يا نصرة للمخلصين تكامل صافيها ادخلوا الجنة لَهُمْ ما يَشاؤُنَ فِيها وَ لَدَيْنا مَزِيدٌ انظروا عباد الله فرق ما بين الفريقين بحضور قلب و اغتنموا الصحة قبل أن ينخلع القلب فإن اللذات تفنى و يبقى العار و الثلب إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ .

و قال النبي (ص) ما أصاب أحدا هم أو غم فقال اللهم أني عبدك و ابن عبدك و ابن أمتك و نفسي بيدك ماض في حكمك عدل في قضائك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تصلي على محمد و آل محمد و أن تجعل القرآن

[82]

ربيع قلبي و نور بصري و شفاء صدري و ذهاب غمي و جلاء حزني يا أرحم الراحمين إلا أذهب الله غمه و نفس كربه و قضى حوائجه و كان (ص) يدعو فيقول اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا و بين معصيتك و من طاعتك ما تبلغنا به جنتك و من اليقين ما يهون علينا من مصائب الدنيا و متعنا بأسماعنا و أبصارنا على من عادانا و لا تجعل الدنيا أكبر همنا و لا تسلط علينا من لا يرحمنا اللهم إليك الحمد و إليك المشتكى و أنت المستعان و فيما عندك الرغبة و لديك غاية الطلبة اللهم آمن روعتي و استر عورتي اللهم أصلح ديننا الذي هو عصمة أمرنا و أصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا و أصلح آخرتنا التي إليها منقلبنا و اجعل الحياة زيادة لنا في كل خير و الوفاة راحة لنا من كل سوء اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك و عزائم مغفرتك و الغنيمة من كل بر و السلامة من كل إثم يا موضع كل شكوى و شاهد كل نجوى و كاشف كل بلوى فإنك ترى و لا ترى و أنت بالمنظر الأعلى أسألك الجنة و ما يقرب إليها من قول و فعل و أعوذ بك من النار و ما يقرب إليها من قول أو فعل اللهم إني أسألك خير الخير رضوانك و الجنة و أعوذ بك من شر الشر سخطك و النار اللهم إني أسألك خير ما تعلم و أعوذ بك من شر ما تعلم فإنك أنت علام الغيوب .

روي عن ذي النون المصري أنه قال وجدت في صخرة في بيت المقدس مكتوب عليها كل خائف هارب و كل راج طالب و كل عاص مستوحش و كل طائع مستأنس و كل قانع عزيز و كل طالب ذليل و نظرت فإذا هذا الكلام أصل لكل شيء و كان يقول يقدر المقدرون و القضاء يضحك منهم .

الباب الحادي و العشرون في الذكر و المحافظة عليه

قال الله تعالى فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ و قال سبحانه في بعض كتبه أهل ذكري في ضيافتي و أهل طاعتي في نعمتي و أهل شكري في زيارتي و أهل معصيتي لا أؤيسهم من رحمتي إن تابوا فأنا أحبهم و إن مرضوا فأنا طبيبهم أداويهم بالمحن و المصائب لأطهرهم من الذنوب و المعايب

[83]

و قال علي بن الحسين (ع) إن بين الليل و النهار روضة يرتع في نورها الأبرار و يتنعم في حدائقها المتقون فذابوا سهرا في الليل و صياما في النهار فعليكم بتلاوة القرآن في صدره و بالتضرع و الاستغفار في آخره و إذا ورد النهار فأحسنوا مصاحبته بفعل الخيرات و ترك المنكرات و ترك ما يرديكم من محقرات الذنوب فإنها مشرفة بكم على قبائح العيوب و كان الموت قد دهمكم و الساعة قد غشيتكم فإن الحادي قد حدا بكم يحدي لا يلوي دون غايتكم فاحذروا ندامة التفريط حيث لا ينفع الندامة إذا زلت الأقدام .

و قال (ع) قال الله سبحانه إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني.

و قال (ع) المؤمن نطقه ذكر و صمته فكر و نظره اعتبار و قال إن عدوي يأتيني بالحاجة فأبادر إلى قضائها خوفا أن يسبقني أحد إليها و أن يستغني عني فيفوتني فضيلتها و سئل عن الزاهد فقال هو المتبلغ بدون قوته المستعد ليوم موته و قال الدنيا سبات و الآخرة يقظة و نحن بينهما أضغاث أحلام و قال أقرب ما يكون من غضب الله إذا غضب و من طاعة الشيطان إذا حرد و خطب عمر بن عبد العزيز فقال أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثا و لم تتركوا سدى و إن لكم معادا يجمعكم الله فيه ليوم الفصل و الحكم بينكم و قد خاب و خسر من أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء و جنته التي عرضها السماوات و الأرض بسوء عمله و إن الأمان غدا لمن باع قليلا بكثير و فانيا بباق و شقاوة بسعادة أ لا ترون أخلاف الماضين و يستخلفكم قوم آخرون يأخذون تراثكم و بيوتكم و أجداثكم و في كل يوم تجهزون غاديا و رائحا قد قضى نحبه و لقي ربه فيجعلونه في صدع من الأرض غير موسد و لا ممهد قد خلع الأسباب و سكن التراب و فارق الأحباب و واجه الحساب أصبح فقيرا إلى ما قدم غنيا عما خلف لا يزيد في حسنته و لا ينقص من سيئته و اعلموا أن لكل سفر زاد لا بد منه فتزودوا لسفركم التقوى و كونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه و عقابه لترهبوا و ترغبوا و لا يغرنكم الأمل و لا يطولن عليكم الأمد فإنه و الله ما بسط

[84]

أمل من لا يدري إذا أصبح أنه يمسي و لا إذا أمسى أنه يصبح و بين ذلك خطفات المنايا و خطرات الأمل من الشيطان الغرور و يزين لكم المعصية لتركبوها و ينسئكم التوبة لتنسوها حتى تأتي المنية أغفل ما يكون عنها فلا تركنوا إلى غروره فيصيدكم بشركه و اعلموا أنما يغتبط و يطمئن من وثق بالنجاة من عذاب الله و أهوال يوم القيامة فأما من لا يدري ربه ساخط عليه أم راض عنه كيف يطمئن أعوذ بالله من أن آمركم أو أنهاكم بما أخالفكم فيه فتخسر صفقتي و تعظم لوعتي يوم لا ينجي منه إلا الحق و الصدق و لا يفوز إلا من أتى الله بقلب سليم و قال رسول الله (ص) أيها الناس استقيموا إلى ربكم كما قال الله تعالى فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَ اسْتَغْفِرُوهُ و قال سبحانه إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا أيها الناس وَ لا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ و اعلموا أنه من لم يكن مستقيما في صفته لم يرتق من مقام إلى غيره و لم يتبين سلوكه على صحة و لم تخرجوا من عز التقوى إلى ذل المعصية و لا من أنس الطاعة إلى وحشة الخطيئة و لا تسروا لإخوانكم غشا فإن من أسر لأخيه غشا أظهره الله على صفحات وجهه و فلتات لسانه فأورثه به الذل في الدنيا و الخزي و العذاب و الندامة في الآخرة فأصبح من الخاسرين أعمالا .

و قال الصادق (ع) ثلاثة لا يضر معهم شيء الدعاء عند الكربات و الاستغفار عند الذنب و الشكر عند النعمة .

و قال (ع) في حكمة آل داود يا ابن آدم كيف تتكلم بالهدى و أنت لا تفيق عن الردى يا ابن آدم أصبح قلبك قاسيا و لعظة الله ناسيا و لو كنت بالله عالما و بعظمته عارفا لم تزل منه خائفا و لموعده راجيا فيا ويحك كيف لا تذكر لحدك و انفرادك فيه وحدك و قال رسول الله صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال فإذا عمل العبد السيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال لا تعجل و أنظره سبع ساعات فإذا مضى سبع ساعات و لم يستغفر قال اكتب فما أقل حياء هذا العبد .

و قال (ع) إن النبي (ص) صلى على سعد بن معاذ و قال لقد وافى من

الملائكة للصلاة عليه تسعون ألف ملك و فيهم جبرئيل يصلون عليه فقلت يا جبرئيل بما استحق صلاتكم عليه قال يقرأ قل هو الله أحد قائما و قاعدا و راكبا و ماشيا و ذاهبا و جائيا و قال رسول الله (ص) لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فرأيت فيها قصرا من ياقوت أحمر يرى باطنه من ظاهره لضيائه و نوره و فيه قبتان من در و زبرجد فقلت يا جبرئيل لمن هذا القصر قال لمن أطاب الكلام و أدام الصيام و أطعم الطعام و تهجد بالليل و الناس نيام قال أمير المؤمنين (ع) و في أمتك من يطيق ذلك يا رسول الله قال أ تدري ما أطابه الكلام قلت الله و رسوله أعلم قال من قال سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر ثم قال أ تدري ما إدامة الصيام قلت الله و رسوله أعلم قال من صام شهر الصبر شهر رمضان و لم يفطر فيه يوما أ تدري ما إطعام الطعام قلت الله و رسوله أعلم قال من طلب لعياله ما يكف به وجوههم عن الناس ثم قال أ تدري ما التهجد بالليل و الناس نيام قلت الله و رسوله أعلم قال من لا ينم حتى يصلي العشاء الآخرة و الناس من اليهود و النصارى و غيرهما من المشركين نيام بينهما و قال رسول الله (ص) لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فرأيت فيها قيعانا بقعا من مسك و رأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضة و ربما أمسكوا فقلت لهم ما لكم ربما بنيتم و ربما أمسكتم فقالوا حتى تجيئنا النفقة قال و ما نفقتكم قالوا قول المؤمن سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر فإذا قالهن بنينا و إذا سكت و أمسك أمسكنا .

الباب الثاني و العشرون في فضل صلاة الليل

قال الله تعالى كانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ وَ بِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ و قال الله تعالى تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ و قال سبحانه أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَ قائِماً يَحْذَرُ الْ آخِرَةَ وَ يَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ و قال تعالى وَ الَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَ قِياماً و قال

[86]

تعالى وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً و قال سبحانه يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا و ما كان الله ليدعو نبيه إلا إلى أمر جليل و فضل جزيل فقد روي عن النبي (ص) أنه قال شرف المؤمن صلاته بالليل و عزه استغناؤه عن الناس .

و قال (ص) إذا جمع الله الأولين و الآخرين نادى مناد ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا و طمعا فيقومون و هم قليلون ثم يحاسب الناس من بعدهم .

و في الحديث الصحيح عن رسول الله (ص) أنه قال إن في جنة عدن شجرة تخرج منها خيل بلق مسرجة بالياقوت و الزبرجد ذوات أجنحة لا تروث و لا تبول يركبها أولياء الله فتطير بهم في الجنة حيث شاءوا قال فيناديهم أهل الجنة يا إخواننا ما أنصفتمونا ثم يقولون ربنا بما ذا أنال عبادك منك هذا الكرامة الجليلة دوننا فيناديهم ملك من بطنان العرش إنهم كانوا يقومون الليل و كنتم تنامون و كانوا يصومون و كنتم تأكلون و كانوا يتصدقون بمالهم لوجه الله تعالى و أنتم تبخلون و كانوا يذكرون الله كثيرا لا يفترون و كانوا يبكون من خشية ربهم و هم مشفقون و كان مما ناجى به الباري تعالى داود (ع) عليك بالاستغفار في دلج الليل و الأسحار يا داود إذا جن عليك الليل فانظر إلى ارتفاع النجوم في السماء و سبحني و أكثر من ذكري حتى أذكرك يا داود إن المتقين لا ينامون ليلهم إلا بصلواتهم إلي و لا يقطعون نهارهم

إلا بذكري يا داود إن العارفين كحلوا أعينهم بمرود السهر و قاموا ليلهم يسهرون يطلبون بذلك مرضاتي يا داود إنه من يصلي بالليل و الناس نيام يريد بذلك وجهي فإني آمر ملائكتي أن يستغفروا له و تشتاق إليه جنتي و يدعو له كل رطب و يابس يا داود اسمع ما أقول و الحق أقول إني أرحم بعبدي المذنب من نفسه لنفسه و أنا أحب عبدي ما يحبني و أستحي منه ما لا يستحي مني وصية يا أخي و اعلم أن الليل و النهار لا يفتران من مسيرهما و إنما يسيران بنقص عمر ابن آدم و هما ساعات و لحظات فإذا لهوة مع سرعة

[87]

سيرهما لحظة و اشتغلت عن الصلاة و الذكر لحظة أخرى ذهبت ساعات النهار كلها في غفلة ثم جاء الليل فإن نمته كله كنت ممن لا خير فيه ليلا و لا نهارا و من كان هذا حاله فموته خير له من حياته لأنه قد مات قلبه و لا خير في حياة جسد قد مات قلبه و لله در القائل شعرا:

أ يقظان أنت اليوم أم أنت *** نائم و كيف النوم حيران هائم

فلو كنت يقظان الغداة لحرقك *** مدامع عينيك الدموع السواجم

نهارك يا مغرور لهو و غفلة *** و ليلك نوم و الردى لك لازم

و سعيك مما سوف تكره عنده *** و عيشك في الدنيا كعيش البهائم

تسر بما يفنى و تفرح بالمنى *** كما سر باللذات في النوم حالم

فلا أنت في اليقظان يقظان ذاكر *** و لا أنت في النوم ناج و سالم

ثم قال يا جيفة بالليل بطالة بالنهار تعمل عمل الفجار و أنت تطلب منازل الأبرار هيهات هيهات كم تضرب في حديد بارد .

و قد ورد عن النبي (ص) قليل من بني آدم إلا و في غفلة و نقص أ لا ترى إذا نمى له مال بالزيادة فيسر بذلك و هذا الليل و النهار يجريان بطي عمره فلا يهمه ذلك لا يحزنه و ما يغني عنه مال يزيد و عمر ينقص و قد قيل لرجل أن فلانا استفاد مالا فقال له فهل استفاد أياما يتفقه فيها و قيل إن لله ملكا ينادي يا أبناء الخمسين زرع قد دنا حصاده و يا أبناء الستين ما ذا قدمتم لأنفسكم من العمل الصالح و ما ذا أخرتم من أموالكم من لا يترحم عليكم و يا أبناء السبعين عدوا أنفسكم من الموتى ليت الخلائق لم يخلقوا و ليتهم إذ خلقوا علموا لما ذا خلقوا فاعرف يا أخي ذلك و بادر لعمل الخير ثم بادر قبل أن ينزل بك ما تحاذر و لا يلهيك أحد من الناس عن صلاتك و دعائك و ذكرك ربك فيرفعان الملكان رقيب و عتيد دون ما كان يرفعان من عملك من قبل و الله لا يرضى منك بذلك بل يريد من عبده أن يزيد كل يوم في طاعته أكثر مما كانت .

و قد قال النبي (ص) من استوى يوماه فهو مغبون و من كان غده شرا فهو ملعون و من لم يتفقد النقصان في

عمله كان النقصان في عقله و من كان نقصان في عمله و عقله فالموت خير له من حياته و اعلم يا أخي أن العقلاء العارفين بالله المجتهدين في تحصيل رضاء الله تراهم عامة ليلهم بذكر ربهم يتلذذون و في عبادته يتقلبون ما بين صلاة نافلة و قراءة سورة و تسبيح و استغفار و دعاء و تضرع و ابتهال و بكاء من خشيته لا ينامون من ليلهم إلا ما غلبوا و ما أراحوا به أبدانهم فهم الرجال الأخيار و وصفك وصف اغترار جيفة بالليل بطال بالنهار تعتذر في ترك القيام بالليل بأعذار كاذبة تقول أنا ضعيف القوى أنا تاعب بكدر الدنيا بي مرض و صداع و تحتج بالبرد في الشتاء و الحر في الصيف و هذه أعذار كاذبة و لو أن سلطانا أعطاك دينارا أو كسوة و أمرك أن تقف ببابه تحرسه بالليل لبادرت إلى ذلك لا بل لو قال لك خذ سلاحك و أخرج قدامي تحارب عدوي لبذلت روحك العزيزة و إن قتلت و كم من إنسان يأخذ درهما أجرة له على حراسة زرع غيره أو ثمرة غيره و يسهر الليل كله في برد شديد و حر عظيم و لو أنك أردت سفرا أو عملا من أعمال الدنيا لسهرت عامة الليل في تعبئة أشغالك و تحفظ تجارتك و لم تعتذر بتلك الأعذار عن خدمة ربك و هذا يدل على كذبك و ضعف يقينك بما وعد الله العاملين بالثواب و الجنة على الطاعة فإنك قد أطعت في ذلك نفسك الأمارة بالسوء و أطعت إبليس و قد حذرك الله من طاعته فقال تعالى إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّما يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ و قال تعالى الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ وَ اللّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلًا فاحذر نفسك يا أخي من طول الرقاد و اعبد ربك حتى تبلغ منه المراد و لله در بعض الزهاد حيث قال شعرا :

حبيبي تجاف من المهاد *** خوف من الموت و المعاد

من خاف من سكرة المنايا *** لم يدر ما لذة الرقاد

قد بلغ الزرع منتهاه لا بد للزروع من حصاد فاستيقظ يا أخي من رقدتك فقد مضى من عمرك أكثره في غفلة و نوم و لا تنس نصيبك من قيام لله فيما بقي من عمرك لتكون خاتمتك خاتمة خير فاغتنمها تغنم و لا تغفل عنها فتندم فقد سمى الله تعالى يوم القيامة يوم الحسرة و الندامة و سماها في موضع آخر يوم التغابن

[89]

روي عن النبي (ص) أنه قال ما من مخلوق يوم القيامة إلا و يندم و لكن لا تنفعه الندامة فأما السعيد إذا رأى الجنة و ما أعد الله فيها لأوليائه المتقين يندم حيث لا عمل له مثل عملهم و يريد من العبادة أكثر منهم لينال درجتهم العليا في الفردوس الأعلى و إن كان من الأشقياء إذا رأى النار و زفيرها و ما أعد الله فيها من العذاب الأليم صرخ و ندم حيث لم يكن أقلع عن ذنوبه و معاصيه ليسلم مما هو فيه فهذه هي الطامة الكبرى فاستدرك يا أخي ما فرط من أمرك و اسكب الدمع بكاء على نفسك حيث لم تكن صالحا للقيام بباب ربك فأنامك و لو علم أنك صالح للقيام لأقامك بالبدار قبل نفاد الأعمار فإن الدنيا مزرعة الآخرة و على قدر ما تزرعه في الدنيا تحصده في الآخرة و قد أمر الباري عز و جل عباده بالمسارعة إلى الطاعات و الاستباق إليها فقال تعالى سارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ و من نام عن العبادات سائر ليله لم يمتثل ما أمره الله به من المسارعة إلى المغفرة و دخول الجنة العريضة التي أعدها للعاملين و اعلم أن من نام عامة ليله كان ذلك دليل على أنه عمل في نهاره ذنبا عظيما فعاقبه الله فطرده عن بابه و مرافقة العابدين الذين هم أحباؤه و لو علم النائم عن صلاة الليل ما فاته من الثواب العظيم و الأجر المقيم لطال بكاؤه عليه .

و عن ابن مسعود قال قال رسول الله (ص) حسب الرجل من الخيبة أن يبيت ليلة لا يصلي فيها ركعتين و لا يذكر الله فيها حتى يصبح و قيل يا رسول الله إن فلانا نام البارحة عن ورده حتى أصبح قال ذلك رجل بال الشيطان في أذنه فلم يستيقظ و كان بعض العباد يصلي عامة ليله فإذا كان السحر أنشد يقول :

ألا يا عين ويحك أسعديني *** بطول الدمع في ظلم الليالي

لعلك في القيامة أن تفوزي *** بحور العين في قصر اللئالي

و قال بعض العابدين رأيت في منامي كأني على شاطئ نهر يجري بالمسك الأذفر و على حافته شجر من اللؤلؤ و قصب الذهب و إذا بجوار مزينات لابسات ثياب السندس كان وجوههن الأقمار و هن يقلن سبحان المسبح بكل لسان سبحانه

[90]

سبحان الموجود في كل مكان سبحانه سبحان الدائم في كل الأزمان سبحانه فقلت لهن من أنتن فقلن شعرا :

ذرأنا إله الناس رب محمد *** لقوم على الأطراف بالليل قوم

يناجون رب العالمين إلههم *** و تسرى حمول القوم و الناس نوم

فقلت بخ بخ لهؤلاء القوم من هم فقلن هؤلاء المتهجدون بالليل بتلاوة القرآن الذاكرون الله كثيرا في السر و الإعلان المنفقين و المستغفرين بالأسحار فعاتب يا أخي نفسك و لا تقبل منها اعتذارها في ترك القيام فتلك معاذير كاذبة فقوموا الليل تحملوا السهر و القيام و القعود و اصبروا صبرا جميلا أعقبهم ذلك راحة طويلة في نعمة لا انقطاع لها و أنت يا مسكين لو صبرت صبرهم و عملت مثل عملهم فزت بما فازوا و لكنك آثرت لذات الرقاد على تحصيل الزاد و لم تجد الزاد و لم تجد بمالك على المساكين من العباد فأثر عليك الله العباد الزهاد فقربهم و أبعدك و أدناهم من بابه و طردك.

و اعلم أنك إذا لم تنشط لأفعال الخير و عبادة الله فاعلم أنك مكبل مقيد قد قيدتك ذنوبك و خطاياك فسابق يا أخي العابدين بسهر الليل لتسبقهم إلى جنات الأعلى فالليل أسبق جواد ركبه

الصالحون إلى رفيع الدرجات من الجنات فتكون ممن مدحهم الله في كتابه العزيز فقال تعالى تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ فانظروا إلى ما مدح الله به المصلين بالليل المنفقين مما رزقهم الله على المستحقين و إن خفت ألا تستيقظ للصلاة بعد النوم فخذ حظك من الصلاة قبل النوم و إياك أن تغفل عن الاستغفار في وقت الأسحار فذلك وقت لا تنام فيه الأطيار بل ترفع أصواتها بالتسبيح و الأذكار و عليك بتلاوة الأدعية و المناجاة فإن الدعاء مخ العبادة و إن كنت و لا بد من النوم فاستيقظ منه ساعة للتوبة و البكاء و الدعاء فإن غفلت و نمت الليل كله حتى ساعة الدعاء فقد مات قلبك و من مات قلبه أبعده الله عن قربه قلت و أقل حالات المؤمن أن يصلي في ليلة أربع ركعات من صلاة الليل و أدنى من ذلك أن يقرأ مائة آية من كتاب الله العزيز ثم يسبح الله تعالى و يدعو لنفسه

[91]

و لوالديه و للمؤمنين ثم يستغفر الله تعالى حتى لا يكذب في ديوان الغافلين و اعلم أن الصلاة بين المغرب و العشاء لها فضل عظيم و هي صلاة الأوابين و روي أنها تسمى ساعة الغفلة و هي ركعتين بين المغرب و العشاء يقرأ في الأولى الحمد و وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً و في الثانية الحمد و وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ و هي أفضل عند الله من صوم النهار و اعلم يا أخي أنك إذا عملت الطاعات و واظبت على العبادات من صيام أو صدقة أو بر أو صلة رحم فاقصد به وجه الله تعالى خالصا مخلصا من الرياء المحبط للأفعال و اتبع فيه قول الله تعالى وَ لَدارُ الْ آخِرَةِ خَيْرٌ .

و قال (ص) إن الله تعالى يقول لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوال مخلصا لي حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به و يده التي يبطش بها إن سألني أعطيته و إن استعاذني أعذته قال (ص) إذا قام العبد من مضجعه و النعاس في عينيه ليرضي ربه بصلاة ليله باهى الله به ملائكته فيقول أ ما ترون عبدي هذا قائم من مضجعه و ترك لذيذ منامه إلى ما لم أفرضه عليه اشهدوا أني قد غفرت له .

و قال (ص) استعينوا بطعام السحر على صيام النهار و بالقيلولة على قيام الليل و ما نام الليل كله أحد إلا بال الشيطان في أذنيه و جاء يوم القيامة مفلسا و ما من أحد إلا و له ملك يوقظه من نومه كل ليلة مرتين يقول يا عبد الله اقعد لتذكر ربك ففي الثالثة إن لم ينتبه يبول الشيطان في أذنه و روت عائشة قالت قام رسول الله يصلي و يقرأ القرآن و يبكي ثم يجلس يقرأ و يدعو و يبكي ثم جلس يقرأ و يدعو و يبكي حتى إذا فرغ اضطجع و هو يقرأ و يبكي حتى بلت الدموع خديه و لحيته قلت يا رسول الله أ ليس الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر

فقال بلى أ فلا أكون عبدا شكورا و قال الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه و طال ليله فقامه و قال من خاف أن ينام عن صلاة الليل فليقرأ عند منامه قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحاً وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً و يقول اللهم أنبهني لأحب الساعات إليك أدعوك فتجيبني و أسألك فتعطيني و أستغفرك فتغفر لي

[92]

و تقول اللهم ابعثني من مضجعي لذكرك و شكرك و صلواتك و استغفارك و تلاوة كتابك و حسن عبادتك يا أرحم الراحمين .

و قال النبي (ص) إن البيوت التي يصلى فيها بالليل و يتلى فيها القرآن تضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب الدري لأهل الأرض و اعلموا علما يقينا أنه ما تقرب المؤمن بقربات أعظم عند الله سبحانه أفضل من صلاة الليل و التسبيح و التهليل بعدها و مناجاة ربه العزيز الحميد و الاستغفار من ذنوبه و أدعية صلاة الليل ببكاء و خشوع ثم قراءة القرآن إلى طلوع الفجر و إيصال صلاة الليل بصلاة النهار فإني أيسره بالرزق الواسع في الدنيا من غير كد و لا تعب و لا نصب و بعافية شاملة في جسده و أبشره إذا مات بالنعيم في قبره من الجنة و ضياء قبره بنور صلاته تلك إلى يوم محشره و أبشره بأن الله تعالى لا يحاسبه و أنه يأمر الملائكة أن تدخله الجنة في أعلى عليين في جوار محمد و أهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين فيا لها من فرصة ما أحسن عاقبتها إذا سلمت من الرياء و العجب .

و قال (ص) في وصيته لأمير المؤمنين و عليك بصلاة الليل و كرر ذلك ثلاثا و قال أ لا ترون أن المصلين بالليل هم أحسن الناس وجوها لأنهم خلوا بالليل لله خلوا بالليل سبحانه فكساهم من نوره .

و سئل الباقر (ع) عن وقت صلاة الليل فقال هو الوقت الذي جاء عن جدي رسول الله (ص) أنه قال إن لله تعالى مناديا ينادي في السحر هل من داع فأجيبه هل من مستغفر فأغفر له هل من طالب فأعطيه ثم قال هو الوقت الذي وعد فيه يعقوب بنيه أن يستغفر لهم و هو الوقت الذي مدح فيه المستغفرين فقال وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ و إن صلاة الليل آخره أفضل من أوله و هو وقت الإجابة و الصلاة فيه هدية المؤمن إلى ربه فأحسنوا هداياكم إلى ربكم يحسن الله جوائزكم فإنه لا يواظب عليها إلا مؤمن صديق و اعلم أيدك الله أن صلاة الليل من أول نصفه الأخير لمن يطول في قراءته و دعائه أفضل و هي في آخره لمن يقتصر أفضل .

و قال الصادق (ع) لا تعطوا العين حظها من النوم فإنها أقل شيء شكرا

[93]

و روي أن الرجل يكذب الكذبة فيحرم بها صلاة الليل فإذا حرم صلاة الليل حرم بذلك الرزق

و قال (ع) كذب من زعم أنه يصلي بالليل و يجوع بالنهار و فيما أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران لو رأيت الذين يصلون لي الدجى و قد مثلت نفسي بين أعينهم و هم يخاطبوني و قد جليت عن المشاهدة و يكلموني و قد تعززت عن الحضور يا ابن عمران هب لي من عينك الدموع و من قلبك الخشوع و من بدنك الخضوع ثم ادعني في ظلم الليل تجدني قريبا مجيبا يا ابن عمران كذب من زعم أنه يحبني و إذا جنه الليل نام عني .

و روي عن المفضل بن صالح قال قال لي مولاي الصادق (ع) يا مفضل إن الله تعالى عبادا عاملوه بخالص من سره فعاملهم بخالص من بره فهم الذين تمر صحائفهم يوم القيامة فزعا فإذا وقفوا بين يديه ملأها لهم من سر ما أسروا إليه فقلت و كيف ذاك يا مولاي فقال أجلهم أن تطلع الحفظة على ما بينه و بينهم و في هذا دلالة على أن الإخفاء بها أفضل من الإجهار بها

و قول النبي خير العبادة أخفاها و خير الذكر الخفي و قوله (ع) صلاة السر تزيد على الجهر بسبعين ضعفا و مدح الله تعالى زكريا إِذْ نادى رَبَّهُ نِداءً خَفِيًّا و قال سبحانه ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ و هذا صريح في فضل إخفائها.

و سمع رسول الله (ص) قوما يرفعون أصواتهم بالدعاء فقال رسول الله (ص) على رسلكم إنما تدعون سميعا بصيرا حاضرا معكم و ما ورد من استحباب الجهر في صلاة الليل فإنه يختص بالقراءة دون الدعاء و اعلم أن كيفية رفع اليدين في الصلاة أن يكون اليدين مبسوطتين تحاذي صدر الإنسان .

و عن سعد بن يسار قال قال الصادق (ع) هكذا الرغبة و أبرز باطن كفيه إلى السماء و قال هكذا الرهبة و جعل ظهرهما إلى السماء و قال هكذا التضرع و حرك إصبعيه السبابتين يمينا و شمالا و قال هكذا التبتل و رفع إصبعيه و وضعهما و قال هكذا الابتهال و مد يديه تلقاء وجهه إلى القبلة و قال من ابتهل منكم فمع الدمعة يجريها على خديه و إن لم يبك فليتباك و من لم يستطع أن يصلي قائما فليصل قاعدا

[94]

و قال أمير المؤمنين (ع) من استغفر الله في السحر سبعين مرة كان من الذين قال الله فيهم وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ و قال من قرأ في ليله سبعين آية لم يكن من الغافلين و قال بعضهم لئن أبيت نائما و أصبح نادما خير من أن أبيت قائما و أصبح معجبا و قرب رجل من بني إسرائيل قربانا فلم يقبل منه و هو يلوم نفسه و يقول لها يا نفس هذا منك و من قبلك أوتيت فنودي أن مقتك لنفسك خير من عبادة مائة ألف سنة.

و قال بعض الصالحين نمت ذات ليلة عن وردي فسمعت هاتفا يقول أ تنام عن حضرة الرحمن و هو يقسم جوائز الرضوان بين الأحبة و الخلان فمن أراد منا المزيد فلا ينام ليله الطويل و لا يقنع من نفسه لها بالقليل و يستحب أن لا يكون يداه تحت ثيابه فقد ذكر بعض الصالحين أنه دعا و إحدى يديه بارزة و الأخرى تحت ثيابه فرأى في نومه أن يده البارزة مملوءة نورا و الأخرى ليس فيها شيء فسئل في نومه عن سبب ذلك فقيل له لو أبرزتها لامتلئت نورا فحلف أنه لا يعود إلى ذلك أبدا .

و قال أمير المؤمنين (ع) لقارئ القرآن في الصلاة قائما بكل حرف يقرأ مائة حسنة و قاعدا خمسون و مطهرا في غير الصلاة خمسة و عشرون حسنة و على غير طهارة عشر حسنات أما إني أقول بل المر حرف له بالألف عشر و باللام عشر و بالميم عشر و بالراء عشر .

و قال رسول الله (ص) قال تعالى من أحدث و لم يتوضأ فقد جفاني و من توضأ و لم يصل ركعتين فقد جفاني و من صلى ركعتين و لم يدعني فقد جفاني و من أحدث و توضأ و صلى و دعا و لم أجبه فقد جفوته و لست برب جاف و قال رسول الله اتخذوا المساجد بيوتا و عودوا قلوبكم الرأفة و أكثروا من التفكر و البكاء من خشية الله تعالى و كونوا في الدنيا أضيافا و أكثروا من الذكر .

و قال أمير المؤمنين (ع) ما فزع امرؤ فزعة إلا كانت عليه حسرة يوم القيامة و قال (ص) أي امرئ ضيع من عمره ساعة في غير ما خلق له لجدير أن تطول عليه حسرته يوم القيامة .

[95]

و قال (ص) نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة و الفراغ و أبلغ من هذا كله و أفصح قوله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ و إن كان مندوبا إليه فإنه في جنب الذكر خسارة لأن الربح القليل في جنب الكثير خسارة .

و قال النبي (ص) ليكن أحدكم رطبا من ذكر ربه فلا تكن من الغافلين قال الله تعالى وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَ اتَّبَعَ هَواهُ وَ كانَ أَمْرُهُ فُرُطاً. و قال تعالى فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّى عَنْ ذِكْرِنا وَ لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَياةَ الدُّنْيا ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ قد أمرنا بالذكر في كتابه .

الباب الثالث و العشرون في البكاء من خشية الله تعالى

عن أبي عبد الله (ع) قال أوحى الله تعالى إلى عيسى (ع) يا عيسى هب لي من عينيك الدموع و من قلبك الخشوع و من بدنك الخضوع و اكحل عينيك بميل الحزن إذا ضحك البطالون و قم على قبور الأموات فنادهم برفيع صوتك لعلك تأخذ موعظتك منهم و قل إني لاحق في اللاحقين .

و قال (ع) البكاءون خمسة آدم و يعقوب و يوسف و فاطمة و علي بن الحسين (ع) فأما آدم إنه بكى على الجنة حتى صار على خديه أمثال الأودية و بكى يعقوب على يوسف حتى ذهب بصره و بكى يوسف على يعقوب حتى تأذى منه أهل السجن فقالوا إما تبكي بالليل و تسكت بالنهار أو تسكت بالليل و تبكي بالنهار و بكت فاطمة (ع) على فراق رسول الله (ص) حتى تأذى أهل المدينة فكانت تخرج إلى البقيع فتبكي فيه و بكى علي بن الحسين (ع) عشرون سنة و ما رأوه على أكل و لا على شرب إلا و هو يبكي فلاموه في ذلك فقال إني لم أذكر مصارع أبي و أهل بيتي إلا و خنقتني العبرة .

و قال أمير المؤمنين (ع) إن عباد الله كسرت قلوبهم من خشية الله فأمسكتهم عن النطق و أنهم لفصحاء ألباء نبلاء يسبقون إليه بالأعمال الصالحة الزاكية لا يستكثرون له الكثير و لا يرضون بالقليل يرون في أنفسهم أنهم أشرار

[96]

و أنهم لأكياس أبرار و أوحى الله إلى موسى (ع) يا موسى ما تزين المتزينون بمثل الزهد في الدنيا و ما تقرب إلي المتقربون بمثل الورع من خشيتي و ما تعبد لي المتعبدون بمثل البكاء من خيفتي فقال موسى يا رب بما تجزيهم على ذلك فقال أما المتزينون بالزهد فإني أبيحهم جنتي و أما المتقربون بالورع عن محارمي فإني أدخلهم جنانا لا يشركهم فيها غيرهم و أما البكاءون من خيفتي فإني أفتش الناس و لا أفتشهم حياء منهم .

و قال رسول الله (ص) يا علي عليك بالبكاء من خشية الله يبني لك بكل قطرة بيتا في الجنة

و قال (ص) لو أن باكيا بكى في أمة لرحم الله تلك الأمة لبكائه و قال (ص) إذا أحب الله عبدا نصبه في قلبه نائحة من الحزن فإن الله تعالى يحب كل قلب حزين و إذا أبغض الله عبدا نصب له في قلبه مزمارا من الضحك و ما يدخل النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن إلى الضرع و لم يجتمع غبار في سبيل الله و دخان من جهنم في منخري مؤمن أبدا .

و قال (ص) البكاء من خشية الله يطفئ بحارا من غضب الله و قد وبخ الله تعالى على ترك البكاء عند استماع القرآن عند قوله أَ فَمِنْ هذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَ تَضْحَكُونَ وَ لا تَبْكُونَ و مدح الذين يبكون عند استماعه بقوله وَ إِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنّا فَاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدِينَ .

و قال (ع) لكل شيء كيل أو وزن إلا البكاء فإن الدمعة تطفئ بحارا من النار و روي أن بعض الأنبياء اجتاز بحجر ينبع منه ماء كثير فعجب من ذلك فسأل الله إنطاقه فقال له لم يخرج منك الماء الكثير مع صغرك فقال من بكاء حزن حيث سمعت يقول ناراً وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجارَةُ و أخاف أن أكون من تلك الحجارة فسأل الله تعالى أن لا يكون من تلك الحجارة فأجابه الله و بشره النبي بذلك ثم تركه و مضى ثم عاد إليه بعد وقت فرآه ينبع كما كان فقال أ لم يأمنك الله

فقال بلى فذلك بكاء الحزن و هذا بكاء السرور و روي أن يحيى بن زكريا بكى حتى أثرت الدموع في خديه و عملت

له أمه لبادا على خديه يجري عليه الدموع .

و قال الحسين (ع) ما دخلت على أبي قط إلا وجدته باكيا و قال إن النبي (ص) بكى حين وصل في قراءته فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً فانظروا إلى الشاهد كيف يبكي و المشهود عليهم يضحكون و الله لو لا الجهل ما ضحكت سن فكيف يضحك من يصبح و يمسي و لا يملك لنفسه و لا يدري ما يحدث عليه من سلب نعمة أو نزول نقمة أو مفاجاة ميتة و أمامه يوم يجعل الولدان شيبا يشيب الصغار و يسكر الكبار و توضع ذوات الأحمال و مقداره في عظم هوله خمسون ألف سنة فإنا لله و إنا إليه راجعون اللهم أعنا على هوله و ارحمنا فيه و تغمدنا برحمتك التي وسعت كل شيء و لا تؤيسنا من روحك و لا تحل علينا غضبك و احشرنا في زمرة نبيك محمد و أهل بيته الطاهرين صلواتك عليه و عليهم أجمعين فقال النبي (ص) ما من مؤمن يخرج من عينيه مثل رأس الذبابة من الدموع فيصيب حر وجهه إلا حرم الله عليه النار و قال (ع) لا ترى النار عين بكت من خشية الله و لا عين سهرت من طاعة الله و لا عين غضت عن محارم الله .

و قال (ع) ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع خرجت من خشية الله و من قطرة دم سفكت في سبيل الله و ما من عبد بكى من خشية الله إلا سقاه الله من رحيق رحمته و أبدله ضحكا و سرورا في جنته و رحم الله من حوله و لو كان عشرين ألفا و ما اغرورقت عين في خشية الله إلا حرم الله جسده على النار و إن أصابت وجهه و لم يرهقه قتر و لا ذلة و لو بكى عبد في أمة لنجى الله تلك الأمة ببكائه .

و قال (ع) من بكى من ذنب غفر الله له و من بكى خوف النار أعاذه الله منها و من بكى شوقا إلى الجنة أسكنه الله فيها و كتب له أمانا من الفزع الأكبر و من بكى من خشية الله حشره الله مع النبيين و الصديقين و الشهداء

و الصالحين و حسن أولئك رفيقا و قال (ع) البكاء من خشية الله مفتاح الرحمة و علامة القبول و باب الإجابة و قال (ع) إذا بكى العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه الذنوب كما يتحات الورق فيبقى كيوم ولدته أمه .

الباب الرابع و العشرون في الجهاد في سبيل الله

قال الله تعالى وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا و قال سبحانه لكِنِ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ وَ أُولئِكَ لَهُمُ الْخَيْراتُ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ و قال سبحانه إِنَّ اللّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ و روي عن النبي (ص) أنه قال للجنة باب يقال له باب المجاهدين يدخلون منه و أن الملائكة تترحب بهم و أهل الجمع ينظرون إليهم بما أكرمهم الله و أعظم الجهاد جهاد النفس لأنها أمارة بالسوء راغبة في الشر ميالة إلى الشهوات متثاقلة بالخيرات كثيرة الآمال ناسية للأهوال محبة للرئاسة و طالبة للراحة قال الله تعالى إِنَّ النَّفْسَ لَأَمّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلّا ما رَحِمَ رَبِّي .

و قال (ع) من أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر و من أراد إصلاح حاله و سلامة نفسه فليجعل دأبه مجاهدة النفس عند كل حال لا يخالف فيه ما يوافق كتاب الله و سنة نبيه و سنن الأئمة من أهل بيته و آدابهم (ع) قال أمير المؤمنين (ع) لا يصبح المؤمن و لا يمسي إلا و نفسه عنده ظنون يعني يتهمها و يزري عليها قيل إن رجلا في زمان بني إسرائيل نام عن صلاة الليل فلما انتبه لام نفسه فقال هذا منك و بطريقك و تفريطك حرمت عبادة ربي فأوحى الله إلى موسى (ع) قل لعبدي هذا إني قد جعلت لك ثواب مائة سنة بلومك نفسك و ينبغي للعاقل مجاهدة نفسه على القيام بحقوق الله و سلوك طريق السلامة فإن الله تعالى قال وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا و من أراد السلامة من الشيطان فليجاهد نفسه و يحاسبها محاسبة الشريك لشريكه

و لقد أحسن أبو ذر ره في قوله ما وهب الله لعبد هبة أحسن من أن يلزمه زاجر لنفسه يأمره و ينهاه و من مجاهدة النفس إن الإنسان لا يأكل إلا عند الحاجة إليه و لا ينام إلا عند غلبة النوم و لا يتكلم إلا عند الضرورة و بالجملة أن يقمعها عن الهوى كما قال تعالى وَ أَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى و اعلموا أن المجاهدة تعقب الراحة .

الباب الخامس و العشرون في مدح الخمول و الاعتزال

اعلم أن جماع الخير كله و إحرازه في الوحشة من الناس و العزلة عنهم فإن بالعزلة يحصل الإخلاص و ينسد عنه باب الغيبة و النميمة و لغو القول و سلامة النظر و السمع لمن لا يجول و الوحشة من الناس علامة الأنس بالله و العزلة من أمارات الوصلة .

و روى سفيان الثوري قال قصدت جعفر بن محمد (ع) فأذن لي بالدخول فوجدته في سرداب ينزل عشر مرقاة فقلت يا ابن رسول الله أنت في هذا المكان مع حاجة الناس إليك فقال يا سفيان فسد الزمان و تنكر الإخوان و تقلب الأعيان فاتخذنا الوحدة سكنا أ معك شيء تكتب قلت نعم فقال اكتب شعرا :

لا تجزعن لوحدة و تفرد *** و من التفرد في زمانك فازدد

فسد الإخاء فليس ثمة أخوة *** إلا التملق باللسان و باليد

و إذا نظرت جميع ما بقلوبهم *** أبصرت سم نقيع ثم الأسود

فإذا فتشت ضميره من قلبه *** وافيت عنه مرارة لا تنفد

و العزلة في الحقيقة اعتزال الأمور الذميمة و الذي حصل علوم معارفه و عمله ثم اعتزل بنى أمره على أساس ثابت و ينبغي لصاحب العزلة الاشتغال بذكر ربه و الفكر في صنائعه و إلا أوقعته خلوته في بلية و فتنة و يكون عنده قوة في العلم تدفع عنه هواجس الشيطان و وساوسه و لا شك أن خير الدنيا و الآخرة في العزلة و التقليل من علق الدنيا و شرها في الكثرة و الاختلاط بالناس و الخمول رأس كل

[100]

خير، و قال بعضهم رأيت بعض الأئمة في المنام يقول الخمول نعمة و كل يأباه و الترفع نقمة و كل يترجاه و الغنى فتنة و كل يتمناه و الفقر عصمة و كل يتجافاه و المرض حطة للذنوب و كل يتوقاه و المرء لنفسه ما لم يعرف فإذا عرف صار لغيره .

و قال أمير المؤمنين (ع) لكميل بن زياد تبدل و لا تشهر و وار شخصك و لا تذكر و تعلم و اعمل و اسكت تسلم تسر الأبرار و تغيظ الفجار و لا عليك إذا علمت معالم دينك أن لا تعرف الناس و لا يعرفوك و من ألزم قلبه فكرا و لسانه الذكر ملأ الله قلبه إيمانا و رحمة و نورا و حكمة و أن الفكر و الاعتبار يخرجان من قلب المؤمن من عجائب المنطق في الحكمة فتسمع له أقوال يرضاها العلماء و تخشع له العقلاء و تعجب منه الحكماء و روي أن رجلا سأل أم أويس من أين لابنك هذه الحالة العظيمة التي قد مدحه النبي بها مدحا لم يمدح به أحدا من أصحابه هذا و لم يره النبي (ص) فقالت إنه من حيث بلغ اعتزلنا و كان يأخذ في الفكر و الاعتبار .

و قال (ع) إن الله أوحى إلى موسى (ع) من أحب حبيبا آنس به و من آنس بحبيب صدق قوله و رضي فعله و من وثق بحبيب اعتمد عليه و من اشتاق إلى حبيب جد في السير إليه يا موسى ذكري للذاكرين و زيارتي للمشتاقين و جنتي للمطيعين و أنا خاصة للمحبين .

و قال كعب الأحبار أوحى الله إلى بعض الأنبياء إن أردت لقائي غدا في حظيرة القدس فكن في الدنيا غريبا محزونا مستوحشا كالطير الوحداني الذي يطير في الأرض القفرة و يأكل من رءوس الأشجار المثمرة فإذا كان الليل أوى إلى وكره و لم يكن مع الطير استيحاشا من الناس و استيناسا بربه و من اعتصم بالله و مكابدة معزله و الصبر عليها أيسر من سوء عاقبة مخالطة الناس و الوحدة طريقة الصديقين و علامة الإفلاس القرب من الناس و مخالطة الناس فتنة في الدين عظيمة لأن من خالط الناس درأهم و من درأهم راهمهم و داهنهم و راقبهم و لا يصح موالاة الله و مراقبة الناس و مراياهم و من أراد أن يسلم له دينه و يستريح بدنه و قلبه فليعتزل الناس فإن هذا زمان وحشة و العاقل الناصح لنفسه من اختار

[101]

الوحدة و آنس بها و لست أرى عارفا يستوحش مع الله فالزموا الوحدة فاستتروا بالجدار و امحوا أسماءكم من قلوب الناس تسلمون من غوائلهم و لما ذكر أمير المؤمنين (ع) هذا الزمان و فتنته قال ذلك زمان لا يسلم فيه إلا كل مؤمن إذا شهد لم يعرف و إذا غاب لم يفتقد أولئك مصابيح الهدى و أعلام السرى ليسوا بالمساييح و المذاييع البذر أولئك يفتح الله عليهم أبواب رحمته و يسد عنهم أبواب نقمته و قال المساييح يعني يسيحون في الأرض بالفساد و المذاييع النميمة و الكذب و البذر يبذرون الكذب و النميمة كبذر الزرع من كثرته و إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة و من فتنة الناس إلى السلامة منهم آنسه بالوحدة و حبب إليه الخلوة و أغناه بالقناعة و بصره عيوب نفسه و حجبه عن عيوب الناس و من أعطي ذلك فقد أعطي خير الدنيا و الآخرة .

الباب السادس و العشرون في الورع و الترغيب منه

قال الصادق (ع) عليكم بالورع و الاجتهاد و صدق الحديث و أداء الأمانة لمن ائتمنكم فلو أن قاتل الحسين (ع) ائتمنني على السيف الذي قتله به لأتيته إليه و قال (ع) إن أحق الناس بالورع آل محمد (ص) و شيعتهم لكي يقتدي الناس بهم فإنهم القدوة لمن اقتدى فاتقوا الله و أطيعوه فإنه لا

ينال ما عند الله إلا بالتقوى و الورع و الاجتهاد فإن الله تعالى يقول إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ و قال أما و الله إنكم على دين الله و دين ملائكته فأعينونا على ذلك بالورع و الاجتهاد و كثرة العبادة و عليكم بالورع .

و روى أبو عبد الله (ع) قال كنت مع أبي حتى انتهينا إلى القبر و المنبر فإذا بأناس من أصحابه فوقف عليهم و سلم فقال و الله إني لأحبكم و أحب ريحكم و أرواحكم فأعينونا على ذلك بورع و اجتهاد فإنكم لن تنالوا ولايتنا إلا بالورع و الاجتهاد و من ائتم بإمام فليعمل بعمله ثم قال أنتم شرطة الله و أنتم شيعة الله و أنتم السابقون الأولون و السابقون في الآخرة إلى الجنة ضمنا لكم الجنة بضمان الله عز و جل و ضمان رسوله أنتم الطيبون و نساؤكم الطيبات كل مؤمن صديق و كل

[102]

مؤمنة حوراء و كم من مرة قد قال علي (ع) لقنبر بشر و أبشر و استبشر فو الله لقد مات رسول الله (ص) و إنه لساخط على جميع الأمة إلا الشيعة ألا إن لكل شيء عروة و إن عروة الدين الشيعة ألا و إن لكل شيء إماما و إمام الأرض أرض تسكنها الشيعة ألا إن لكل شيء شرفا و شرف الدين الشيعة و الله لو لا ما في الأرض منكم لمادت بأهلها و كل مخالف في الأرض و إن تعبد و اجتهد فمنسوب إلى هذه الآية خاشِعَةٌ عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَصْلى ناراً حامِيَةً و الله ما دعي مخالف دعوة خير إلا كانت إجابة دعوته لكم و لا دعا

أحد منكم دعوة خير إلا كانت له من الله مائة و لا أحد منكم سأله مسألة إلا كانت له من الله مائة و لا عمل أحد منكم حسنة إلا له أحسن منها و الله إن صائمكم ليرتع في رياض الجنة و الله إن حاجكم و معتمركم لمن خاصة الله و أنتم جميعا لأهل دعوة الله و أهل إجابته لا خوف عليكم و لا أنتم تحزنون كلكم في الجنة فتنافسوا في الدرجات فو الله ما أقرب إلى عرش الله من شيعتنا حبذا شيعتنا ما أحسن صنع الله إليهم و الله لقد قال أمير المؤمنين (ع) تخرج شيعتنا من قبورهم مشرقة وجوههم قريرة أعينهم قد أعطوا الأمان يخاف الناس و لا يخافون و يحزن الناس و لا هم يحزنون و الله ما سعى أحدكم إلى الصلاة إلا و قد اكتنفته الملائكة من خلفه يدعون الله بالفوز حتى يفرغ من صلاته ألا إن لكل شيء جوهرا و جوهر ولد آدم محمد (ص) و نحن و أنتم و أوحى إلى موسى ما تقرب إلى المتقربون بمثل الورع عن محارمي .

الباب السابع و العشرون في الصمت

قال الرضا (ع) من علامات الفقه الحلم و الحياء و الصمت إن الصمت باب من أبواب الحكمة و إنه ليكسب المحبة و يوجب السلامة و راحة لكرام الكاتبين و إنه لدليل على كل خير .

و قال أمير المؤمنين (ع) لا يزال الرجل سالما ما دام ساكتا فإذا تكلم كتب محسنا أو مسيئا.

و قال الرسول (ص) لرجل أ لا أدلك على أمر يدخلك الله به الجنة قال

[103]

بلى يا رسول الله قال قل أنل ما أنالك الله قال فإن لم يكن لي قال فانصر المظلوم قال فإن لم أقدر قال قل خيرا تغنم أو تسكت تسلم و قال رجل للرضا (ع) أوصني قال احفظ لسانك تعز و لا تمكن الشيطان من قيادك فتذل .

و قال أمير المؤمنين (ع) في وصيته لابنه محمد بن الحنفية و اعلم يا بني إن اللسان كلب عقور إن أرسلته عقرك و رب كلمة سلبت نعمة و جلبت نقمة فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك و ورقك و من سبب عذار لسانه ساقه إلى كل كريهة .

و قال رسول الله (ص) و ما يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم و من أراد السلامة في الدنيا و الآخرة قيد لسانه بلجام الشرع فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا و الآخرة.

و قال رسول الله (ص) من صمت نجا .

و قال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله فيم النجاة قال أملك عليك لسانك و ليسعك بيتك و ابك على خطيئتك .

و قال رسول الله (ص) من وقي شر قبقبه و لقلقه و ذبذبه فقد وقي الشر كله و القبقب البطن و اللقلق اللسان و الذبذب الفرج و قال لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه و لا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه لأن لسان المؤمن وراء قلبه إذا أراد أن يتكلم يتدبر الكلام فإذا كان خيرا أبداه و إن كان شرا واراه و المنافق قلبه وراء لسانه يتكلم بما أتى على لسانه و لا يبالي ما عليه مما له و إن أكثر خطايا ابن آدم من لسانه .

و قال (ص) من كف لسانه ستر الله عوراته و من ملك غضبه وقاه الله عذابه و من اعتذر إلى الله قبل عذره و قال أعرابي يا رسول الله دلني على عمل أنجو به فقال أطعم الجائع و أرو العطشان و أمر بالمعروف و انه عن المنكر فإن لم تطق فكف لسانك فإنه بذلك تغلب الشيطان

و قال إن الله عند لسان

[104]

كل قائل فليتق الله امرؤ و ليعلم ما يقول قال إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة .

و قال عيسى ابن مريم (ع) العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت و جزء واحد في الفرار من الناس و في حكمة آل داود على القائل أن يكون عارفا بزمامه حافظا للسانه مقبلا على شأنه مستوحشا من أوثق إخوانه و من أكثر ذكر الموت رضي باليسير و هان عليه من الأمور الكثيرة و من عد كلامه من عمله قل كلامه إلا من خير .

و اعلم أن أحسن الأحوال أن تحفظ لسانك من الغيبة و النميمة و لغو القول و تشغل لسانك بذكر الله تعالى أو في تعلم علم فإنه من ذكر الله فإن العمر متجر عظيم كل نفس منه جوهرة فإذا ترك الذكر و شغل لسانه باللغو كان كمن رأى درة فأراد أن يأخذها فأخذ عوضها مدرة لأن الإنسان إذا عاين ملك الموت لقبض روحه فلو طلب منه التأخير على أن يتركه ساعة أو نفسا واحدا يقول لا إله إلا الله بملك الدنيا لم يقبل منه كم ضيع الإنسان من ساعة في لا شيء بل ساعات و أيام فهذا هو الغبن العظيم و إن المؤمن هو الذي يكون نطقه ذكرا و صمته فكرا و نظره اعتبارا .

و قال رسول الله (ص) لأبي ذر أ لا أعلمك عملا ثقيلا في الميزان خفيفا على اللسان قال بلى يا رسول الله قال الصمت و حسن الخلق و ترك ما لا يعنيك و روي أن لقمان رأى داود يعمل الزرد فأراد أن يسأله ثم سكت فلما لبسها داود (ع) عرف لقمان حالها بغير سؤال و قال من كثر كلامه كثر سقطه و من كثر سقطه كثر لغوه و من كثر لغوه كثر كذبه و من كثر كذبه كثرت ذنوبه و من كثرت ذنوبه فالنار أولى به و قد حجب الله اللسان بأربع مصاريع لكثرة ضرره الشفتان مصرعان و الأسنان مصرعان و قال بعض العلماء إنما خلق للإنسان لسان واحد و أذنان و عينان ليسمع و يبصر أكثر مما يقول و روي أن الصمت مرآة الحكمة

[105]

الباب الثامن و العشرون في الخوف من الله تعالى

روي أن إبراهيم (ع) كان يسمع منه في صلاته أزيز كأزيز المرجل من خوف الله تعالى في صدره و كان سيدنا رسول الله (ص) كذلك و كان أمير المؤمنين إذا قال وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ يتغير وجهه و يصفر لونه فيعرف ذلك في وجهه من خيفة الله تعالى و أعتق ألف مملوك من كد يمينه و كان يغرس النخل و يبيعها و يشتري بثمنها العبيد و يعتقهم و يعطيهم مع ذلك ما يغنيهم عن الناس و أخبره بعض عبيده أنه قد نبع في بستانه عين فينبع الماء منها مثل عنق البعير فقال بشر الوارث بشر الوارث بشر الوارث ثم أحضر شهودا فأشهدهم أنه أوقفها في سبيل الله حتى يرث الله الأرض و من عليها و قال إنما فعلت ذلك ليصرف الله عن وجهي النار و أعطى معاوية للحسن (ع) فيها مائتي ألف دينار فقال ما كنت لأبيع شيئا أوقفه أبي في سبيل الله و ما عرض له أمران إلا عمل

بأشدهما طاعة و كان إذا سجد سجدة الشكر غشي عليه من خشية الله تعالى و كانت فاطمة (ع) تنهج في صلاتها من خوف الله تعالى. و كان علي بن الحسين (ع) يتغير وجهه في صلاته من الله تعالى .

و قال لقمان (ع) لابنه يا بني خف الله خوفا لو أتيته بعمل الثقلين خفت أن يعذبك و ارجه رجاء لو أتيته بذنوب الثقلين رجوت أن يغفر لك .

و قال علي بن الحسين (ع) ابن آدم إنك لا تزال بخير ما كان لك واعظا من نفسك و ما كان الخوف شعارك و الحزن دثارك ابن آدم إنك ميت و محاسب فأعد الجواب و أوحى الله تعالى إلى موسى يا موسى خفني في سرائرك أحفظك في عوراتك و اذكرني في سرائرك و خلواتك و عند سرور لذاتك أذكرك عند غفلاتك و املك غضبك عمن ملكتك أمره أكف غضبي عنك و اكتم مكنون سري و أظهر في علانيتك المداراة عني لعدوك و عدوي .

و قال الصادق (ع) ما الدنيا إلا بمنزلة الميتة إذا اضطرت إليها أكلت منها يا حفص إن الله تعالى علم ما العباد عاملون و إلى ما هم صائرون فحلم عنهم

[106]

عند أعمالهم السيئة بعلمه السابق فيهم و إنما يعجل من يخاف الفوت فلا يغرنك تأخير العقوبة ثم تلا قوله تعالى تِلْكَ الدّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ و جعل يبكي و يقول ذهبت الأماني عند هذه الآية ثم قال فاز و الله الأبرار و خسر الأشرار أ تدري من هم الذين خافوه و اتقوه و تقربوا إليه بالأعمال الصالحة و خشوه في سرائرهم و علانياتهم كفى بخشية الله علما و كفى بالاغترار به جهلا يا حفص من تعلم و عمل كتب في الملكوت عظيما إن أعلم الناس بالله أخوفهم منه و أخشاهم له و أزهدهم في الدنيا فقال له رجل يا ابن رسول الله أوصني فقال اتق الله حيث كنت فإنك لا تستوحش قال الصادق (ع) بينما رسول الله ذات يوم قاعدا إذ نزل جبرائيل كئيبا حزينا فقال له رسول الله يا أخي جبرائيل ما لي أراك كئيبا حزينا فقال و كيف لا أكون كذلك و قد وضعت منافيخ جهنم اليوم فقال و ما منافيخ جهنم فقال إن الله أمر بالنار فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة ظلمات بعضها فوق بعض و لو أن حلقة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعا وضعت على الجبال لذابت من حرها و لو أن قطرة من الزقوم و الضريع قطرت في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها فبكى رسول الله (ص) و بكى جبرائيل فأوحى الله إليهما قد أمنتكما من أن تذنبا ذنبا تستحقان به النار و لكن هكذا كونوا و أما ما جاء من الخوف و الخشية في القرآن فكثير مثل قوله تعالى وَ خافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ و قال فَإِيّايَ فَارْهَبُونِ و قال في مدح قوم يخافون ربهم من فوقهم و قال وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ و قال وَ أَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى و قال إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ و الخشية ثمرة العلم و لا علم لمن لا خشية له و الخشية سراج النفس به تهتدي من ظلمتها و ليس الخوف من يبكي و يمسح دموعه و إنما ذلك خوف كاذب و إنما الخائف من يترك الأمر الذي يعذب عليه و لو خاف الرجل النار كما يخاف الفقر لأمن منها و إن المؤمن لا يطمئن قلبه و لا تسكن روعته حتى يترك جسر جهنم

[107]

وراءه و يستقبل باب الجنة و لا يسكن الخوف اليوم إلا قلب من يأمن غدا و كذلك قال الله تعالى و عزتي و جلالي لا أجمع لعبدي بين خوفين و أمنين إذا خافني في الدنيا أمنته في الآخرة و إذا أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة الخوف توقع العقوبة في كل ساعة و ما

فارق الخوف إلا قلبا خرابا و دوام المراقبة لله في السر و العلانية يهيج الخوف في القلب و من علاماته قصر الأمل و شدة العمل و الورع .

و قال رجل لرسول الله (ص) قول الله تعالى وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلى رَبِّهِمْ راجِعُونَ يعني بذلك الرجل الذي يزني و يسرق و يشرب الخمر و هو خائف قال لا و لكن الرجل الذي يصلي و يصوم و يتصدق و هو مع ذلك يخاف أن لا يقبل منه و متى سكن الخوف القلب أحرق منه موضع الشهوات و طرد عنه رغبة الدنيا و أظهر آثار الحزن على الوجه .

الباب التاسع و العشرون في الرجاء لله تعالى

عن أبي عبد الله (ع) قال إذا أراد أحدكم أن لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه فليقطع رجاءه من الناس و ليصله به فإذا علم ذلك منه لم يسأله شيئا إلا أعطاه و قال رسول الله (ص) قال جبرائيل قال الله تعالى عبدي إذا عرفتني و عبدتني و رجوتني و لم تشرك بي شيئا غفرت لك على ما كان منك و لو استقبلتني بملإ الأرض خطايا و ذنوبا أستقبلك بملئها مغفرة و عفوا و أغفر لك و لا أبالي و قال رسول الله يقول الله عز و جل أخرجوا من النار من كان في قلبه مقدار حبة من خردل إيمانا ثم يقول و عزتي و جلالي لا أجعل من آمن بي ساعة من ليل أو نهار مع من لم يؤمن بي و حقيقة الرجاء انبساط الأمل في رحمة الله و حسن الظن به و اعلم أن علامة الراجي حسن الطاعة لأن الرجاء ثلاث مراتب رجل عمل الحسنة فيرجو قبولها و رجل عمل السيئة فيرجو غفرانها و رجل كذاب مغرور يعمل المعاصي و يتمنى المغفرة مع الإصرار و التهاون بالذنوب .

و قال رجل للصادق (ع) إن قوما من شيعتكم يعملون بالمعاصي و يقولون

نرجو فقال كذبوا ليسوا من شيعتنا كل من رجا شيئا عمل له فو الله ما من شيعتنا منكم إلا من اتقى الله و قال إن قوما استقبلوا عليا فسلموا عليه و قالوا نحن شيعتكم يا أمير المؤمنين فقال ما لي لا أرى عليكم سيماء الشيعة قالوا و ما سيماء الشيعة يا أمير المؤمنين فقال صفر الوجوه من السهر عمش العيون من البكاء خمص البطون ذبل الشفاه حدب الظهور من القيام عليهم عبر الخاشعين و قال رجل يا ابن رسول الله إني ألم بالمعاصي و أرجو العفو مع ذلك فقال له يا هذا اتق الله و اعمل بطاعته و ارج مع ذلك القبول فإن أحسن الناس بالله ظنا و أعظمهم رجاء أعملهم بطاعته و لقد كان رسول الله (ص) و أمير المؤمنين (ع) أحسن الناس بالله ظنا و أبسطهم له رجاء و كان أعظم الناس منه خوفا و أشدهم له هيبة و منه رهبة (ص) و كذا سائر الأنبياء لم يكن في زمان كل واحد منهم أحد أحسن منه رجاء و لا أشد منه خوفا.

و قال أمير المؤمنين (ع) لأصحابه و إن استطعتم أن يشتد خوفكم من الله و يحسن ظنكم به فاجمعوا بينهما فإنما يكون حسن ظن العبد بربه على قدر خوفه منه و إن أحسن الناس بالله ظنا أشدهم خوفا منه فدعوا الأماني منكم و جدوا و اجتهدوا و أدوا إلى الله حقه و إلى خلقه فما صنع أحد حقه إلا كان براءة من النار و ليس لأحد على الله حجة و لا بين أحد و بين الله

قرابة فما ضرب الله تعالى مثل آدم في أنه عصى بأكل حبة إلا عبرة لكم و تذكرة و لقد كان أمير المؤمنين (ع) يقول في تسبيحه سبحان من جعل خطيئة آدم عبرة لأولاده أراد بها أن أباكم آدم الذي هو أصلكم قد اصطفاه و جعله أبا الأنبياء سماه عاصيا و أهبطه من الجنة إلى الأرض و طفق هو و أمكم حواء يخصفان عليهما من ورق الجنة لأجل أكل حبة واحدة فكيف بكم و أنتم تأكلون

البيادر كلها هذا هو الطمع العظيم في جنب الله و ينبغي أن يكون الرجاء و الخوف كجناحي طائر في قلب المؤمن إذا استويا حصل الطيران و إذا حصل أحدهما دون الآخر فقد انكسر أحد الجناحين و حصل النقص في القلب و في العمل و ينبغي للعبد أن يبسط رجاه في الله تعالى و يحدث في نفسه أن يعاين من عفوه و رحمته و كرمه عند لقائه ما لم

[109]

يكن في حسابه و لا شك أن العاقل يرى نفسه مقصرا و ليس له وثوق بقبول عمله يعتمد أحسن الظن بالله و الرجاء لعفوه و حلمه و كرمه و الرغبة إليه و التضرع بين يديه و الابتهال كما قال (ص) إلهي ذنوبي تخوفني منك و جودك يبشرني عنك فأخرجني بالخوف من الخطايا حتى أكون غدا في القيامة عتيق كرمك كما كنت في الدنيا ربيب نعمك و ليس ما تبذله غدا من النجاة بأعظم مما قد منحته من الرجاء و متى خاب في فنائك آمل أم متى انصرف بالرد عنك سائل إلهي ما دعاك من لم تجبه لأنك قلت ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ و أنت لا تخلف الميعاد فصل على محمد و آل محمد و استجب دعائي و لا تقطع رجائي برحمتك يا أرحم الراحمين .

و روي أن سبب نزول قوله تعالى نَبِّئْ عِبادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ أن رسول الله (ص) مر بقوم يضحكون فقال أ تضحكون فلو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم طويلا فنزل جبرائيل و قال يا محمد ربك يقرئك السلام و يقول لك نَبِّئْ عِبادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَ أَنَّ عَذابِي هُوَ الْعَذابُ الْأَلِيمُ .

و قالت أم سلمة سمعت رسول الله (ص) يقول إن الله تعالى ليعجب من يأس العبد من رحمته و قنوطه من عفوه مع عظيم سعة رحمته و روي أن علي بن الحسين (ع) مر بالزهوي و هو يضحك قد خولط فقال ما باله فقالوا هذا لحقه من قتل النفس فقال و الله لقنوطه من رحمة الله أشد عليه من قتله و ينبغي أن يعتمد العبد على حسن الظن بالله تعالى فإنه وسيلة عظيمة فإن الله يقول أنا عند حسن ظن عبدي و رأى بعضهم في المنام صاحبا له على أحسن حال فقال بأي شيء نلت هذا فقال بحسن ظني بربي و ما ينال أحد خير الدنيا و الآخرة إلا بحسن الظن

بالله تعالى.

و قال أمير المؤمنين (ع) الثقة بالله و حسن الظن به حصن لا يتحصن به إلا كل مؤمن و التوكل عليه نجاة من كل سوء و حرز من كل عدو .

و قال الصادق (ع) و الله ما أعطي مؤمن خير الدنيا و الآخرة إلا بحسن الظن بالله و رجائه له و حسن خلقه و الكف عن أعراض الناس فإن الله تعالى لا يعذب عبدا بعد التوبة و الاستغفار إلا بسوء ظنه و تقصيره في رجائه و سوء خلقه

[110]

و اغتيابه للمؤمنين و ليس يحسن ظن عبد بربه إلا كان عند ظن عبده به لأن الله تعالى يستحي أن يخلف ظن عبده به و رجائه فأحسنوا الظن بالله و ارغبوا فيما عند الله فإنه سبحانه يقول للظالمين بالله ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ لَعَنَهُمْ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَ ساءَتْ مَصِيراً و رأى بعضهم صاحبا له في المنام فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لي و محا ذنوبي كلها بحسن ظني به و روي أن الله سبحانه يقول أنا عند حسن ظن عبدي بي فلا يظن بي إلا خيرا و كان بعضهم كثيرا يسأل الله العصمة فرأى في منامه كلكم يسألني العصمة فإذا عصمتكم جميعا من الذنوب لمن يشمل عفوي و نعم رحمتي و أوحى الله إلى داود (ع) قل لعبادي لم

أخلقكم لأربح عليكم و لكن لتربحوا علي صدق الله العظيم و دليل ذلك أنه جعل الحسنة بعشر و زاد لمن يشاء بسبعمائة ضعف لقوله تعالى مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّة أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَة مِائَةُ حَبَّة و جعل السيئة سيئة واحدة و الاهتمام بالحسنة حسنة و إن لم يفعلها و لا شيء في الاهتمام بالسيئة إن لم يفعلها و جعل التوبة من الذنب حسنة و إنه تعالى يحب التوابين فدل ذلك على أنه خلقنا ليربحنا عليه في معاملته .

و روي عن الحسن العسكري (ع) أن أبا دلف تصدق بنخلة تمر ثم أعطاه الله بكل تمرة منها قرية و كان فيها ثلاثة آلاف تمرة و ستون تمرة فأعطاه الله تعالى بها ثلاثة آلاف قرية و ستون و روي أن امرأة في زمان داود (ع) خرجت من دارها و معها ثلاثة أرغفة و ثلاثة أرطال شعيرا فسألها فقير فأعطته الثلاثة الأرغفة و قالت أطحن الشعير و آكل منه و هو في شيء على رأسها فهبت ريح عاصفة فأخذتها من رأسها فوحشت لذلك و ضاق صدرها فأتت داود (ع) و شكت إليه فقال لها امضي إلى ابني سليمان فاحكي له ذلك فمضت إليه فأعطاها ألف درهم فرجعت إلى داود فأخبرته فقال رديها عليه و قولي له ما أريد إلا أن تخبرني لم أخذت الريح شعيري فقال لها سليمان يا امرأة قد أعطيناك ألف درهم فقالت ما آخذها فأعطاها ألف أخرى فرجعت إلى داود (ع) فأخبرته فقال لها رديها و قولي له لم آخذ شيئا بل أسأل الله أن يحضر

[111]

لك الموكل بالريح لم أخذت شعيري أ عن إذن الله تعالى فسأل الله تعالى فأحضره و سأله عن شعيرها فقال بإذن الله تعالى أخذناه فإن تاجرا كان معه مراكب كثيرة و قد نفد زاده و نذر أنه إن أكل من زاد أحد كان له ثلث أموال المراكب و قد أعطيناه الشعير فأكله و وجب عليه الوفاء بالنذر فأحضره سليمان فسأله فأقر له بذلك و سأله إحضار صاحبة الشعير فقال التاجر للمرأة قد حصل لك من ثلث المراكب فحقك ثلاثمائة ألف دينار و ستون ألف دينار و أقبضها المال فقال داود يا بني من أراد المعاملة الرابحة فليعامل هذا الرب الكريم و من هاهنا جاء الحديث إذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة فسبحان الله ما أربح معاملته و ما أنجح مرابحته .

الباب الثلاثون في الحياء من الله تعالى

قال رسول الله (ص) الحياء من الإيمان و قال يوما لأصحابه استحيوا من الله حق الحياء قالوا ما نصنع يا رسول الله قال إن كنتم فاعلين فليحفظ أحدكم الرأس و ما وعى و البطن و ما حوى و ليذكر الموت و طول البلاء و من أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا فن فعل ذلك فقد استحى من الله حق الحياء و روي أن جبرائيل نزل إلى آدم (ع) بالحياء و العقل و الإيمان فقال ربك يقول لك تخير من هذه الأخلاق واحدا فاختار العقل فقال جبرائيل للإيمان و الحياء ارحلا فقالا أمرنا أن لا نفارق العقل قال (ع) الحياء من الإيمان فمن لا حياء له لا خير فيه و لا إيمان له و روي أن الله تعالى يقول عبدي إنك إذا استحيت مني أنسيت الناس عيوبك و بقاع الأرض ذنوبك و محوت من الكتاب زلاتك و لا أناقشك الحساب يوم القيامة و روي أن الله تعالى يقول عبدي إنك إذا استحيت مني و خفتني غفرت لك و روي أن رجلا رأى رجلا يصلي على باب المسجد فقال لم لا تصلي فيه فقال أستحي منه أن أدخل بيته و قد عصيت و من علامات المستحي أن لا يرى في أمر استحى منه

[112]

و روي أن الله أوحى إلى عيسى (ع) فإن اتعظت و إلا فاستحي مني أن تعظ الناس و علامات السفهاء خمس قلة الحياء و جمود العين و الرغبة في الدنيا و طول الأمل و قسوة القلب و قال الله تعالى في بعض كتبه ما أنصفني عبدي يدعوني فأستحي أن أرده و

يعصيني و لا يستحي مني و نهاية الحياء ذوبان القلب للعلم بأن الله مطلع عليه و طول المراقبة لمن لا يغيب عن نظره سرا و علانية و إذا كان العبد حال عصيانه يعتقد أن الله يراه فإنه قليل الحياء جاهل بقدرة الله و إن كان يعتقد أنه لا يراه فإنه كافر .

الباب الحادي و الثلاثون في الحزن و فضله

قال الله تعالى وَ ابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ و ما كان حزنه إلا عبادة الله تعالى لا جزعا و روي أن النبي (ص) كان دائم الفكر متواصل الحزن من أوصاف الصالحين و أن الله تعالى يحب كل قلب حزين و إذا أحب الله قلبا فصب فيه نائحة من الحزن و لا يسكن الحزن إلا قلبا سليما و قلب ليس فيه الحزن خراب و لو أن محزونا كان في أمة لرحم الله تلك الأمة فقال مصنف هذا الكتاب ليس العجب من أن يكون الإنسان حزينا بل العجب أن يخلو من الحزن ساعة واحدة و كيف لا يكون كذلك و هو يصبح و يمسي على جناح سفر بعيد أول منازله الموت و مورده القبر و مصدره القيامة و موقفه بين يدي الله تعالى أعضاؤه شهوده و جوارحه جنوده و ضمائره عيونه و خلواته عيانه يمسي و يصبح بين نعمة يخاف زوالها و ميتة يخاف حلولها و بلية لا يأمن نزولها مكتوم الأجل مكنون العلل محفوظ العمل صريع بطنته و عبد شهوته و عريف زوجته متعب في كل أحواله حتى في أوقات لذته بين أعداء كثيرة نفسه و الشيطان و الأمل و العائل يطلبونه بالقوت و حاسد يحسده و جار يؤذيه و أهل يقطعونه و قرين سوء يريد حتفه و الموت متوجه إليه و العلل متقاطرة عليه و لقد جمع هذا كله مولانا أمير المؤمنين (ع) بقوله عين الدهر تطرف بالمكاره و الناس بين أجفانه و الله لقد أفضح الدنيا و نعيمها و لذاتها الموت و ما ترك لعاقل فيها

[113]

فرحا و لا خلى القيام بالحق للمؤمن في الدنيا صديقا و لا أهلا و لا يكاد من يريد رضا الله تعالى و موالاته يسلم إلا بفراق الناس و لزوم الوحدة و التفرد منهم و البعد عنهم كما قال الله تعالى فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ أراد سبحانه بالفرار إليه اللجأ من الذنوب و الانقطاع عن الخلق و الاعتماد عليه في كل الأحوال و لا يكاد يعرف الناس من يقاربهم و الوحشة منهم يدل على المعرفة بهم و أوصى حكيم حكيما فقال له لا تتعرف لمن تعرف فقال له يا أخي أنا أزيدك في ذلك و أنكر من تعرف لأنه لا يؤذي الشخص من لا يعرفه و المعرفة بين الرجلين خطر عظيم لوجوه منها قيام الحق بينهما و حفظ كل واحد منهما جانب صاحبه في مواساته و موازاته و عيادته في مرضه و حفظه في غيبته برد غيبته و يخلفه في أهله بأحسن حفظه و خلقه و نصيحته له بغبطته و أن يريد له في كل أحواله كما يريد لنفسه و هذا ثقيل جسيم عظيم لا يكاد يقوم إلا من أيده الله بعصمته و الله لو لا الغفلة و الجهل ما التذ عاقل بعيش و لا مهد فراشا و لا توق له طعاما و لا طوي له ثوبا و كان لا يزال مستوفرا قلقا مقلقا متململا كالأسير في يد من يذبحه و كذلك نحن مع ملك الموت في الدنيا كالغنم و ملك الموت قصابها من المصنف شعر :

لا تنسوا الموت في غم و لا فرح *** و الأرض ذئب و عزرائيل قصاب

و من عجب الدنيا أن يحثو المرء التراب على من يحب و يعلم أنه من قليل يحثا عليه كما حثاه على غيره و ينسى ذلك و أعجب من ذلك أنه يضحك و الله تعالى يقول أَ فَمِنْ هذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَ تَضْحَكُونَ وَ لا تَبْكُونَ و روي أنه كان في الكنز الذي حفظه الله تعالى للغلامين مكتوب عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح و يضحك و عجبت لمن أيقن بالحساب كيف يذنب و عجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن و عجبت لمن عرف الدنيا و تقلبها بأهلها كيف يطمئن عليها و أعقل الناس و أفضلهم المحسن الخائف و أحمقهم و أجلهم مسيء آمن .

و قال المصنف كنت في شبيبتي إذا دعوت بالدعاء المقدم على صلاة الليل

[114]

و وصلت إلى قوله اللهم إني ذكرت الموت و هول المطلع و الوقوف بين يديك تغصني مطعمي و مشربي و أغصني بريقي و أقلقني عن وسادي و منعني رقادي و أخجل حيث لا أجد هذا كله في نفسي فاستخرجت له وجها يخرجه عن الكذب فأضمرت في نفسي أني أكاد أن يحصل عندي ذلك فلما كبرت السن و ضعفت القوة و ترقب سرعة النقلة إلى دار الوحشة و الغربة ما بقي يندفع هذا عن الخاطر فصرت ربما أرجو حتى أصبح إذا أمسيت و لا أمسي إذا أصبحت و لا إذا مددت خطوة أن أتبعها أخرى و لا أن يكون في فمي لقمة أن أسيغها فصرت أقول إلهي إني إذا ذكرت الموت و هول المطلع و الوقوف بين يديك تغصني مطعمي و مشربي و غصني بريقي و أقلقني عن وسادي و منعني رقادي و نغص علي سهادي و ابتزني راحة فؤادي إلهي و سيدي و مولاي مخافتك أورثتني طول الحزن و نحول الجسد و ألزمتني عظيم الغم و الهم و دوام الكبد و أشغلتني عن الأهل و المال و الصفد و تركتني مسكينا غريبا وحيدا و إن كنت بفناء الأهل و الولد ما أحس بدمعة ترقى من آماقي و زفير يتردد بين صدري و التراقي يا سيدي فرو حزني ببرد عفوك و نفس غمي و همي ببسط رحمتك و مغفرتك فإني لا آمن إلا بالخوف منك و لا أعن إلا بالذل لك و لا أفوز إلا بالثقة بك و التوكل عليك يا أرحم الراحمين و خير الغافرين .

الباب الثاني و الثلاثون في الخشوع لله سبحانه و التذلل له تعالى

قال الله تعالى قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ ثم فسرهم سبحانه بتمام الآية في سورة المؤمنين فنقول الخشوع الخوف الدائم اللازم للقلب و هو أيضا قيام العبد بين يدي الله تعالى بهم مجموع و قلب مروع.

و روي أنه من خشع قلبه لم يقربه الشيطان و من علامته غض العيون و قطع علائق الشئون و الخاشع من خمدت نيران شهوته و سكن دخان أمله و أشرق نور عظمة الله في قلبه فمات أمله و واجه أجله فحينئذ خشعت جوارحه و سالت عبرته

[115]

و عظمت حسرته و الخشوع أيضا يذلل البدن و القلب لعلام الغيوب قال الله تعالى وَ عِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً يعني متواضعين خاشعين.

و روي أن رسول الله (ص) رأى رجلا يعبث في صلاته بلحيته فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه دل هذا الحديث على أن الخشوع من أفعال القلوب تظهر آثاره على الجوارح و هو أيضا ذبول القلوب عند استحضار عظمة الله تعالى و هو من مقدمات الهيبة و لا ينبغي للمرء أن يظهر من الخشوع فوق ما في قلبه من الخشوع التذلل لله تعالى بالسجود على التراب و كان الصادق (ع) لا يسجد إلا على تراب من تربة الحسين (ع) تذللا لله تعالى و استكانة إليه.

و كان النبي (ص) يرقع ثوبه و يخصف نعله و يحلب شاته و يأكل مع العبيد و يجلس على الأرض و يركب الحمار و يردف و لا يمنعه الحياء أن يحمل حاجته من السوق إلى أهله و يصافح الغني و الفقير و لا ينزع يده من يد أحد حتى ينزعها و يسلم على من استقبله من كبير و صغير و غني و فقير و لا يحقر ما دعي إليه و لو إلى خشف التمرة و كان خفيف المئونة كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بشاشا من غير ضحك محزونا من غير عبوس مواضعا من غير مذلة جوادا من غير سرف رقيق القلب رحيما بكل مسلم و لم يتجشأ من شبع قط و لم يمد يده إلى طمع و كفاه مدحا قوله تعالى وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُق عَظِيم و أوحى الله تعالى إلى موسى أ تدري لم ناجيتك و بعثتك إلى خلقي قال لا يا رب قال إني قلبت عبادي و اختبرتهم فلم أر أذل لي قلبا منك فأحببت أن أرفعك من بين خلقي لأني عند المنكسر قلوبهم و ينبغي للعاقل أن لا يرى لنفسه على أحد فضلا و العز في التواضع و التقوى و من طلبه في الكبر لم يجده.

و روي أن ملكي العبد الموكلين به إن تواضع رفعاه و إن تكبر وضعاه و الشرف في التواضع و العز في التقوى و الغنى في القناعة و أحسن ما كان التواضع في الملوك و الأغنياء و أقبح ما كان التكبر في الفقراء و قد أمر الله تعالى نبيه محمد (ص) بالعفو عن الناس و الاستغفار لهم و التواضع بقوله وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ

[116]

الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ، و أوحى الله إلى موسى ذكر خلقي نعمائي و أحسن إليهم و حببني إليهم فإنهم لا يحبون إلا من أحسن إليهم .

الباب الثالث و الثلاثون في ذم الغيبة و النميمة و عقابها و حسن كظم الغيظ

قال الله تعالى وَ لا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ فقد بالغ سبحانه في النهي عن الغيبة و جعلها شبه الميتة المحرمة من لحم الآدميين .

و قال (ص) يأتي الرجل يوم القيامة و قد عمل الحسنات فلا يرى في صحيفته من حسناته شيئا فيقول أين التي عملتها في دار الدنيا فقال له ذهبت باغتيابك للناس و هي لهم عوض اغتيابهم.

و أوحى الله إلى موسى (ع) من مات تائبا عن الغيبة فهو آخر من يدخل إلى الجنة و من مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار و روي أن من اغتيب غفرت نصف ذنوبه .

و روي أن الرجل يعطى كتابه فيرى فيه حسنات لم يكن يعرفها فيقال هذه بما اغتابك الناس قال بعضهم لو اغتبت أحدا لم أكن لأغتاب إلا ولدي لأنهم أحق بحسناتي من الغريب و بلغ الحسن البصري أن رجلا اغتابه فأنفذ إليه بهدية فقال له و الله ما لي عندك يد فقال بلى بلغني أنك تهدي إلي حسناتك فأحببت أن أكافيك و من اغتيب عنده أخوه المؤمن فلم ينصره فقد خان الله و رسوله و قال إذا لم تنفع أخاك المؤمن فلا تضره و إذا لم تسره فلا تغمه و إذا لم تمدحه فلا تذمه .

و قال (ع) لا تحاسدوا و لا تباغضوا و لا يغتب بعضكم بعضا و كونوا عباد الله إخوانا و قال إياكم و الغيبة فإنها أشد من الزناء لأن الرجل يزني فيتوب فيتوب الله عليه و إن صاحب الغيبة لا يغفر له إلا إذا غفرها صاحبها و قال (ص) مررت ليلة أسري بي إلى السماء على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم فسألت جبرائيل عنهم فقال هؤلاء الذين يغتابون الناس

[117]

و خطب (ص) فذكر الربا و عظم خطره و قال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم من سبعين زنية بذات محرم و أعظم من ذلك عرض المسلم و روي في تفسيره قوله تعالى وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ أن الهمزة الطعن في الناس و اللمزة أكل لحومهم و ينبغي لمن أراد ذكر عيوب غيره أن يذكر عيوب نفسه فليقلع عنها و يستغفر منها و عليكم بذكر الله فإنه شفاء و إياكم و ذكر الناس فإنه داء .

و مر عيسى (ع) و معه الحواريون بكلب جائف قالوا ما أجيفه فقال هو ما أبيض أسنانه يعني ما عود لسانه إلا على الخير و الغيبة هي أن تذكر أخاك بما يكرهه لو سمعه سواء إن ذكرت نقصانا في بدنه أو نسبه أو خلقه أو فعله أو دينه أو دنياه حتى في ثوبه و قال (ع) حد الغيبة أن تقول في أخيك ما هو فيه فإن قلت ما ليس فيه فذاك بهتان له و الحاضر للغيبة و لم ينكرها شريك فيها و من أنكرها كان مغفورا له .

و قال رسول الله (ص) من رد عن عرض أخيه كان حقا على الله أن يعتقه من النار و قال (ع) طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس و منشأ الغيبة في الصدور الحسد و الغضب فإذا نفاهما الرجل عن نفسه قلت غيبته للناس و قال رسول الله (ص) إن للنار بابا لا يدخله إلا من شفى غيظه و قال من كظم غيظه و هو يقدر على إمضائه خيره الله في أي حور العين شاء أخذ منهن و في بعض الكتب المنزلة ابن آدم اذكرني عند غضبك أذكرك عند غضبي فلا أمحقك مع من أمحقه و للعاقل شغل فيما خلق له عن نفسه و ماله و ولده فكيف عن أعراض الناس و إذا كان اشتغال الإنسان بغير ذكر الله بالغيبة و قال (ع) و هل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم و كفى بذلك قوله تعالى لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النّاسِ فنفى الخير في النطق إلا في هذه الأمور الثلاثة فسبحانه ما أنصحه لعباده و شفقته عليهم و أحبه لهم لو كانوا يعلمون و أما النميمة فإنها أعظم ذنبا و أكبر

وزرا لأن النمام يغتاب و ينقلها إلى غيره فيغريه بأذى من ينقلها عنه و النمام يثير الشر و يدل عليه و لقد سد الله تعالى باب النميمة و منع من قبولها بقوله إِنْ

[118]

جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ و سمى النمام فاسقا و نهى عن قبول قوله إلا بعد البيان و البينة أو الإقرار و سمى العامل بقوله جاهلا و قال رجل لعلي بن الحسين (ع) إن فلانا يقول فيك و يقول فقال له و الله ما حفظت حق أخيك إذا خنته و قد استأمنك و لا حفظت حرمتنا إذا سمعتنا ما لم يكن لنا حجة بسماعه أ ما علمت أن نقلة النميمة هم كلاب النار قل لأخيك إن الموت يعمنا و القبر يضمنا و القيامة موعدنا و الله يحكم بيننا و كتب رجل من عمال المأمون يقول له إن فلانا العامل مات و خلف مائة ألف دينار و ليس له إلا ولد صغير فإن أذن مولانا في قبض المال و إجراء ما يحتاج الصغير إليه قبضناه فإنما احتقب هذا المال من أموالك فكتب إليه المأمون المال نماه الله و الولد جبره الله

و الساعي لعنه الله .

الباب الرابع و الثلاثون في القناعة و مصلحتها

جاء في تفسير قوله تعالى فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً قال نعطيه القناعة و جاء في تفسير قوله تعالى حكاية عن سليمان (ع) وَ هَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي قال القناعة في بعض الوجوه لأنه كان يجلس مع المساكين و يقول مسكين مع المساكين و عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص) القناعة كنز لا يفنى و قال (ص) لبعض أصحابه كن ورعا تكن أعبد الناس و كن قنعا تكن أشكر الناس و أحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا و أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما و أقلل من الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب الناس أموات إلا من أحياه الله بالقناعة و ما سكنت بالقناعة إلا قلب من استراح و القناعة ملك لا يسكن إلا قلب مؤمن و الرضا بالقناعة رأس الزهد و معناها السكون عند عدم الشبهات و الرضا بقليل الأقوات و ترك التأسف على ما فات و جاء في تأويل قوله تعالى لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً قال القناعة لأن القناعة رضى النفس بما حضر من الرزق و إن كان قليلا و قال بعضهم إن الغنى و العز خرجا يجولان فوجد القناعة فاستقرا

[119]

و روي أن عليا (ع) اجتاز بقصاب و عنده لحم سمين فقال يا أمير المؤمنين هذا اللحم سمين اشتر منه فقال له ليس الثمن حاضرا فقال أنا أصبر يا أمير المؤمنين فقال له أنا أصبر عن اللحم و إن الله سبحانه وضع خمسة في خمسة العز في الطاعة و الذل في المعصية و الحكمة في خلو البطن و الهيبة في صلاة الليل و الغنى في القناعة و في الزبور القانع غني و لو جاع و عري و من قنع استراح من أهل زمانه و استطال على أقرانه و جاء في قوله تعالى فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ قال فكها من الحرص و الطمع و من قنع فقد اختار العز على الذل و الراحة على التعب قيل إن داود (ع) قال يا رب أخبرني بقريني في الجنة في قصري فأوحى الله إليه أن ذلك متى أبو يونس فاستأذن الله تعالى في زيارته فأذن له فأخذ بيد ولده سليمان حتى أتيا موضعه فإذا هو ببيت من سعف فسألا عنه فقيل إنه في الحطابين يقطع الحطب و يبيعه فجلسا ينتظرانه إذ أقبل و على رأسه حزمة من حطب فألقاها عنه ثم حمد الله و قال من يشتري مني طيبا بطيب فساومه واحد و اشتراه آخر فدنيا منه و سلما عليه فقال انطلقا بنا إلى المنزل و ابتاع بما كان معه من طعام ثم وضعه بين حجرين قد أعدهما لذلك و طحنه ثم عجنه في نقير له ثم أجج نارا و أوقدها بالحطب ثم وضع العجين عليها

ثم جلس يتحدث معهم هنيهة ثم نهض و قد نضجت خبزته فوضعها في النقير و فلقها و وضع عليها ملحا و وضع إلى جانبه مطهرة فيها ماء و جلس على ركبتيه و أخذ لقمة و كسرها و وضعها في فيه و قال بسم الله الرحمن الرحيم فلما ازدردها قال الحمد لله رب العالمين ثم فعل ذلك بأخرى فأخرى ثم أخذ الماء فشرب منه و حمد الله تعالى و قال لك الحمد يا رب من ذا الذي أنعمت عليه و أوليته مثل ما أوليتني إذ صححت بدني و سمعي و بصري و جوارحي و قويتني حتى ذهبت إلى شجر لم أغرسه بيدي و لا زرعته بقوتي و لم أهتم بحفظه فجعلته لي رزقا و أعنتني على قطعه و حمله و سقت إلى من اشتراه مني و اشتريت بثمنه طعاما لم أزرعه و لم أتعب فيه و سخرت لي حجرا طحنته و نارا أنضجته و جعلت لي شهوة قابلة لذلك فصرت آكله بشهوة و أقوي بذلك على

[120]

طاعتك فلك الحمد حتى ترضى و بعد الرضا ثم بكى بكاء عاليا فقال داود لابنه سليمان يا بني يحق لمثل هذا العبد الشاكر أن يكون صاحب المنزلة الكبرى في الجنة فلم أر عبدا أشكر من هذا .

الباب الخامس و الثلاثون في التوكل على الله

قال تعالى وَ عَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ و قال تعالى وَ عَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ و قال تعالى وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ و قال تعالى إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ فأعظم مقام موسوم بعظمة الله و بمحبة الله المتوكل عليه لأنه مضمون بكفاية الله لأن من يكن حسبه و كافيه و محبه و مراعيه فقد فاز فوزا عظيما و قد قال أَ لَيْسَ اللّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ فطالب الكفاية بغيره غير طالب التوكل و مكذب بالآية قال وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ أي عزيز لا يذل من استجار به و لا يذل من لجأ إليه حكيم لا يقصر عن تدبير من اعتصم به و غير من لجأ إلى غيره بقوله إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ عِبادٌ أَمْثالُكُمْ يعني عاجزون عن حوائجكم أنتم و هم محتاجون إلى الله تعالى فهو أحق أن تدعوه و كلما ذكر سبحانه من التوكل عليه عنى قطع الملاحظة إلى خلقه و الانقطاع إليه قال رسول الله (ص) لو أن العبد يتوكل على الله حق توكله لجعله كالطير تغدوا خماصا و تروح بطانا و قال من انقطع إلى الله كفاه الله كل مئونة و من انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها و من أراد أن يرزقه الله من حيث لا يحتسب فليتوكل على الله و أوحى الله إلى داود (ع) ما من عبد يعتصم بي دون خلقي و تكيده أهل السماوات و الأرض إلا جعلت له مخرجا و قال أمير المؤمنين (ع) أيها الناس لا يشغلكم المضمون من الرزق عن المفروض عليكم من العمل و المتوكل لا يسأل و لا يرد و لا يمسك شيئا خوف الفقر و ينبغي لمن أراد سلوك طريق التوكل أن يجعل نفسه بين يدي الله تعالى فيما يجري عليه من الأمور كالميت بين يدي الغاسل يقلبه حيث يشاء كما قال النبي (ص) عجبت للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له و يعني بذلك أنه يرضى بقضاء الله له سواء كان شدة أو رخاء و التوكل هو

[121]

الاعتصام بالله كما قال جبرائيل لإبراهيم (ع) و هو في كفة المنجنيق أ لك حاجة يا خليل الله فقال أما إليك فلا اعتمادا على الله و وثوقا به في النجاة فجعل الله تعالى عليه النار بردا و سلاما و أرضها وردا و ثمارا و مدحه الله فقال وَ إِبْراهِيمَ الَّذِي وَفّى و ما استوى حاله و حال يوسف (ع) في قوله للذي معه في السجن اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين و قال لي رجل من أين مئونتك فقلت وَ لِلّهِ خَزائِنُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ و رأى بعضهم شخصا في البرية يعبد الله تعالى فقال من أين قوتك فقال من رب العزيز العليم ثم أومأ إلى أسنانه و قال الذي خلق الرحى يأتيها بالهبل يعني بالحب و اعلموا أن التوكل محله القلب و الحركة في الطلب لا تنافي التوكل لأن الله تعالى أمر بها بقوله فَامْشُوا فِي مَناكِبِها وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَ إِلَيْهِ النُّشُورُ و دخل الأعرابي إلى

مسجد النبي (ص) فقال أ عقلت ناقتك قال لا قد توكلت على الله فقال اعقلها و توكل على الله و قال الله له و لأصحابه خُذُوا حِذْرَكُمْ يعني رسول الله و أصحابه من الكذب أو يقول الرجل توكلت على الله و في قلبه غيره أو يكون غير راض بصنعه إليه لأن التوكل الاستسلام إلى الله و الانقطاع إليه دون خلقه فحقيقته الاكتفاء بالله و الاعتماد عليه فللمتوكل ثلاث درجات الانقطاع إلى الله و التسليم إليه و الرضا بقضائه فهو يسكن إلى وعده و يكتفي بتدبيره و يرضى بحكمه و قيل لبعضهم لم تركت التجارة فقال وجدت الكفيل ثقة .

و روي أن الله تعالى يقول من اعتصم بي دون خلقي ضمنت السماوات و الأرض رزقه فإن دعاني أجبته و إن استعطاني أعطيته و إن استكفاني كفيته و من اعتصم بمخلوق دوني قطعت أسباب السماوات و الأرض دونه إن دعاني لم أجبه و إن سألني لم أعطه و إن استكفاني لم أكفه و قال محمد بن العجلان نزلت بي فاقة عظيمة و لزمني دين لغريم ملح و ليس لمضيقي صديق فتوجهت فيه إلى الحسن بن زيد و كان أمير المدينة لمعرفة كانت بيني و بينه فلقيني في طريقي محمد بن عبد الله بن الباقر (ع) فقال قد بلغني ما أنت فيه من الضيق فمن أملت لمضيقك قلت الحسن بن زيد فقال إذا لا تقضى حاجتك فعليك بمن هو

أقدر الأقدرين و أكرم الأكرمين فإني سمعت عمي جعفر بن محمد (ع) يقول أوحى الله إلى بعض أنبيائه في بعض وحيه و عزتي و جلالي و عظمتي و ارتفاعي لأقطعن رجاء أمل كل مؤمل يأمل غيري باليأس و لأكسونه ثوب المذلة في الناس و لأبعدنه من فرجي و فضلي أيؤمل عبدي في الشدائد غيري و الشدائد بيدي و يرجو سواي و أنا الغني الجواد أبواب الحوائج عندي و بيدي مفاتيحها و هي مغلقة فما لي أرى عبدي معرضا عني و قد أعطيته بجودي و كرمي ما لم يسألني فأعرض عني و سأل في حوائجه غيري و أنا الله لا إله إلا أنا

أبتدئ بالعطية من غير مسألة أ فسأل و لا أجود كلا كلا أ ليس الجود و الكرم لي أ ليس الدنيا و الآخرة بيدي فلو أن كل واحد من أهل السماوات و الأرض سألني مثل ملك السماوات و الأرض فأعطيته ما نقص ذلك من ملكي مثل جناح بعوضة فيا بؤسا لمن أعرض عني و سأل في حوائجه و شدائده غيري قال فقلت له أعد علي الكلام فأعاده ثلاث مرات فحفظته فقلت في نفسي لا و الله لا أسأل أحدا حاجة ثم لزمت بيتي فما لبثت أياما إلا و آتاني الله برزق قضيت منه ديني و أصلحت به أمر عيالي و الحمد لله رب العالمين .

الباب السادس و الثلاثون في شكر الله تعالى

قال الله تعالى وَ اشْكُرُوا لِي وَ لا تَكْفُرُونِ و قال سبحانه لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ و قال وَ مَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ يريد به الجحود للنعمة و حقيقة الشكر الاعتراف بنعمة المنعم و أوحى الله تعالى إلى داود اشكرني حق شكري فقال إلهي كيف أشكرك حق شكرك و شكري إياك نعمة منك فقال الآن شكرتني حق شكري و قال داود كيف كان آدم شكرك حق شكرك و قد جعلته أبا لأنبيائك و صفوتك و أسجدت له ملائكتك فقال إنه اعترف أن ذلك من عندي فكان اعترافه بذلك حق شكري و ينبغي للعبد أن يشكر على البلاء كما يشكر من الرخاء و روي أن الله سبحانه قال يا داود إني خلقت الجنة لبنة من ذهب و لبنة

من فضة و جعلت سقوفها الزمرد و طينها الياقوت و ترابها المسك الأذفر و أحجارها الدر و اللؤلؤ و سكانها الحور العين أ تدري يا داود لمن أعددت هذا قال لا و عزتك يا إلهي فقال هذا أعددته لقوم كانوا يعدون البلاء نعمة و الرخاء مصيبة و لا شك أن البلاء من الأمراض و غيرها يوجب العوض على الألم و الثواب على الصبر عليه و يكفر السيئات و يذكر بالنعمة أيام الصحة و يحث على التوبة و الصدقة و هو اختيار الله تعالى للعبد و قد قال سبحانه وَ يَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ و عن أبي الحسن موسى بن جعفر (ع) قال مثل المؤمن كمثل كفتي الميزان كلما زيد في إيمانه زيد في بلائه ليلقى الله عز و جل و لا خطيئة له و النعم قد يكون استدراجا فإنها توجب الشكر و الشكر أيضا نعمة يوجب الاعتراف بالتقصير و لا شك أن زيادة النعم و كثرتها ملهية عن الله تعالى و لهذا اختار لأوليائه و عباده الصالحين الفقر و حبس الدنيا عنهم لأنه قال في بعض وحيه و عزتي و جلالي لو لا حيائي من عبدي المؤمن ما تركت له خرقة يواري بها جسده و إني إذا أكملت إيمان عبدي المؤمن ابتليته بفقر الدنيا في ماله أو مرض في بدنه فإن هو جزع أضعفت ذلك عليه باهيت به ملائكتي و تمام الحديث و إني جعلت عليا (ع) علما للإيمان فمن أحبه و اتبعه كان هاديا و من تركه و أبغضه كان ضالا إنه لا يحبه إلا مؤمن و لا يبغضه إلا منافق و من الشكر للنعمة أن لا يتقوى به أحد على معصية الله و شكر العوام على المطعم و الملبس و شكر الخاص على ما يختاره سبحانه من بأساء و ضراء و غيره .

و روي أن الصادق (ع) قال لشفيق كيف أنتم في بلادكم فقال بخير يا ابن رسول الله إن أعطينا شكرنا و إن منعنا صبرنا فقال له هكذا كلاب حجازنا يا شفيق فقال له كيف أقول قال له هلا كنتم إذا أعطيتم آثرتم و إذا منعتم شكرتم و هذه درجته و درجة آبائه و أبنائه (ع) .

و روي أن سبب رفع إدريس إلى السماء أن ملكا بشره بالقبول و المغفرة فتمنى الحياة فقال له الملك لم تمنيت الحياة قال لأشكر الله تعالى فقد كانت حياتي لطلب القبول و هي الآن لبلوغ المأمول قال فبسط الملك جناحه

[124]

و رفعه إلى السماء و الشاكر يلاحظ المزيد لقوله تعالى لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ و الصابر يشاهد ثواب البلاء فهو مع الله لقوله تعالى إِنَّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ فهو أعلى درجة و لهذا فضل معتقد البلوى نعمة على غيره و روي أن أول من يدخل الجنة الحامدون و على كل حال فله الحمد على ما دفع و له الشكر على ما نفع، و روي أن الله تعالى أوحى إلى موسى (ع) فقال يا موسى أرحم عبادي المبتلى منهم و المعافى قال يا رب قد عرفت رحمة المبتلى فما بال المعافى قال لقلة شكره و قوله تعالى وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّهِ لا تُحْصُوها أي لا تقوموا بشكرها كلها و ذلك صحيح لأن في اللحظة الواحدة ينظر الإنسان نظرات لا تحصى و يسمع بأذنه حروفا لا تحصى و يتكلم بلسانه كلمات لا تحصى و تسكن منه عروق لا يعلم عددها و تتحرك منه عروق لا يعلم عددها و يتنفس بأنفاس لا تحصى و كذلك تتحرك جوارحه بحركات كثيرة فهذا في اللحظة الواحدة فكيف في يومه و سنته و طول عمره صدق الله العلي العظيم .

الباب السابع و الثلاثون في اليقين

قال الله تعالى وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْ آخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ فمدح الموقنين بالآخرة يعني المطمئنين بما وعد الله فيها من ثواب و توعد من عقاب كأنهم قد شاهدوا ذلك كما روي أن سعد بن معاذ دخل على رسول الله (ص) فقال كيف أصبحت يا سعد فقال بخير يا رسول الله أصبحت بالله مؤمنا فقال يا سعد إن لكل قول حقيقة فما مصداق ما تقول فقال يا رسول الله ما أصبحت فظننت أني أمسي و لا أمسيت فظننت أني أصبح و لا مددت خطوة فظننت أني أتبعها بأخرى و كأني بكل أمة جائية و بكل أمة تدعى إلى كتابها معها كتابها و نبيها أمامها تدعى إلى حسابها و كأني بأهل الجنة و هم يتنعمون و بأهل النار و هم معذبون

فقال له رسول الله (ص) يا سعد عرفت فالزم فلما صح يقينه كالمشاهدة أمره باللزوم و اليقين و هو مطالعة أحوال الآخرة على سبيل المشاهدة كما قال أمير المؤمنين (ع) لو كشف الغطاء ما

[125]

ازددت يقينا فدل على أنه يشاهد الآخرة مع الغيب عنها و قال (ع) ما من أحد منكم إلا قد عاين الجنة و النار إن كنتم تصدقون بالقرآن صدق لأن اليقين بالقرآن يقين بكل ما تضمنه من وعد و وعيد و هو أيضا في قلب العارف كالعلم البديهي الذي لا يندفع و لأجل هذا منعنا من أن المؤمن يكفر بعد المعرفة و الإيمان فإن عارض أحد بقوله إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا قلنا آمنوا بألسنتهم دون قلوبهم كما قال الله تعالى قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَ لَمّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ فالإسلام نطق باللسان و اعتقاد بالقلب فلما علم سبحانه أنهم لم يعتقدوا ما نطقوا به حقا نفى عنهم أنهم مؤمنون فأول مقامات الإيمان المعرفة ثم اليقين ثم التصديق ثم الإخلاص ثم شهادة بذلك كله و الإيمان اسم لهذه الأمور كلها فأولها النظر بالفكر في الأدلة و نتيجة المعرفة فإذا حصلت المعرفة لزم التصديق و إذا حصل التصديق و المعرفة لوجد اليقين فإذا صح اليقين أخالت أنوار السعادة في قلب بتصديق ما وعد به من رزق في الدنيا و ثواب في الآخرة و خشعت الجوارح من مخافة ما توعد به من العقاب و قامت بالعمل و الزجر عن المحارم و حاسب العقل النفس على التقصير في الذكر و التنبيه على الفكر فأصبح صاحب هذا الحال نطقه ذكرا و صمته فكرا و نظره اعتبارا و اليقين يدعو إلى قصر الأمل و قصر الأمل يدعو إلى الزهد و الزهد ينتج النطق بالحكمة لخلو البال من هموم الدنيا لقوله (ع) من زهد في الدنيا استراح قلبه و بدنه و من رغب فيها تعب قلبه و بدنه فلا يبقى له نظر إلا إلى الله و لا رجوع إلا إليه كما مدح الله سبحانه إبراهيم (ع) بقوله إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوّاهٌ مُنِيبٌ يعني رجاع إلى الله لا نظر له للدنيا و على قدر يقين العبد يكون إخلاصه و تقواه و هذه الأحوال الصحيحة توجب لصاحبها حالا يراها بين اليقظة و النوم و يحصل باليقين ارتفاع معارضات الوساوس النفسانية لأنه رؤية العيان بحقائق الإيمان و هو أيضا ارتفاع الريب بمشاهدة الغيب و هو سكون النفس دون جولان الموارد و متى استكمل القلب بحقائق اليقين صار البلاء عنده نعمة و الرخاء مصيبة حتى أنه يستعذب البلاء و يستوحش لمطالعة العافية

[126]

الباب الثامن و الثلاثون في الصبر

قال الله تعالى وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُكَ إِلّا بِاللّهِ و قال سبحانه وَ اصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ و قال تعالى وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ فجعل الصبر معونة على الصلاة بل هو معونة على كل طاعة و ترك كل معصية و نزول كل مصيبة و بلية و قال سبحانه وَ بَشِّرِ الصّابِرِينَ يعني بعظيم الثواب و حسن الجزاء و أوجب صلاته و رحمته عليهم فقال الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ و قال سبحانه سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدّارِ فسلم على الصابرين و جعل لهم عقبى الدار الآخرة و الصبر على ثلاثة أقسام صبر على الطاعة و صبر على المعصية و صبر على المصيبة و قال (ع) الصبر مطية لا تكبوا بصاحبها و الصبر على المصيبة مصيبة للشامت بها و لا شك أن الصابر يحرز أجرها و يكبت عدوه بصبره و يسلم من ضرر الجزع بشق ثوب أو ألم في بدنه و الجازع يدخل عليه بجزعه ثلاث آفات يحبط أجره و يشمت عدوه و دخل الضرر على نفسه بما يلحقه من الألم و صبر الصابر مصيبة للشامت و ينبغي للعاقل أن تحدث له المصيبة موعظة لأن من الجائز أن يكون موضع المفقود فهو أحق بالحمد لله و الثناء عليه و يحدث في نفسه الاستعداد بمثل ما نزل بغيره من موت أو بلية يستهدفها بالدعاء و ينبغي للإنسان أن يطمئن قلبه على البلايا و الرزايا العظيمة حتى إذا نزل به قليلها عده نعمة في جنب غيره و أحسن مقامات الإنسان أن ينظر في المصائب و البلايا و ضيق المعاش و إنفاقه و الفقر إلى من هو أكبر منه بلية فيصير حاله عنده نعمة و ينظر في عمل

الخير إلى من هو فوقه فيستقل عمله و يزري على نفسه و يحثها على اللحاق بمن هو فوقه في صالح العمل هكذا يكون من يريد صلاح نفسه و عظيم صبره و قلة همه و غمه قال أمير المؤمنين (ع) الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد و لا إيمان لمن لا صبر له و قال إنا وجدنا الصبر على طاعة الله أيسر من الصبر على عذابه و قال اصبروا على عمل لا غنى لكم عن ثوابه و اصبروا على عمل لا

[127]

طاقة لكم على عقابه و حقيقة الصبر تجرع الغصص عند المصائب و احتمال البلايا و الرزايا و غاية الصبر أن لا يفرق بين النعمة و المحنة و يرجح المحنة على النعمة للعلم بحسن عاقبتها و التصبر السكون عند البلاء مع تحمل أثقال المحنة عند عظمها قال المصنف ره شعرا :

صبرت و لم أطلع هواي على صبري *** و أخفيت ما بي منك عن موضع الصبر

مخافة أن يشكو ضميري صبابتي *** إلى دمعتي سرا فيجري و لا أدري

قيل أوحى الله إلى داود (ع) تخلق بأخلاقي إني أنا الصبور و الصابر إن مات مع الصبر مات شهيدا و إن عاش عاش عزيزا و اعلموا أن الصبر على المطلوب عنوان الظفر و الصبر على المحن عنوان الفرج و قد مدح الله سبحانه عبده أيوب إِنّا وَجَدْناهُ صابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوّابٌ و روي أنه لما اشتد به البلاء قالت له امرأته يوما إن دعاء الأنبياء مستجاب فلو سألت الله كشف ما بك فقال لها يا هذه متعنا الله بالنعم سبعين سنة فدعينا نصبر على بلائه مثل ذلك و روي أنه لما جاءت امرأته إليه و قد باعت أحد ظفائرها بقوته شق عليه ذلك فنصب نفسه بين يدي الله تعالى ثم قال يا رب إنك ابتليتني بفقد الأهل و الأولاد فصبرت و بالمرض الفلاني فصبرت ثم عدد أمراضه فإذا النداء من قبل الله أن يا أيوب لمن المنة عليك في صبرك فقال اللهم لك اللهم لك و صار يحثو التراب على رأسه و يبكي و يقول اللهم لك اللهم لك فجاء النداء ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَ شَرابٌ فركض برجله فنبعت عين عظيمة فاغتسل منها فخرج جسمه كاللؤلؤة البيضاء و جاء جراد كله ذهب فصاده هو و أهله أوحى الله تعالى له من مات من ولده و أهله و رزقه من النساء اللاتي تزوجن أولادا كثيرة كما قال الله تعالى وَ وَهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنّا وَ ذِكْرى لِأُولِي الْأَلْبابِ و قال رسول الله (ص) الصبر نصف الإيمان و اليقين الإيمان كله و من صبر على المصيبة حتى يردها بحسن العزاء كتب الله له بكل صبرة ثلاثمائة درجة ما بين كل درجة إلى درجة كما بين تخوم الأرض إلى علو العرش و من صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم

[128]

الأرض إلى علو العرش و من صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش .

الباب التاسع و الثلاثون في المراقبة لله تعالى

قال وَ كانَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً و قال النبي (ص) لبعض أصحابه اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك و هذا إشارة إلى المراقبة لأن المراقبة على العبد باطلاع الرب عليه في كل حالاته و ملاحظة الإنسان لهذا الحال فهو المراقبة و أعظم مصالح العبد استحضاره مع عدد أنفاسه إن الله تعالى عليه رقيب و منه قريب يعلم أفعاله و يرى حركاته و يسمع أقواله و

يطلع على أسراره و أنه يتقلب في قبضته و ناصيته و قلبه بيده و أنه لا طاقة له على التستر عنه و لا على الخروج عن سلطانه قال لقمان لابنه يا بني إذا أردت أن تعصي الله فاطلب مكانا لا يراك فيه إشارة منه له أنك لا تجد مكانا لا يراك فيه فلا تعصه و قال تعالى وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و كان بعض العلماء يرفع شابا على تلاميذه كلهم فلاموه في ذلك فأعطى كل واحد منهم طيرا و قال اذبحه في مكان لا يراك فيه أحد فجاءوا كلهم بطيورهم و قد ذبحوها

فجاء الشاب بطيره و هو غير مذبوح فقال له لم لا تذبحه فقال لقولك لا ئذبحه إلا في موضع لا يراك فيه أحد و لا يكون مكانا إلا يراني فيه الواحد الأحد الفرد الصمد فقال له أحسنت ثم قال لهم لهذا رفعته عليكم و ميزته منكم و من علامات المراقبة إيثار ما آثر الله و تعظيم ما أعظم الله و تصغير ما صغر الله فالرجاء يحثك على الطاعات و الخوف يبعدك عن المعاصي و المراقبة تؤدي إلى طريق الحياء و تحمل من ملازمة الحقائق و المحاسبة على الدقائق و أفضل الطاعات مراقبة الحق سبحانه و تعالى على دوام الأوقات و من سعادة المرء أن يلزم نفسه المحاسبة و المراقبة و سياسة نفسه باطلاع الله و مشاهدته لها و أنها لا تغيب عن نظره و لا يخرج عن علمه و ينبغي للواعظ غيره أن يعظ نفسه قبلهم و لا يغره اجتماع الناس عليه و الاستماع منه فإنهم يراقبون ظاهره و الله شهيد على ما في باطنه و روي أن

[129]

بعضهم رأى شابا حسن العبادة و الاجتهاد فقال يا فتى على ما بنيت أمرك فقال على أربع خصال فقال و ما هي قال علمت أن رزقي لا يفوتني منه شيء و أن وعد الله حق فاطمأننت إلى وعده و الثانية علمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به و الثالثة أن أجلي يأتيني بغتة فبادرته و الرابعة علمت أني لا أغيب عن نظر الله تعالى في سري و علانيتي فأنا مراقب في كل أحوالي .

الباب الأربعون في ذم الحسد

قال الله تعالى قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ و عدد المستعاذ منه ثم ختم إلى آخر السورة بقوله وَ مِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ و قال رسول الله (ص) إياكم و ثلاث خصال فإنهن رأس كل خطيئة إياكم و الكبر فإن إبليس حمله الكبر على ترك السجود لآدم فلعنه الله و أبعده و إياكم و الحرص فإن آدم حمله الحرص على أن أكل من الشجرة و إياكم و الحسد فإن قابيل حمله الحسد على قتل أخيه هابيل و الحاسد جاحد لأنه لم يرض بقضاء الله و اعلم أن الحسود لا يسود و جاء في تأويل قوله تعالى قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ الحسد و قال في بعض كتبه الحاسد عدو نعمتي و الحسد يبين في الحاسد قبل المحسود و قال أمير المؤمنين (ع) لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله و قال بعضهم الحمد لله الذي لم يجعل في قلوب الأمراء و لا الولاة ما في قلب الحاسد فكان يهلك الناس جميعا و روي أن في السماء الخامسة ملكا تمر به الأعمال فربما مر به عمل كالشمس يضيء نورا فيرده و يقول هذا فيه حسد فاضربوا به وجه صاحبه و ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم إلا الحاسد و كل واحد في رضاه سبيل إلا الحاسد لا طريق إلى رضاه لأنه لا ترضيه إلا زوال نعمة المحسود و من علامات الحاسد أنه يشمت بزوال نعمة الذي يحسده و بمصائبه و من علاماته أيضا أنه يتملق إذا حضر و يغتاب إذا غاب عنه من يحسده و روي أن موسى (ع) رأى

[130]

رجلا عند العرش فغبطه و قال يا رب بم نال هذا ما هو فيه من صنعه تحت ظلال عرشك فقال إنه لم يكن يحسد الناس و الحاسد إذا رأى نعمة بهت و إذا رأى عثرة شمت و ينبغي لمن أراد السلامة من الحاسد أن يكتم عنه نعمته و أعظم الأخلاق المذمومة الحسد و الغيبة و الكذب و إذا كان الحاسد همه نشر خصائل المحسود فإنه ينشر فضائله من حيث لا يعلم و لقد أحسن الشاعر في قوله شعرا :

و إذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

و لقد أحسن الشاعر أيضا :

و كيف يرجى ود حسود نعمة *** إذا كان لا يرضيه إلا زوالها

قال النبي (ص) الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب فلا تحاسدوا و قال أمير المؤمنين (ع) و لا تحاسدوا فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب و إذا كان النبي (ص) و أمير المؤمنين (ع) قد شهدا بأن الحسد يأكل الإيمان و الحسنات فأي شيء يبقى مع العبد بعد ذهاب الإيمان و الحسنات فتحرزوا منه تستريح قلوبكم و أبدانكم من التعب و الإثم و لقد سرني أني مثلت في نفسي إن عقلي لو تحول إلى رأس غيري لم أحسده إذ قد فات الأمر في ذلك و لم يبق إلا الصبر و الاحتساب و أن الحزن و الحسد بعد فوات ذلك مصيبة ثانية فتمثلوا رحمكم الله آخر الأمر تستريحوا و تفوزوا فالعاقل يحسب آخر الأمور فيقف عندها و لا يتجاوزها و متى كان الغالب على القلب الفكر و على اللسان الذكر فإن العبد لا يتخلى مع ذلك لحسد و لا لشيء من المعاصي و غيرها إن الذكر و الفكر سيف قاطع لكل شيطان من الجن و الإنس و جنة واقية من الغفلة و خير الذكر الخفي .

الباب الحادي و الأربعون في الفراسة بنور الله تعالى

قال الله تعالى إِنَّ فِي ذلِكَ لَ آيات لِلْمُتَوَسِّمِينَ قيل المتفرسون قال النبي (ص) اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله يعني وهبه الله له

[131]

و روي عن أويس ره لما قصده حيان بن هرم قال له حين رآه السلام عليك يا أخي حيان بن هرم فقال له من أين لك معرفتي و لم ترني فقال له المؤمن ينظر بنور الله و إن أرواح المؤمنين تسأم كما تسأم الخيل و الفراسة أنوار سطعت في القلوب بحقائق الإيمان و معرفة تمكنت في النفوس فصدرت من حال إلى حال حتى شهدت الأشياء من حيث أشهدها سيدها و مولاها فنطقت عن ضمائر قوم و أمسكت عن آخرين و الفراسة أيضا نتيجة اليقين و طريق المؤمنين و سئل النبي (ص) عن قوله تعالى فَمَنْ يُرِدِ اللّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ قال يقذف في قلبه نورا فينشرح و يتوسع و التفرس من خواص أهل الإيمان سطعت في قلبه أنوار فأدرك بها المعاني و من غض بصره عن المحارم و أمسك نفسه عن الشهوات و عمر باطنه بصفاء السريرة و مراقبة الله تعالى و ظاهره باتباع الكتاب و السنة و لم يدخل معدته الحرام و حرس لسانه من الكذب و الغيبة و لغو القول لم تحط فراسته و ينبغي لمن جالس أهل الصدق أن يعاملهم بالصدق فإن قلوبهم جواسيس القلوب و ينبغي السكون معهم لقوله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ يعني المعلوم لهم الصدق و هم أهل بيت محمد (ص) و الدليل على صدقهم قوله تعالى إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً و الكذب أيضا رجس و قال (ص) إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله و عترتي أهل بيتي و إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فأمر باتباعهم إلى يوم القيامة فدل ذلك على أن في كل زمان يكون منهم من يقوم بالكتاب و العمل به في تفسيره و تفصيل حلاله و حرامه و لم يقل بذلك سوى الشيعة الاثني عشرية فدل هذا التفصيل على صدقهم أيضا فيجب الكون معهم و أن الصدق مفتاح كل خير و مغلاق باب كل سوء و ما لزمه إلا كل من نجا من ورطات الذنوب و فضيحات العيوب و قال أمير المؤمنين (ع) الصادق على شرف منجاة و كرامة و الكاذب على شفا مهوات و مهانة و قال النبي (ص) لا يزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صديقا و لا يزال يكذب حتى يكتبه الله كذابا و الصدق عماد الدين و نجاة المسلمين و هو

[132]

تالي درجات النبوة و رأس أمر الفتوة و موجب مرافقة النبيين قال الله تعالى فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً و الصادق اسم لازم للصدق و الصديق البالغ فيه المتحري له في أقواله و أفعاله و كل حالاته التي يصدق قوله و فعله و من أراد أن يكون الله معه فيلزم الصدق فإن الله تعالى يقول إن الله مع الصادقين و المداهن لا يشم رائحة الجنة و الصادق الذي لو كشف سره لما خالف ظاهره و قد قال الله تعالى فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ يعني في أنكم أحباء الله تعالى و أولياءه لأن الحبيب يتمنى لقاء حبيبه و الصدق علامة صحة المعرفة و المهابة و المراقبة له لمشاهدة حال المخلوقين في أسرارهم و خلواتهم و معاملة الله بالصدق ساعة خير من الضرب بالسيف في سبيل الله سنة و من عامل الله تعالى بالصدق في عباده أعطاه الله من نور الفراسة ما يبصر به كل شيء من عجائب الدنيا و الآخرة فعليكم بالصدق من حيث يضركم فإنه ينفعكم و إياكم و الكذب من حيث ينفعكم فإنه يضركم و علامة الكذب السرعة باليمين من غير أن يحلفه أحد فإنه لا يحلف الرجل في حديثه إلا لإحدى خصال ثلاث إما لعلمه أن الناس لا يصدقونه إلا إذا حلف لمهانته عندهم أو لتدليس كذبه عندهم أو للغو في المنطق يتخذ حلفه حشوا في كلامه و الصدق مجلبة للرزق لقوله (ص) الصحة و الصدق يجلبان الرزق و الصدق هو أصل الفراسة و الفراسة الصادقة هي أول خاطر من غير معارض فإن عرض عارض فهو من وساوس النفس و جاء في قوله تعالى أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ أي ميت الذهن فأحياه الله بنور الإيمان و الفراسة و جاء في قوله تعالى كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها يعني الكافر في ظلمات كفره لا نور له و لا فراسة و لا سبب يستضيء به عند ظلمة نفسه فاعتبروا يا أولي الألباب .

الباب الثاني و الأربعون في حسن الخلق و ثوابه

قال الله تعالى لنبيه وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُق عَظِيم مادحا له بذلك و كفى بذلك

[133]

مدحا له و قيل سبب نزول هذه الآية أنه قد كان (ص) قد لبس بردا نجرانيا ذا حاشية قوية فبينما هو يمشي إذ جذبه أعرابي من خلفه فجرت في عنقه فقال له أعطني عطائي يا محمد فالتفت إليه مبتسما و أمر له بعطائه فنزل قوله تعالى وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُق عَظِيم فمدحه الله بهذه مدحة لم يمدح بها أحد من خلقه و سئل النبي (ص) أي المؤمنين أفضلهم إيمانا فقال أحسنهم خلقا و قال الصادق (ع) أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا و قال إن الصبر و الصدق و الحلم و حسن الخلق من أخلاق الأنبياء و ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة شيء أفضل من حسن الخلق .

و قال رسول الله (ص) إن الخلق الحسن يذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد و إن الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل و قال إن حسن الخلق يثبت المودة و حسن البشر يذهب بالسخيمة و من أيقن بالخلف سخت نفسه بالنفقة فاستنزلوا الرزق بالصدقة و إياكم أن يمنع أحدكم من ذي حق حقه فينفق مثله في معصيته و قال إن حسن الخلق يبلغ درجة الصائم و القائم و قال (ع) إن الله يعطي العبد على حسن خلقه من الثواب كما يعطي المجاهد في سبيل الله و قال الرفيق يمن و الخرق شؤم و قال أقربكم مني غدا في الموقف أصدقكم للحديث و أداكم للأمانة و أوفاكم بالعهد و أحسنكم خلقا و قال يا بني عبد المطلب أفشوا السلام و صلوا الأرحام و أطعموا الطعام و أطيبوا الكلام تدخلوا الجنة بسلام و قال أبو حمزة الثمالي قال علي بن الحسين إن أحبكم إلى الله أحسنكم خلقا و أعظمكم عملا و أشدكم فيما عند الله رغبة و أبعدكم من عذاب الله أشدكم حشمة و أكرمكم عند الله أتقاكم و قال الصادق (ع) لجراح المدائني أ لا أحدثكم بمكارم الأخلاق قال بلى فقال الصفح عن الناس و مواساة الرجل أخاه في الله و ذكر الله كثيرا و قال رسول الله (ص) أحلم الناس الذين إذا غضبوا عفوا و أصبرهم أكظمهم للغيظ و أغناهم أرضاهم بما قسم الله و أحبهم إلى الله أكثرهم ذكرا و أعدلهم من أعطى الحق من نفسه و أحب للمسلمين ما تحب لنفسك و اكره لهم ما تكره لنفسك و قال الحسن بن عطية قال أبو الحسن ع

[134]

مكارم الأخلاق عشرة فإن استطعت أن تكون فيك فلتكن فإنها تكون في الرجل و لا تكون في ولده و تكون في ولده و لا تكون فيه تكون في العبد و لا تكون في الحر صدق الحديث و أداء الأمانة و صلة الرحم و إقراء الضيف و إعطاء السائل و المكافأة على الصنائع و التذمم للجار و الصاحب و رأسهن الحياء و كثرة الذكر و قال أبو عبد الله (ع) من صدق لسانه زكى عمله و من حسنت نيته زيد في رزقه و من حسن بره في أهل بيته مد في عمره و قال (ع) لا تغزوا بصلاتهم و صيامهم فإن الرجل ربما لهج بالصلاة و الصيام حتى لو تركهما استوحش لذلك و لكن اختبروهم عند صدق الحديث و أداء الأمانة و صلة الأرحام و البر بالإخوان و قيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم المنقري قال كان عنده ضيف فجاءت جاريته بشواء في سفود فوقع على ابن له فمات من ساعته فدهشت الجارية فقال لها لا روع و لا خوف و لا جزع عليك و أنت حرة لوجه الله و قال النبي (ص) إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه و حسن الخلق و عنه (ع) ثلاثة لا تعرف إلا في ثلاثة لا يعرف الحليم إلا في الغضب و لا الشجاع إلا في الحرب و لا الأخ إلا عند الحاجة و تبع الأحنف رجل يشتمه في طريقه فلما قرب من داره قال له يا هذا إن كان بقي في نفسك شيء فقله قبل أن يسمعك خدمي و قومي فيقتلوك و دعا علي بن الحسين (ع) عبدا له فلم يجبه مرات فقال له ما منعك من جوابي فقال أمنت عقوبتك فقال امض فأنت حر لوجه الله تعالى و من حسن الخلق أن العبد يعطي الناس من نفسه ما يحبه أن يعطوه من أنفسهم و هو أيضا احتمال ما يقع من جفاء الناس و احتمالهم من غير ضجر و لا حرد و قال موسى (ع) في

مناجاته أسألك يا رب أن لا يقال في ما ليس في فقال يا موسى ما فعلت هذا لنفسي فكيف لك و الخلق الحسن احتمال المكروه مع بسط الوجه و تبسم السن و سئل رسول الله (ص) عن الشؤم فقال سوء الخلق و قيل له يا رسول الله ادع الله على المشركين ليهلكهم الله فقال إنما بعثت رحمة لا عذابا و قال رجل للرضا (ع) ما حد حسن الخلق فقال إن تعطي الناس

[135]

من نفسك ما تحب أن يعطوك مثله فقال ما حد التوكل فقال إن لا تخاف مع الله أحدا فقال أحب أن أعرف كيف أنا عندك فقال انظر كيف أنا عندك و قال المتوكل لعلي بن محمد الهادي (ع) كلاما يعاتبه و يلومه فيه فقال له لا تطلب الصفو ممن كدرت عليه و لا الوفاء ممن صرفت سوء ظنك إليه فإنما قلب غيرك لك كقلبك له و قال (ع) لا يكمل المؤمن إيمانه حتى تكون فيه ثلاث خصال خصلة من ربه و خصلة من نبيه و خصلة من إمامه فأما التي من ربه فكتمان السر فإنه قال تعالى فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُول و أما التي من نبيه فإنه قال له خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ و أما التي من إمامه فالصبر في البأساء و الضراء فإن الله تعالى يقول وَ الصّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَ الضَّرّاءِ و من حسن الخلق أن يكون الرجل كثير الحياء قليل الأذى صدوق اللسان قليل الكذب كثير العمل قليل الزلل وقورا صبورا رضيا شكورا رفيقا عفيفا شفيقا لا نمام و لا غياب و لا مغتاب و لا عجول و لا حسود و لا بخيل يحب في الله و يبغض في الله و يعطي في الله و يمنع في الله و يرضى في الله و يسخط في الله و يحسن و يبكي كما أن المنافق يسيء و يضحك و قال النبي (ص) إن أقرب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه و عطشه و حزنه في الدنيا فهم الأتقياء الأنقياء الأحفياء الذين إذا شهدوا لم يعرفوا و إذا غابوا لم يفقدوا تعرفهم بقاع الأرض و تحف بهم ملائكة السماء تنعم الناس بالدنيا و تنعموا بذكر الله افترش الناس الفرش و افترشوا هم الجباة و الركب و سعوا الناس بأخلاقهم تبكي الأرض عليهم لفقدهم و يسخط الله على بلد ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف شعثا غبرا يراهم الناس فيظنون أن بهم داء أو قد خولطوا أو ذهبت عقولهم و ما ذهبت بل نظروا إلى أهوال الآخرة فزال حب الدنيا عن قلوبهم عقلوا حيث ذهبت عقول الناس فكونوا أمثالهم و قال أبو عبد الله (ع) مكارم الدنيا و الآخرة أن تصل من قطعك و تعطي من حرمك و تعفو عمن ظلمك

[136]

الباب الثالث و الأربعون في السخاء و الجود

قال الله تعالى وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ و قال سبحانه وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً فمدح سبحانه أهل الإيثار و إن كان بهم خصاصة و المطعمين الطعام على حبه قيل على حب الطعام و قيل على حب الله و يجوز أن يكون على حبهما معا و هذه الآية نزلت في علي و فاطمة و الحسن و الحسين (ع) بلا خلاف و قال النبي (ص) السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار و البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار و الجاهل السخي أحب إلى الله من العابد البخيل و لا فرق بين الجود و السخاء و لا يسمى الله تعالى بالسخاء لعدم التوقيف على ذلك من كلامه و كلام رسول الله (ص) و جل كلام العلماء و قال علي بن الحسين (ع) إني لأبادر إلى قضاء حاجة عدوي خوفا أن يقضيها له غيري أو أن يستغني و قال آخر ما أحب أن أرد أحدا عن حاجة إما أن يكون كريما فأصون عرضه أو لئيما فأصون عرضي و قال رجل لرجل من أين أنت فقال أنا من المدينة فقال له لقد أغنانا رجل منكم سكن عندنا و ذكره له فقال له إنه أتاكم و لا مال له فقال له ما أغنى بماله و لكن علمنا الكرم فجاد بعضنا على بعض و روي أن أمير المؤمنين (ع) إذا أتاه طالب في حاجته فقال له اكتبها على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجه السائل و جاء رجل إلى الرضا (ع) فقال يا ابن رسول الله لقد فقدت نفقتي و لم يبق معي ما يوصلني إلى أهلي فاقرضني و أنا أتصدق به عنك فدخل داره و أخرج يده من الباب و قال خذ هذه الصرة و كان فيها مائتي دينار و قال له لا

حاجة لنا إلى صدقتك فقال له يا ابن رسول الله لم لا تخرج وجهك فقال نحن أهل بيت لا نرى ذل السؤال في وجه السائل و سأل رجل الحسن بن علي (ع) شيئا فأعطاه خمسين ألف درهم و أعطى الجمال طيلسانه كراه و قال تمام المروءة إعطاء الأجرة لحمل الصدقة و قيل إن أمير المؤمنين (ع) بكى يوما

[137]

فسألوه عن سبب بكائه فقال مضت لنا سبعة أيام لم يأتنا ضيف و ما كانوا يبنون منزلا إلا و فيه موضع للضيافة و ضيف الكريم كريم أربعة أشياء لا ينبغي للرجل أن يأنف منها قيام الرجل في مجلسه لأبيه و إجلاسه فيه و خدمة الرجل لضيفه و خدمة العالم لمن يتعلم منه و السؤال عما لا يعلم و كانوا (ع) يخدمون الضيف فإذا أراد الرحيل لم يعينوه على رحيله كراهة لرحلته و أعظم الجود الإيثار مع الضرورة الشديدة كما آثر آل محمد (ص) بالقرص عند حضور إفطارهم و باتوا مطوين فمدحهم الله سبحانه بسورة هل أتى قال مصنف هذا الكتاب ينبغي للعبد أن يكون الغالب عليه الإيثار و السخاء و الرحمة للخلق و الإحسان إليهم فإن هذه أخلاق الأولياء و هو أصل من أصول النجاة و القرب من الله تعالى فقد قال النبي (ص) السخاء شجرة من أشجار الجنة من تعلق بغصن منها فقد نجا و قال جبرائيل (ع) قال الله تعالى هذا دين أرتضيه لنفسي و لا يصلحه إلا السخاء و حسن الخلق فالزموهما ما استطعتم و قال (ص) جبل الله أولياءه على السخاء قالوا يا رسول الله أي الأعمال أفضل فقال السخاء و حسن الخلق فالزموهما تفوزوا و قال (ص) الرزق إلى السخي أسرع من السكين إلى ذروة البعير إن الله تعالى يباهي بمطعم الطعام الملائكة و قال خلقان يحبهما الله السخاء و حسن الخلق و خلقان يبغضهما الله البخل و سوء الخلق و لقد جمع الله تعالى ذلك في قوله وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ و روي أن بني عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لاموه في كثرة عطائه فقال يا بني إن الله عودني أن يمدني و عودته أن أجود به على خلقه فأخاف أن أقطع العادة فتنقطع المادة .

و روي أنه دخل ذات يوم إلى حائط له و فيه عبد لجاره و بين يديه ثلاثة أقراص فدخل إليه كلب فرمى له بواحد ثم الآخر ثم الآخر فقال له هلا أكلت منها و أطعمته فقال إنه غريب جائع ف آثرته على نفسي فقال عبد الله يلومني على السخاء و هذا أسخى مني ثم اشتراه و أعتقه و ملكه هذا الحائط و العجب لمن يبخل بالدنيا و هي مقبلة فإن الجود لا يفنيها أو هي مدبرة فإن

[138]

البخل لا يبقيها و لقد أحسن من قال شعرا :

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها *** على الناس طرا قبل أن تتفلت

فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت *** و لا البخل يبقيها إذا هي ولت

و روي أن أمير المؤمنين (ع) قال لكميل بن زياد يا كميل مر أهلك أن يروحوا في المكارم و يدلجوا في حاجة من هو نائم فو الذي وسع سمعه الأصوات ما من أحد أودع قلبا سرورا إلا خلق الله من ذلك السرور لطفا إذا ثابته نائبة انحدر عليها كالسيل في انحداره فيطردها كما يطرد غرائب الإبل .

و قال (ع) تنفسوا إلى المكارم و سارعوا إلى الغنائم و اعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعمته تعالى عليكم و أجود الناس من يعطي من لا يرجوه و من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه اثنتين و سبعين كربة من كرب الدنيا و اثنتين و سبعين كربة من كرب الآخرة و من

أحسن أحسن الله إليه و الله يحب المحسنين و قال (ع) من تيقن أن الله مخلف ما ينفقه لم يمسك عن الإنفاق و روي أن الشمس كل يوم تطلع على قرني ملك ينادي اللهم عجل لكل منفق خلفا و لكل ممسك تلفا و قال رسول الله (ص) من أكرم الضيف فقد أكرم سبعين نبيا و من أنفق على الضيف درهما فكأنما أنفق ألف ألف دينار في سبيل الله تعالى و قال أبو عبد الله (ع) أ تدري ما الشحيح قلت هو البخيل قال الشحيح هو أشد من البخيل لأن البخيل يبخل بما في يديه و الشحيح على ما في أيدي الناس و على ما في يديه حتى لا يرى في يدي الناس شيئا إلا تمنى أن يكون له بالحلال و الحرام و لا يشبع و لا يقنع بما رزقه الله و للبخيل ثلاث علامات يخاف من الجوع و يخاف من سائل يأتيه و يرحب باللسان مع إخوان الخير و للسخي ثلاث علامات العفو بعد القدرة و إخراج الزكاة و حب الصدقات و قال النبي (ص) لما خلق الله الجنة قالت يا رب لمن خلقتني قال لكل سخي تقي قالت رضيت يا رب و قيل إن رجلا سأل الصادق (ع) فقال يا ابن رسول الله ما حد التدبير و التبذير و التقتير فقال التبذير أن تتصدق بجميع مالك و التدبير أن تنفق بعضه و التقتير أن لا تنفق من مالك شيئا

[139]

فقال زدني بيانا يا ابن رسول الله قال فقبض رسول الله (ص) قبضة من الأرض و فرق أصابعه ثم فتح كفه فلم يبق في يده شيء فقال هذا التبذير ثم قبض قبضة أخرى و فرق أصابعه فنزل البعض و بقي البعض فقال هذا التدبير ثم قبض قبضة أخرى و ضم كفه حتى لم ينزل منه شيء فقال هذا التقتير و قال (ع) المؤمن من كان بماله متبرعا و عن مال غيره متورعا و قال (ع) السخاء اسم شجرة في الجنة ترفع يوم القيامة كل سخي إلى الجنة بأغصانها و البخل شجرة في النار تقود بأغصانها كل بخيل إلى النار و قال (ع) رأيت على باب الجنة مكتوب أنت محرمة على كل بخيل و مرائي و عاق و نمام .

الباب الرابع و الأربعون في سؤال أبي ذر ره

قال دخلت يوما على رسول الله (ص) و هو في المجلس جالس وحده فاغتنمت وحدته فقال يا أبا ذر إن للمسجد تحية فقلت و ما تحيته يا رسول الله فقال ركعتان فركعتهما ثم التفت إليه فقلت يا رسول الله لو زدتني بالصلاة فما الصلاة قال خير موضوع فمن شاء أقل و من شاء أكثر فقلت يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله تعالى قال الإيمان بالله ثم الجهاد في سبيله قلت يا رسول الله أي المؤمنين أكمل إيمانا قال أحسنهم خلقا قلت فأي المؤمنين أفضل قال من سلم المسلمون من يده و لسانه قلت فأي الهجرة أفضل قال من هجر السوء قلت فأي وقت من الليل أفضل قال جوف الليل الغابر قلت فأي الصلاة أفضل قال طول القنوت قلت أي الصدقة أفضل قال جهد من مقل إلى فقير في سر قلت فما الصوم أفضل قال فرض مجزي و عند الله أضعاف ذلك قلت فأي الرقاب أفضل قال أغلاها ثمنا و أنفسها عند أهلها قلت فأي الجهاد أفضل قال عقر جواده و أهرق دمه قلت فأي آية أنزلها الله عليك أفضل و أعظم قال آية الكرسي قلت يا رسول الله ما كانت صحف إبراهيم (ع) قال كانت

[140]

أمثالا كلها أيها الملك المغرور المتسلط المبتلي إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض و لكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردها و إن كانت من كافر أو فاجر ففجوره على نفسه و كان فيها مثال و على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه و ساعة يفكر في صنع الله تعالى و ساعة يحاسب في نفسه فيما قدم و أخر و ساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال في المطعم و المشرب و على العاقل أن لا يكون ظاعنا إلا في ثلاث تزود لمعاد أو سعى لمعاش أو لذة في غير ذات محرم و على العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه و من حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه

قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى (ع) قال كانت عبرا كلها عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن أبصر الدنيا و تقلبها بأهلها حال بعد حال ثم هو يطمئن إليها عجبا لمن أيقن بالحساب غدا ثم لم يعمل قلت يا رسول الله فهل في أيدينا شيء مما كان في صحف إبراهيم و موسى مما أنزل الله إليك قال اقرأ يا أبا ذر قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّى وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ الْ آخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقى إِنَّ هذا يعني ذكر هذه الآيات لَفِي الصُّحُفِ الْأُولى صُحُفِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى قلت يا رسول الله أوصني قال أوصيك بتقوى الله فإنه رأس أمرك كله قلت يا رسول الله زدني قال عليك بتلاوة القرآن و ذكر الله فإنه ذكر لك في السماء و نور لك في الأرض قلت يا رسول الله زدني قال عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي قلت يا رسول الله زدني قال عليك بالصمت إلا من خير فإنه مطرد للشيطان عنك و عون لك على أمر دينك قلت يا رسول الله زدني قال إياك و كثرة الضحك فإنه يميت القلب و يذهب بنور الوجه قلت يا رسول الله زدني قال انظر إلى من هو تحتك و لا تنظر إلى من هو فوقك فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عليك قلت يا رسول الله زدني قال صل قرابتك و إن قطعوك و أحب المساكين و أكثر مجالستهم قلت يا رسول الله زدني قال لا تخف في الله لومة لائم قلت يا رسول الله زدني قال يا

[141]

أبا ذر ليردك عن الناس ما تعرف من نفسك و لا تجد عليهم فيما تأتي و كفى بالرجل عيبا أن يعرف من الناس ما يجهل من نفسه و يجد عليهم فيما يأتي قال ثم ضرب على صدري و قال يا أبا ذر لا عقل كالتدبير و لا ورع كالكف و لا حسب كحسن الخلق و عن أبي عبد الله (ع) عن أبيه أنه قال في خطبة أبي ذر ره يا مبتغي العلم لا تشغلك الدنيا و لا أهل و لا مال عن نفسك أنت يوم تفارقهم كضيف بت فيهم ثم غدوت عنهم إلى غيرهم الدنيا و الآخرة كمنزل تحولت منه إلى غيره و ما بين البعث و الموت إلا كنومة نمتها ثم استيقظت منها يا جاهل تعلم العلم فإن قلبا ليس فيه علم كالبيت الخراب الذي لا عامر له و عن أبي ذر ره أنه قال يا باغي العلم قدم لمنامك بين يدي الله تعالى فإنك مرتهن بعملك كما تدين تدان يا باغي العلم صل قبل أن لا تقدر على ليل أو نهار تصلي فيه إنما مثل الصلاة لصاحبها كمثل رجل دخل على ذي سلطان فأنصت له حتى فرغ من حاجته فكذلك المرء المسلم بإذن الله عز و جل ما دام في الصلاة لم يزل الله تعالى ينظر إليه حتى يفرغ من صلاته يا باغي العلم تصدق من قبل أن لا تقدر تعطي شيئا و لا تمنعه إنما مثل الصدقة لصاحبها مثل رجل طلبه قوم بدم فقال لهم لا تقتلوني و اضربوا لي أجلا لأسعى في رضاكم كذلك المرء المسلم بإذن الله كلما تصدق بصدقة حل بها عقدة من رقبة حتى يتوفى الله أقواما و هو عنهم راض و من رضي الله عز و جل عنه فقد أعتق من النار يا باغي العلم إن هذا اللسان مفتاح خير و مفتاح شر فاختم على فمك كما تختم على ذهبك و ورقك يا باغي العلم إن هذه الأمثال ضربها الله عز و جل للناس و قال ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ يا باغي العلم و كان شيء من الدنيا لم يكن إلا عمل ينفع خيره و يضر شره إلا ما رحم الله عز و جل يا باغي العلم لا يشغلك أهل و لا مال عن نفسك فإنهم لن يغنوا عنك شيئا .

الباب الخامس و الأربعون في ولاية الله تعالى

قال الله تعالى أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ و ولاية الله معرفته و معرفة نبيه و معرفة الأئمة من أهل بيته (ع) و موالاتهم

[142]

و موالاة كافة أولياء الله و معاداة أعداء الله و أعداء رسوله و أعداء أهل بيته و التبري من كل من لم يدن الله بدين الإسلام و أعظم عرى الإيمان الموالاة في الله و المعاداة في الله و لا طريق إلى ذلك إلا بعد المعرفة لهم و إذا لم يعرف أولياء الله فيواليهم و أعداء الله فيعاديهم لا يأمن من أن يعادي لله وليا أو يوالي لله عدوا فيخرج بذلك عن طريق الولاية بل عن الإيمان و ما من شيء من ذلك إلا و عليه دلالة من كتاب الله عز و جل و سنة نبيه (ص) و شرح ذلك مذكور في كتب العلم و ينبغي على العاقل الالتزام بعرى الإيمان و التحلي بحلية أهل الولاية فمن أراد ذلك فليلزم لسانه الذكر و قلبه الفكر و يعتزل الدنيا و يجالس الصالحين من أهل العلم و يتبع آثار الصالحين و يقتدي بهداهم من الرفض للدنيا و يقنع من العيش بما حضر و يتقرب إلى الله بصالح المقربات من صلاة النوافل و البر للإخوان و قضاء حوائجهم و صلتهم و الإيثار على نفسه بما يقدر عليه و صيام الأوقات المندوب إليها و صيانة بطنه من الحرام و

لسانه عن فضول الكلام و ليعلم أن الله يتولاه كما تولاه فإنه تعالى قال وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصّالِحِينَ فحينئذ لا يكله إلى نفسه بل يتولى عنايته و حوائجه و قال سبحانه فليأذن بحرب مني من أذى عبدي المؤمن أو أخاف لي وليا و قال سبحانه ما ترددت في شيء أنا فاعله كترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت و أكره مساءته و عن أبي عبد الله (ع) قال إذا كان يوم القيامة ينادي المنادي المؤذون لأوليائي فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم فيقال هؤلاء الذين آذوا المؤمنين و نصبوا لهم العداوة و عاندوهم و عنفوهم في دينهم ثم يؤمر بهم إلى جهنم و قال (ع) من حقر مؤمنا لم يزل الله عز و جل حاقرا له حتى يرجع من محقرته إياه و قال أيما مؤمن منع مؤمنا شيئا مما يحتاج إليه و هو قادر عليه من عنده أو من عند غيره أقامه الله يوم القيامة مسودا وجهه مزرقة عيناه و مغلولة يداه إلى عنقه فيقال هذا الخائن الذي خان الله عز و جل و رسوله فيؤمر به إلى النار و عن أبي عبد الله (ع) من رد أخاه المؤمن عن حاجة و هو يقدر على قضائها سلط الله عليه ثعبانا من نار ينهشه في قبره إلى يوم القيامة و قال (ع) من نظر إلى مؤمن نظرة ليخيفه بها

[143]

أخافه الله عز و جل يوم لا ظل إلا ظله و قال (ع) من حبس حق المؤمن أقامه الله يوم القيامة خمسمائة عام حتى يسيل عرقه أودية و ينادي مناد من عند الله عز و جل هذا الظالم الذي حبس عن الله عز و جل حقه قال فيوبخ أربعين يوما و يؤمر به إلى النار و عن أبي عبد الله (ع) قال من روع مؤمنا بسلطان ليصيبه منه مكروها فأصابه و لم يصبه فهو في النار و من روع مؤمنا بسلطان ليصيبه منه مكروها فأصابه فهو مع فرعون و آل فرعون في النار و من أعان على مؤمن بخطر كلمة لقي الله عز و جل يوم القيامة مكتوب بين عينيه هذا آيس من رحمة الله عز و جل و قال (ع) من علامات شرك الشيطان الذي لا شك فيه أن يكون الرجل فحاشا لا يبالي ما قال و لا ما قيل فيه فإنه لعب به و بإسناده إلى رسول الله (ص) إن الله حرم الجنة على كل فحاش بذي قليل الحياء لا يبالي بما قال و لا ما قيل فيه و قال رسول الله (ص) من شر عبيد الله من يكره مجالسته لفحشه و قال الصادق (ع) من خاف الناس لسانه فهو في النار و بإسناده عن رسول الله (ص) قال أشر الناس يوم القيامة الذين يكرمون اتقاء شرهم و ينبغي للمؤمن أن تكون فيه ثمان خصال وقور عند الهزاهز صبور على البلاء شكور عند الرخاء قانع بما رزقه الله لا يظلم الأعداء و يتحامل الأصدقاء بدنه منه في تعب و الناس منه في راحة و الولي كل الولي من توالت أقواله و أفعاله على موافقة الكتاب و السنة و من كان هكذا تولى الله سيئاته باللطف في كل

أموره و حرسه في غيبته و حضوره و حفظه في أهله و ولده و ولد ولده و في جيرانه فإنه جاء في الحديث النبوي إن الله يحفظ الرجل في ولده و ولد ولده و دويرات حوله و جاء في تأويل قوله تعالى وَ كانَ أَبُوهُما صالِحاً إنه كان بينهما و بين أبيهما الصالح سبعة أجداد و قيل سبعين جدا و الولي ريحانة الله في الأرض يشمها المؤمنون و يشتاق إليها الصالحون و علامة الولي ثلاثة أشياء شغله بالله و همه لله و فراره إلى الله و إذا أراد الله أن يوالي عبدا فتح على لسانه ذكره و على قلبه فكره فإذا تلذذ بالذكر فتح له باب القرب ثم فتح عليه باب الأنس به و الوحشة من خلقه فأجلسه على كرسي الولاية و عامله بأسباب العناية و أورثه

[144]

دار الكرامة و كشف عن قلبه و بصره الغشاوة و العماية فأصبح ينظر و ربنا الله و رفع إليه حسن الرزق و خوف العدو و من حيث يحل التوكل في قلبه و الرضا بقسمه و لهذا قال الله تعالى أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ و أمن من أهوال يوم القيامة و نار جهنم .

الباب السادس و الأربعون من كلام أمير المؤمنين و الأئمة (ع)

قال أمير المؤمنين لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل و يؤخر التوبة بطول الأمل يقول في الدنيا بقول الزاهدين و يعمل فيها عمل الراغبين إن أعطي لم يشبع و إن منع لم يقنع يعجز عن شكر ما أوتي و يبتغي الزيادة فيما بنى ينهى و لا ينتهي و يأمر بما لا يأتي يحب الصالحين و لا يعمل عملهم و يبغض المذنبين و هو أحدهم يكره الموت لكثرة ذنوبه و يقيم على ما يكره الموت له إن سقم ظل نادما و إن صح أمن لاهيا يعجب بنفسه إذا عوفي و يقنط إذا ابتلي إن أصابه بلاء دعا مضطرا و إن ناله رخاء أعرض مغترا تغلبه نفسه على ما يظن و لا يغلبها على ما يستيقن يخاف على غيره بأدنى من ذنبه و يرجو لنفسه بأكثر من عمله إن استغنى بطر و فتن و إن افتقر قنط و وهن يقصر إذا عمل و يبالغ إذا سأل إن عرضت له شهوة أسلف المعصية و سوف التوبة و إن عرته محنة الفرج عن شرائط الملة يصف البرة و لا يعتبر و يبالغ في الموعظة و لا يتعظ فهو بالقول مدل و من العمل مقل ينافس فيما يفني و يسامح فيما يبقى يرى المغنم مغرما و المغرم مغنما يخشى الموت و لا يبادر الفوت يستعظم من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه و يستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره فهو على الناس طاعن و لنفسه مداهن اللغو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء يحكم على غيره لنفسه و لا يحكم عليها لغيره يرشد غيره و يغوي نفسه فهو يطاع و يعصي و يستوفي و لا يوفي و يخشي الخلق من ربه و لا يخشى ربه في خلقه و قال أمير المؤمنين (ع) يا نوف خلقنا من طينة و خلق شيعتنا من طينتنا فإذا كان يوم القيامة ألحقوا بنا قال نوف قلت صف لي شيعتك يا أمير المؤمنين

[145]

فبكى لذكر شيعته ثم قال يا نوف شيعتي و الله الحلماء العلماء بالله و بدينه العاملون بطاعته و أمره المهتدون لحبه و أنصار عباده جلاس زهاده صفر الوجوه من التهجد عمش العيون من البكاء ذبل الشفاه من الذكر خمص البطون من الطوى تعرف الربانية في وجوههم و الرهبانية في سمتهم مصابيح كل ظلمة و رياحين كل قبيلة لا يشنئون من المسلمين سلفا و لا يقفون لهم خلفا سرورهم مكنونة و قلوبهم محزونة و أنفسهم عفيفة و حوائجهم خفيفة و أنفسهم منهم في عناء و الناس منهم في راحة فهم الكاسة الأولياء و الخالصة النجباء و هم الراغبون الرواعون قرار بدينهم إن شهدوا لم يعرفوا و إن غابوا لم يفتقدوا أولئك من شيعتي الأطيبون و إخواني الأكرمون الأتقياء ألا هاه شوقا إليهم و عن علي (ع) قال قال رسول الله (ص) أنا الشجرة و فاطمة فرعها و علي لقاحها و الحسن و الحسين ثمرتها و شيعتنا أغصانها فما من عبد أحبنا أهل البيت و عمل بأعمالنا و حاسب نفسه قبل أن يحل رمسه إلا أدخله الله الجنة

و عن علي (ع) إنه قال يا نبي الله بينه لي لأهتدي بهداك فقال لي يا علي من يهدي الله فما له من مضل و من يضلل الله فلا هادي له و إن الله عز و جل هاديك و معلمك و حق لك أن تعي و لقد أخذ الله ميثاقي و ميثاقك و ميثاق شيعتك و أهل مودتك إلى يوم القيامة فهم شيعتي و ذو مودتي و هم ذو الألباب يا علي حق على الله أن ينزلهم في جنانه و يسكنهم مساكن الملوك و حق لهم أن يطيبوا و بالإسناد مرفوعا عن الصادق (ع) أنه سئل أي الأعمال أفضل بعد المعرفة قال ما من شيء بعد المعرفة يعدل هذه الصلاة و لا بعد المعرفة و الصلاة شيء يعدل الزكاة و لا بعد الزكاة يعدل الحج و فاتحة ذلك كله و خاتمته معرفتنا و لا شيء بعد ذلك كبر الإخوان و المواساة يبذل الدينار و الدرهم فإنهما حجران ممسوخان بهما امتحن الله خلقه بعد الذي عددت لك و ما رأيت شيئا أسرع غناء و لا أنفى للفقر من إدمان حج هذا البيت و صلاة فريضة تعدل عند الله ألف حجة و ألف عمرة مبرورات متقبلات

[146]

و الحجة عند الله خير من بيت مملوء ذهبا لا بل خير من ملء الدنيا ذهبا و فضة ينفق في سبيل الله و الذي بعث محمدا بالحق بشيرا و نذيرا لقضاء حاجة امرئ مسلم و تنفيس كربته أفضل عند الله من حجة و طواف و عمرة حتى عد عشرة ثم رفع يده و قال اتقوا الله و لا تملوا من الخير و لا تكسلوا فإن الله عز و جل و رسوله غنيان عنكم و عن أعمالكم و أنتم الفقراء إلى الله و إنما أراد الله عز و جل بلطفه سببا يدخلكم الجنة به و روي عن أبي عبد الله (ع) قال مصافحة المؤمن بألف حسنة و عن أمير المؤمنين (ع) قال قال رسول الله (ص) إن لله عبادا من خلقه تفزع الناس إليهم في حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله عز و جل و عنه (ع) عن النبي (ص) قال من أفضل الأعمال عند الله عز و جل إبراد الأفئدة الحارة و إشباع الأكباد الجائعة و الذي نفس محمد بيده لا يؤمن بي عبد يبيت شبعان و أخوه أو قال جاره المسلم جائع و عن النبي (ص) قال من كسا مؤمنا كساه الله ألف حلة و قضى له ألف حاجة و كتب الله له عبادة سنة و غفر له ذنوبه كلها و إن كانت أكثر من نجوم السماء و أعطاه الله يوم القيامة ثواب ألف شهيد و زوجه الله تعالى ألف حوراء و كتب الله له براءة من النار و جواز

على الصراط و عن النبي (ص) إذا تلاقيتم فتلاقوا بالتسليم و التصافح و إذا تفارقتم تفرقوا بالاستغفار و عن أبي جعفر (ع) من مشى في حاجة أخيه المؤمن أظله الله عز و جل بخمسة و سبعين ملك و لم يرفع قدما إلا و كتب له بها حسنة و حط بها عنه سيئة و رفع له بها درجة فإذا فرغ من حاجته كتب الله بها بكل ما قضاه له أجر حاج و معتمر و عن أبي عبد الله (ع) من مشى في حاجة أخيه المؤمن كان أحب إلى الله من عتق ألف نسمة و حمل ألف فرس في سبيل الله مسرجة ملجمة و قال من سعى في حاجة أخيه المسلم طلب وجه الله كتب الله له ألف ألف حسنة يغفر فيها لأقاربه و جيرانه و إخوانه و معارفه و قال من أعان أخاه المؤمن اللهفان عند جهده فنفس كربته و أعانه على نجاح حاجته كتب الله بذلك اثنتين و سبعين رحمة يعجل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشته و يدخر له إحدى و سبعين

[147]

رحمة لأفزاع يوم القيامة و أهواله .

و قال (ع) أيما مؤمن نفس عن مؤمن كربة و هو معسر يسر الله له حوائجه في الدنيا و الآخرة.

و قال (ع) من أشبع مؤمنا وجبت له الجنة و من أشبع كافرا كان حقا على الله أن يملأ جوفه من الزقوم و لئن أشبع رجلا من المسلمين أحب إلى الله من أن أطعم أفقا من الناس قلت و ما الأفق قال مائة ألف أو يزيدون .

و عن أبي جعفر (ع) قال من أطعم ثلاثة نفر من المسلمين أطعمه الله عز و جل من ثلاث جنات في ملكوت السماوات الفردوس و جنة عدن و طوبى .

و قال علي (ع) ما من رجل يدخل بيته مؤمنين فيطعمهما و يشبعهما إلا كان ذلك أفضل من عتق نسمة .

و عن علي بن الحسين (ع) قال من أطعم مؤمنا من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة و من سقى مؤمنا من ظمإ سقاه الله من رحيق مختوم .

و عن الصادق (ع) من أطعم مؤمنا حتى يشبعه لم يدر أحد من خلق الله ما له من الأجر في الآخرة لا ملك مقرب و لا نبي مرسل إلا الله رب العالمين ثم قال من موجبات المغفرة إطعام المسلم السغبان قال الله تعالى أَوْ إِطْعامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِيناً ذا مَتْرَبَةٍ .

و قال رسول الله (ص) من سقى مؤمنا شربة من ماء من حيث يقدر على الماء أعطاه الله عز و جل بكل شربة سبعين ألف حسنة و إن سقاه من حيث لا يقدر على الماء فكأنما أعتق عشر رقاب من ولد إسماعيل .

و قال الصادق (ع) لإطعام مؤمن أحب إلى الله من عتق عشر رقاب و عشر حجج و من كساه ثوبا كسوة شتاء أو صيف كان حقا على الله أن يكسوه من ثياب الجنة و أن يهون عليه سكرات الموت و أن يوسع عليه في قبره و أن تتلقاه الملائكة إذا خرج من قبره بالبشرى كما قال الله تعالى تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلّا تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ.

و قال (ع) من كسا أحدا من فقراء المسلمين ثوبا من عرى أو أعانه

بشيء مما يقوته من معيشة وكل الله عز و جل به سبعة آلاف ملك من الملائكة يستغفرون لكل ذنب عمله إلى أن ينفخ في الصور .

و قال (ع) من كسا مؤمنا ثوبا من عرى كساه الله من إستبرق الجنة و من كساه ثوبا من غنى لم يزل في ستر الله عز و جل ما بقي من الثوب خرقة و قد ورد أن مشركا تلطف بمؤمن فلما مات أوحى الله إليه لو كان في جنتي مسكن لمشرك لأسكنتك فيها و لكنها محرمة على من مات بي مشركا و لكن يا نار حاذيه و لا تؤذيه قال و يؤتى برزقه طرفي النهار من حيث يشاء الله .

و قال النبي (ص) من أدخل على مؤمن سرورا خلق الله عز و جل له من ذلك السرور مثالا لا يزال معه في كل هول يبشره بالجنة .

الباب السابع و الأربعون في الدعاء و بركته و فضله

قال الله تعالى ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ و قال سبحانه أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ و قال عز و جل إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ يعني عن دعائي و قال سبحانه وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْناهُمْ بِالْبَأْساءِ وَ الضَّرّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ و قال تعالى فَلَوْ لا إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا وَ لكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ و قال قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ

الْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً و مدح قوما على الدعاء فقال إِنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَ يَدْعُونَنا رَغَباً وَ رَهَباً وَ كانُوا لَنا خاشِعِينَ .

و قال النبي (ص) أفضل العبادة الدعاء . و قال الدعاء مخ العبادة . و قال إذا أذن الله لعبد في الدعاء فتح له باب الإجابة بالرحمة و إنه لن يهلك مع الدعاء هالك و إن الله سبحانه و تعالى يغضب إذا ترك سؤاله فليسأل أحدكم ربه حتى في شسع نعله إذا انقطع إن سلاح المؤمن الدعاء .

و قال (ص) إنه سبحانه يبتلي العبد حتى يسمع دعاءه و تضرعه .

و قال أمير المؤمنين (ع) ما كان الله ليفتح على العبد باب الدعاء و يغلق

[149]

عنه باب الإجابة و هو يقول ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ و ما كان الله ليفتح باب التوبة و يغلق باب المغفرة لأنه تعالى يقول وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَ يَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ و ما كان الله ليفتح باب الشكر و يغلق باب الزيادة لأنه يقول لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ و ما كان الله ليفتح باب التوكل و لم يجعل للمتوكل مخرجا فإنه سبحانه يقول وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ .

و قال (ع) الدعاء يرد القضاء المبرم .

و قال (ع) من سره أن يكشف عنه البلاء فليكثر من الدعاء و ينبغي للعبد أن يدعو بهم مجموع و قلب خاشع و سريرة خالصة و بدن خاضع و جوارح متذللة و يقين واثق بالإجابة ليصدق قوله تعالى ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ و لا يكون قلبه متشاغلا بغير الله تعالى .

و قال أمير المؤمنين (ع) للدعاء شروط أربعة الأول إحضار النية و الثاني إخلاص السريرة و الثالث معرفة المسئول و الرابع الإنصاف في المسألة .

فإنه روي أن موسى (ع) مر برجل ساجد يبكي و يدعو و يتضرع فقال موسى يا رب لو كانت حاجة هذا العبد بيدي لقضيتها فأوحى الله عز و جل إليه يا موسى إنه يدعوني و قلبه مشغول بغنم له فلو سجد حتى ينقطع صلبه تتفقأ عيناه و لم أستجب له و في رواية أخرى حتى يتحول عما أبغض إلى ما أحب .

و قال تعالى إن العبد يدعوني للحاجة ف آمر بقضائها فيذنب فأقول للملك إن عبدي قد تعرض لسخطي بالمعصية فاستحق الحرمان و إنه لا ينال ما عندي إلا بطاعتي .

و قال النبي (ص) إن العبد ليرفع يده إلى الله و مطعمه حرام فكيف يستجاب له و هذا حاله و قال ثلاث خصال يدرك بها خير الدنيا و الآخرة الشكر عند النعماء و الصبر عند الضراء و الدعاء عند البلاء .

و قال أمير المؤمنين (ع) و لو أن الناس إذا زالت عنهم النعم و نزلت بهم النقم فزعوا إلى الله بوله من نفوسهم و صدق من نياتهم و خالص من سرائرهم

لرد عليهم كل شارد و لأصلح لهم كل فاسد و لكنهم أخلوا بشكر النعم فسلبوها و إن الله تعالى يعطي النعم بشرط الشكر لها و القيام فيها بحقوقها فإذا أخل المكلف بذلك كان لله التغيير.

و قال أمير المؤمنين (ع) التعلل زكاة البدن و المعروف زكاة النعم و كل نعمة أزيل منها المعروف فمأمونة السلب محصنة من الغير و قال و الله ما نزع الله من قوم نعماء إلا بذنوب اجترحوها فأربطوها بالشكر و قيدوها بالطاعة و الدعاء مفتاح الرحمة و سراج الزاهدين و شوق العابدين و أقرب الناس إلى الإجابة و الرحمة الطائع المضطر الذي لا بد له مما سأله و خصوصا عند نفوذ الصبر .

و قال النبي (ص) عند فناء الصبر يأتي الفرج و جاءت امرأة إلى الصادق (ع) فقالت يا ابن رسول الله إن ابني سافر عني و قد طالت غيبته و قد اشتد شوقي إليه فادع الله لي فقال لها عليك بالصبر فمضت و أخذت صبرا و استعملته ثم جاءت بعد ذلك فشكت إليه فقال لها عليك بالصبر فاستعملته ثم جاءت بعد ذلك فشكت إليه طول غيبة ابنها فقال أ لم أقل لك عليك بالصبر فقالت يا ابن رسول الله كم الصبر فو الله لقد فنى الصبر فقال ارجعي إلى منزلك تجدي ولدك قد قدم من سفره فمضت فوجدته قد قدم من سفره فأتت إليه فقالت يا ابن رسول الله أ وحي بعد رسول الله قال لا و لكنه قد قال عند فناء الصبر يأتي الفرج فلما قلت قد فنى الصبر عرفت أن الله قد فرج عنك بقدوم ولدك و الدعاء إظهار العبد الفاقة و الافتقار إلى الله تعالى مع الاستكانة و التذلل و المسكنة و الخضوع و إذا فعل العبد ذلك فقد فعل ما عليه من العبودية و لله سبحانه المشيئة في الاستجابة على قدر ما يراه من مصلحة العبد و ما يقتضيه العدل و الحكمة لأن جوده و كرمه لا يتعديان حكمته فإنه سبحانه لا يمنع لبخل و لا لعدم بل للمصلحة و ما تقتضيه الحكمة لا على سؤال العبد فيما يقترحه و يهواه و لهذا قال تعالى وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ لأن الداعي يدعو بما يظنه مصلحة له و الله يعمل على ما يعلم كمن دعا الله تعالى أن يعطيه مالا و علم أنه يطغى به فمنعه إشفاقا عليه و رحمة له فسبحان من عطاؤه كرم و منعه فضل و من أكثر من الدعاء و الذكر

و الشكر و الحمد و الثناء على الله أعطاه الله أفضل ما يعطي السائلين فإنه تعالى يقول في بعض كتبه إذا شغل عبدي ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين و ينبغي أن يكون الداعي بلسانه راضيا بقلبه فيما يجري له و عليه ليجمع بين الأمرين الرجاء و الرضا و لا ينبغي للعبد أن يمل و التطويل له أفضل ما لم يتضيق وقت فريضة و في الخبر أن الله إذا أحب أن يسمع صوت عبده و دعاءه أخر إجابته و يقول يا جبرائيل أخر حاجته فإني أحب تضرعه و سماع صوته و إذا كره سماع صوت عبده قال يا جبرائيل عجل حاجته فإني أكره أن أسمع صوته هذا إذا كان عاصيا و أن العبد ليدعو الله تعالى و هو عليه غضبان فيرده ثم يدعوه فيقول أبى عبدي أن يدعو غيري فقد استجبت له فلا تيأسوا من تأخير الإجابة فإنه كان بين إجابة موسى و هارون في فرعون أربعين سنة من حين قال الله تعالى لهما قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما .

و روي أن تاجرا كان في زمان النبي (ص) يسافر من المدينة إلى الشام و لا يصحب القوافل توكلا على الله فعرض له لص في طريقه فصاح به فوقف فقال له خذ المال و دعني فقال لا غنى لي عن نفسك فقال دعني أتوضأ و أصلي أربع ركعات فقال افعل ما شئت فتوضأ و صلى ثم رفع يديه إلى السماء و قال يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد يا ذا البطش الشديد يا فعالا لما يريد أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك و أسألك بقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك و برحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلا أنت يا مغيث أغثني يا مغيث صل على محمد و آل محمد و أغثني فإذا هو بفارس على فرس أشهب عليه ثياب خضر و

بيده رمح فشد على اللص فطعنه طعنة فقتله ثم قال للتاجر اعلم أني ملك من السماء الثالثة حين دعوت سمعنا أبواب السماء قد فتحت فنزل جبرائيل و أمرني بقتله و اعلم يا عبد الله أنه ما دعا بدعائك هذا مكروب و لا محزون إلا فرج الله عنه و أغاثه فرجع التاجر إلى المدينة سالما فأخبر النبي (ص) بذلك فقال لقنك الله أسماءه الحسنى التي إذا دعي بها أجاب و إذا سئل بها أعطى .

قال مصنف هذا الكتاب شمله الله تعالى بواسع رحمته إن من شرائط الدعاء

[152]

و آدابه استحضار العبد ذهنه و فطنته و أن لا يكون قلبه متشاغلا بغير الله فإن النبي (ص) قال إن الله لا يستجيب دعاء عبده و قلبه لاه و من شرائطه أن يكون مطعم العبد و ملبسه من حلال فإن الله سبحانه قال إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ و قال رجل للصادق (ع) إنا ندعو الله فلا يستجيب لنا قال إنكم تدعون من لا تهابونه و تعصونه و كيف يستجيب لكم .

و روى عثمان بن عيسى عمن حدثه عن أبي عبد الله (ع) قال قلت آيتين في كتاب الله أطلبهما و لا أجدهما قال ما هما قلت قول الله تعالى أَسْتَجِبْ لَكُمْ فندعوه و لا نرى إجابة قال أ فترى الله أخلف وعده قلت لا قال فمم ذلك قلت لا أدري فقال و لكني أخبرك من أطاع الله فيما أمره ثم دعاه من جهة الدعاء أجابه قلت و ما جهة الدعاء قال تبدأ فتحمد الله و تذكر نعمه عندك ثم تشكره ثم تصلي على النبي (ص) ثم تذكر ذنوبك فتقر بها ثم تستغفر الله منها فهذا جهة الدعاء قال و ما الآية الأخرى قلت قول الله وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ و إني أنفق و لا أرى خلفا قال أ فترى الله أخلف وعده قلت لا قال فمم ذلك قلت لا أدري قال لو أحدكم اكتسب المال من حله و أنفقه في حقه لم ينفق رجل درهما إلا أخلف الله عليه .

و قال النبي (ص) ما من عبد دعا الله سبحانه دعوة ليس فيها قطيعة رحم و لا إثم إلا أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث إما أن يعجل دعوته و إما أن يدخر له و إما أن يدفع عنه من السوء مثلها قالوا يا رسول الله إذن نكثر قال الله أكثر و في رواية الله أكثر و أطيب ثلاث مرات .

و فيما أوحى الله إلى موسى (ع) ما خلقت خلقا أحب إلي من عبدي المؤمن و إني إنما ابتليته لما هو خير له و أعافيه لما هو خير له و أنا أعلم بما يصلح عبدي فليصبر على بلائي و ليشكر على نعمائي أثبته في الصديقين عندي إن عمل برضائي و أطاع أمري .

و عن أمير المؤمنين (ع) يقول الله عز و جل يا عبادي أطيعوني فيما أمرتكم و لا تعلمونني بما يصلحكم فإني أعلم به و أنا لا أبخل عليكم بمصالحكم .

[153]

و قال النبي (ص) يا عباد الله أنتم كالمرضى و رب العالمين كالطبيب فصلاح المرضى فيما يعمله الطبيب و يدبره لا فيما يشتهيه و يقترحه ألا فسلموا الله أموركم تكونوا من الفائزين .

و عن الصادق (ع) عجبت للمؤمن لا يقضي الله بقضاء إلا كان خيرا له و إن قرض بالمقاريض كان خيرا له و إن ملك مشارق الأرض و مغاربها كان خيرا له و فيما أوحى الله إلى داود (ع) من انقطع إلي كفيته و من سألني أعطيته و من دعاني أجبته و إنما أؤخر دعوته و هي معلقة و قد استجبتها حتى يتم قضائي فإذا تم قضائي أنفذت ما سأل قل للمظلوم إنما أؤخر دعوتك و قد استجبتها لك على من

ظلمك لذنوب كثيرة غابت عنك و أنا أرحم الراحمين و أحكم الحاكمين إما أن تكون قد ظلمت رجلا فدعا عليك فتكون هذه بهذه لا لك و لا عليك و إما أن تكون لك درجة في الجنة لا تبلغها عندي إلا بظلمه لك لأني أختبر عبادي في أموالهم و أنفسهم و ربما أمرضت العبد فقلت صلواته و خدمته و لصوته إذا دعاني في كربته أحب إلي من صلوات المصلين و لربما صلى العبد فأضرب بها وجهه و أحجب عني صوته أ تدري من ذلك يا داود ذلك الذي يكثر الالتفات إلى حرم المؤمنين بعين الفسق و ذلك الذي حدثته نفسه لو ولي أمرا لضرب فيه الرقاب ظلما يا داود نح على خطيئتك كالمرأة الثكلى على ولدها لو رأيت الذين يأكلون الناس بألسنتهم و قد بسطوها بسط الأديم و ضربت نواحي ألسنتهم بمقامع من نار ثم سلطت عليهم موبخا لهم يقول يا أهل النار هذا فلان السليط فاعرفوه كم من ركعة طويلة فيها بكاء و خشية ما تساوي عند الله فتيلا حين نظرت في قلبه فوجدته إن سلم من صلاته و برزت له امرأة و عرضت له نفسها أجابها و إن عامله مؤمن خاتله .

و قال (ع) في صفة رفع اليدين بالدعاء هكذا الرغبة و بسط راحتيه باطنهما إلى السماء و هكذا الرهبة و جعل ظهرهما إلى السماء و قال هكذا التضرع و رفع إصبعيه السبابتين و حركهما يمينا و شمالا و قال هكذا التبتل و رفع سبابتيه عاليا و نصبهما و قال هكذا الابتهال و بسط يديه رافعا لهما و قال من ابتهل منكم فمع

[154]

الدمعة يجريها على خده و ينبغي للداعي أن يكون متطهرا مستقبل القبلة و من آداب الدعاء المواضع الشريفة و الأوقات الشريفة و عقيب الصلاة و أن يكون في يده خاتم عقيق أو ذي فص عقيق فقد روي أنه لا ترد يد فيها العقيق و قال ما رفعت إلى الله كف أحب إليه من كف فيها عقيق و إنه لا يفتقر كف فيها عقيق و هو أمن في السفر .

و قال (ص) صلاة ركعتين بخاتم عقيق أفضل من سبعين ركعة بغيره و قال (ع) العقيق أول جبل أقر لله بالعبودية و الوحدانية و لمحمد (ص) بالنبوة و لعلي (ع) بالولاية و قدر الله على نفسه أنه لا يرد كفا رفعت إليه بالعقيق و لا يعذبها و كان قد أضر رجل فشكا إلى الله تعالى فرأى في منامه قائلا يقول له قل يا قريب يا مجيب يا سميع يا بصير يا لطيف يا خبير يا لطيفا لما يشاء صل على محمد و آل محمد رد علي بصري فرد الله تعالى عليه بصره .

و روي أن شابا تعلق بأستار الكعبة باكيا و قال إلهي ليس لك شريك فيؤتى و لا وزير فيرشى و لا حاجب فينادى إن أطعتك فلك الحمد و الفضل و إن عصيتك فلك الحجة فبإثبات حجتك علي و قطع حجتي اغفر لي فسمع هاتفا يقول أنت معتق من النار و خير الدعاء ما هيجته الأحزان و حركته الأشجان و شفيع المذنبين دموعهم.

و قال النبي (ص) عليكم بالبكاء من خشية الله يبنى لك بكل دمعة ألف بيت في الجنة و ما من شيء أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله و قطرة دم جرت في سبيل الله و إذا أراد الله بعبد خيرا نصب في قلبه نائحة من الحزن و إن الله يحب كل قلب حزين و خير الدعاء الخفي قال تعالى ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً .

و قال النبي (ص) خير العبادة أخفاها و قال خير الذكر الخفي و قال دعاء السر يزيد على الجهر سبعين ضعفا و أثنى الله سبحانه على زكريا (ع) بقوله إِذْ نادى رَبَّهُ نِداءً خَفِيًّا و سمع رسول الله (ص) أقواما يجاهرون بالدعاء فقال لا ترفعوا بأصواتكم فإن ربكم ليس بأصم .

[155]

الباب الثامن و الأربعون في فضيلة الفقر و حسن عاقبته

الشاهد على فضيلة الفقراء على الأغنياء قول النبي (ص) يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم و مقداره خمسمائة عام .

و عن أبي عبد الله (ع) أن فقراء المؤمنين يتقلبون في رياض الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا ثم قال سأضرب لكم مثلا إنما مثل ذلك سفينتين مر بهما على باخس فنظر في إحداهما فلم يجد فيها شيئا فقال أسربوها و نظر في الأخرى فإذا هي موفورة فقال احبسوها .

و عن أبي عبد الله (ع) قال إذا كان يوم القيامة وقف عبدان مؤمنان للحساب كلاهما من أهل الجنة فقير و غني فيقول الفقير يا رب على ما أحاسب فو عزتك لقد علمت أني ما وليت ولاية فأعدل فيها أو أجور و لم تملكني مالا فأعطي حقه أو أمنعه و لقد كان يأتيني رزقي كفافا فيقول الله صدق عبدي أدخلوه الجنة و يبقى الغني حتى يسيل منه العرق ما لو شرب منه أربعون بعيرا لأصدرها ثم يدخل الجنة فيقول له الفقير ما أخرك فيقول طول الحساب ما زال يحاسبني بالشيء بعد الشيء و يغفره الله لي ثم يحاسبني ب آخر حتى تغمدني الله برحمته فمن أنت فيقول أنا الفقير الذي كنت واقفا معك في الحساب فيقول الغني لقد غيرك النعيم بعدي و هذا من أعظم نعم الله على الفقير خفة حسابه و دخوله الجنة قبل الغني و من سعادة الفقير و راحته أنه لا يطالب في الدنيا بخراج و لا في الآخرة بحساب و لا يشتغل قلبه عن الله بهموم الغنى من حراسة المال و الخوف عليه من السلطان و اللصوص و الحاسد و كيف يدبره و كيف ينميه و مقاساة عمارة الأملاك و الوكلاء و الأكاري و قسمة الزرع و تعب الأسفار و غرق المراكب و تمني الوارث موته ليرثوه و إذا خلا من آفة تذهبه حال حياته كان حسرة له عند مماته و طول حسابه في الآخرة و يرثه منه إما من تزوج بامرأته أو امرأة ابنه أو زوج ابنته لا بد من أحد هؤلاء يرثه و يحصل هو التعب و الهموم و شغله به عن العبادة و تحظى به أعداؤه الذين لا يغنون عنه شيئا و لا يزال الغني مخاطرا بنفسه و بالمال

[156]

في البراري و القفار و إن كان في بحر غرق هو و المال و إن كان في بر أخذه منه القطاع و قتلوه فهو لا يزال على خطر به و بنفسه و الفقير قد انقطع إلى الله و قنع بما يسد قوته و يواري عورته.

قال بعض العلماء استراح الفقير من ثلاثة أشياء و بلي بها الغني قيل و ما هي قال جور السلطان و حسد الجيران و تملق الإخوان.

و قال بعضهم اختار الفقير ثلاثة أشياء اليقين و فراغ القلب و خفة الحساب و اختار الأغنياء ثلاثة تعب النفس و شغل القلب و شدة الحساب.

و لا شك أن الفقر حلية الأولياء و شعار الصالحين ففيما أوحى الله إلى موسى (ع) و إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين و إذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته ثم انظر في قصص الأنبياء (ع) و خصائصهم و ما كانوا فيه من ضيق العيش فهذا موسى كليم الله الذي اصطفاه لوحيه و كلامه كان يرى خضرة البقل من صفاق بطنه من هزاله و ما طلب حين آوى إلى الظل بقوله رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ إلا خبزا يأكله لأنه كان يأكل بقلة الأرض .

و روي أنه (ع) قال يوما يا رب إني جائع فقال تعالى أنا أعلم بجوعك قال يا رب أطعمني قال إلى أن أريد .

و فيما أوحى الله إلى موسى (ع) يا موسى الفقير من ليس له مثلي كفيل و المريض من ليس له مثلي طبيب و الغريب من ليس له مثلي مؤنس.

و يروى أنه قال يا موسى ارض بكسرة من شعير تسد بها جوعتك و بخرقة تواري بها عورتك و اصبر على المصائب و إذا رأيت الدنيا مقبلة عليك فقل إنا لله و إنا إليه راجعون عقوبة عجلت في الدنيا و إذا رأيت الدنيا مدبرة عنك فقل مرحبا بشعار الصالحين يا موسى لا تعجبن بما أوتي فرعون و ما متع به فإنما هي زهرة الحياة الدنيا .

و أما عيسى ابن مريم روح الله و كلمته فإنه كان يقول خادمي يداي و دابتي رجلاي و فراشي الأرض و وسادي الحجر و دفئي في الشتاء مشارق الأرض

[157]

و سراجي القمر و إدامي الجوع و شعاري الخوف و لباسي الصوف و فاكهتي و ريحانتي ما أنبتت الأرض للوحوش و الأنعام أبيت و ليس معي شيء و أصبح و ليس لي شيء و ليس على وجه الأرض أحد أغنى مني .

و أما نوح (ع) مع كونه شيخ المرسلين و عمر في الدنيا مديدا ففي بعض الروايات أنه عاش ألفي عام و خمسمائة عام و مضى من الدنيا و لم يكن بنى فيها بيتا و كان إذا أصبح يقول لا أمسي و إذا أمسى يقول لا أصبح و كذلك نبينا محمد (ص) فإنه خرج من الدنيا و لم يضع لبنة على لبنة و رأى رجلا يبني بيتا بجص و آجر فقال الأمر أعجل من هذا.

و أما إبراهيم (ع) أبو الأنبياء فقد كان لباسه الصوف و أكله الشعير.

و أما يحيى بن زكريا (ع) فكان لباسه الليف و أكله ورق الشجر.

و أما سليمان (ع) فقد كان مع ما هو فيه من الملك يلبس الشعر و إذا جاء الليل شد يديه إلى عنقه فلا يزال قائما حتى يصبح باكيا و كان قوته من سفائف الخوص يعملها بيده و إنما سأل الله الملك لأجل القوة و الغلبة على ملوك الكفار ليقهرهم بذلك و قيل سأل الله القناعة.

و أما سيد البشر محمد المصطفى (ص) فقد عرفت ما كان من طعامه و لباسه و قيل إنه (ص) أصابه يوما الجوع فوضع حجرا على بطنه ثم قال ألا رب مكرم لنفسه و هو لها مهين ألا رب مهين لنفسه و هو لها مكرم ألا رب نفس جائعة عارية في الدنيا طاعمة في الآخرة ناعمة يوم القيامة ألا رب نفس كاسية ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة ألا رب متخفض متنعم فيما أفاء الله على رسوله ما له في الآخرة من خلاق ألا إن عمل أهل الجنة جنة بربوة ألا إن عمل أهل النار كلمة سهلة بشهوة ألا رب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا يوم القيامة.

و أما علي سيد الوصيين و تاج العارفين و صنو رسول رب العالمين فحاله في الزهد و التقشف أظهر من أن يحكى.

قال سويد بن غفلة دخلت على أمير المؤمنين (ع) بعد ما بويع بالخلافة

[158]

و هو جالس على حصير صغير ليس في البيت غيره فقلت يا أمير المؤمنين بيدك بيت المال و لست أرى في بيتك شيئا مما يحتاج إليه البيت فقال يا ابن غفلة إن اللبيب لا يتأثث في دار النقلة و لنا دار قد نقلنا إليها خير متاعنا و أنا عن قليل إليها صائرون .

و كان (ع) إذا أراد أن يكتسي دخل السوق فيشتري الثوبين فيخير قنبر أجودهما و يلبس الآخر ثم يأتي الخياط فيمد له أحد كمية و يقول خذه بقدومك و يقول هذه تخرج في مصلحة أخرى و يبقى الكم الآخر بحالها و يقول هذه تأخذ فيها من السوق للحسن و الحسين.

فلينظر العاقل بعين صافية و فكرة سليمة يتحقق له أنه لو يكون في الدنيا و الإكثار منها خير لم يفت هؤلاء الأكياس الذين هم خلاصة الخلق و حجج الله على سائر الناس بل تقربوا إلى الله

البعد عنها حتى قال أمير المؤمنين (ع) قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها .

و قال رسول الله (ص) ما يعبد الله بشيء مثل الزهد في الدنيا و روي أن الله تعالى يقول للفقراء يوم القيامة لم أفقركم لهوانكم علي و لكن لما هو خير لكم و قال تعالى في بعض كتبه أف لكم لم أغن الغني لكرامته علي و لم أفقر الفقير لهوانه علي و إنما ابتليت الأغنياء بالفقراء و لو لا

الفقراء لم يستوجب الأغنياء الجنة .

و قال رسول الله (ص) إن الله يجمع الفقراء و الأغنياء في رحبة الجنة يوم القيامة ثم يبعث مناديا ينادي من بطنان العرش يا معشر المؤمنين أيما رجل منكم وصله أخوه المؤمن في الله و لو بلقمة من خبز بإدامها خصه بها على مائدته فليأخذ بيده على مهل حتى يدخله الجنة قال فهم أعرف بهم يومئذ منهم ب آبائهم و أمهاتهم قال فيجيء الرجل منهم حتى يضع يده على ذراع أخيه المكرم له الواصل له فيقول له يا أخي أ ما تعرفني أ لست الصانع بي في يوم كذا و كذا من المعروف كذا و كذا فيذكره كل شيء صنع معه من البر و الصلة و الكرامة ثم يأخذ بيده فيقول إلى أين فيقول إلى الجنة فإن الله تعالى قد أذن لي بذلك

فينطلق به إلى الجنة فيدخله فيها برحمة الله و فضله و كرامته لعبده الفقير المؤمن .

و روي أن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بسبعين خريفا و أما الغني فإنه مطغى لقوله تعالى إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى و ما يجمع الغني المال إلا لنعيم الدنيا و لذاتها و إترافها و قد قال الله تعالى أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا وَ اسْتَمْتَعْتُمْ بِها فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ فوعدهم بالعذاب و عيرهم بالتكاثر بقوله تعالى أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ يعني عن العبادة و الزهد .

و روي عن الصادق (ع) أن رجلا فقيرا أتى رسول الله (ص) و عنده رجل غني فكف ثيابه و تباعد عنه فقال له رسول الله (ص) ما حملك على ما صنعت أ خشيت أن يلصق فقره بك أو يلصق غناك به فقال يا رسول الله أما إنك إذا قلت هذا فله نصف مالي قال النبي (ص) للفقير أ تقبل منه قال لا قال و لم قال أخاف أن يدخلني ما دخله .

و اعلم أن إحياء دين الله و إعزاز كلمته و امتثال أوامر الرسل و الشرائع و نصرة الأنبياء و انتشار دعوتهم من لدن آدم إلى زمان نبينا محمد لم تقم إلا بأولى الفقر و المسكنة أ و لا تسمع إلى ما قص الله عليك في كتابه العظيم على لسان نبيه الكريم و بين لك أن المتصدي لإنكار الشريعة هم الأغنياء المترفون و الأشرار المتكبرون فقال مخبرا عن قوم نوح إذ عيروه أَ نُؤْمِنُ لَكَ وَ اتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ وَ ما نَراكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا يعني بذلك الفقراء منا و قالوا لشعيب (ع) وَ إِنّا لَنَراكَ فِينا ضَعِيفاً أي فقيرا وَ لَوْ لا رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ وَ ما أَنْتَ عَلَيْنا بِعَزِيزٍ و قال المستكبرون من قوم صالح للذين استضعفوا أَ تَعْلَمُونَ أَنَّ صالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قالُوا إِنّا بِما أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كافِرُونَ و قال فرعون مزريا لموسى (ع) و مفتخرا عليه فَلَوْ لا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ و قالوا لمحمد (ص) أَوْ يُلْقى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْها و كفى بها كله مدحا للفقراء الراضين و ذما للأغنياء المتكبرين .

الباب التاسع و الأربعون في الأدب مع الله تعالى

و روي في تأويل قوله تعالى قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجارَةُ قال ابن عباس أراد بذلك قهرهم بالدين و تأديبهم بالآداب الشرعية و قال تعالى لموسى (ع) فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً فأمره بالأدب بخلع نعليه عند مناجاته فلما نزل قوله تعالى خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ قال رسول الله (ص) أدبني ربي بمكارم الأخلاق و أعظم الخلق أدبا مع الله الأنبياء ثم الأوصياء ثم الأمثل فالأمثل و أكثر الخلق تأديبا مع الله تعالى نبينا محمد (ص) لقوله سبحانه وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُق عَظِيم .

و قال أمير المؤمنين (ع) لولده الحسن يا بني أحرز حظك من الأدب و فرغ له قلبك فإنه أعظم من أن يخالطه دنس و اعلم أنك إذا افتقرت عشت به و إن تغربت كان لك كالصاحب الذي لا وحشة معه يا بني الأدب لقاح العقل و ذكاء القلب و عنوان الفضل .

و اعلم أنه لا مروة لأحد بماله و لا حاله بل الأدب عماد الرجل و ترجمان عقله و دليله على مكارم الأخلاق و ما الإنسان لو لا الأدب إلا بهيمة مهملة .

و قال الجواد (ع) ما اجتمع رجلان إلا كان أفضلهما عند الله آدبهما فقيل يا ابن رسول الله قد عرفنا فضله عند الناس فما فضله عند الله فقال بقراءة القرآن كما أنزل و يروي حديثنا كما قلنا و يدعو الله مغرما بدعائه و حقيقة الأدب اجتماع خصال الخير و تجافي خصال الشر و بالأدب يبلغ الرجل مكارم الأخلاق في الدنيا و الآخرة و يصل به إلى الجنة و الأدب عند الناس النطق بالمستحسنات لا غير و هذا لا يعتد به ما لم يوصل بها إلى رضاء الله سبحانه و الجنة و الأدب هو أدب الشريعة فتأدبوا بها تكونوا أدباء حقا و من صاحب الملوك بغير أدب أسلمه ذلك إلى الهلكة فكيف بمن يصاحب ملك الملوك و سيد السادات .

و قد روي أن الله تعالى يقول في بعض كتبه عبدي أ من الجميل أن تناجيني و أنت تلتفت يمينا و شمالا و يكلمك عبد مثلك تلتفت إليه و تدعني و نرى من أدبك

إذا كنت تحدث أخا لك لا تلتفت إلى غيره فتعطيه من الأدب ما لا تعطيني فبئس العبد عبد يكون كذلك .

و روي أن النبي (ص) خرج إلى غنم له و راعيها عريان يفلي ثيابه فلما رآه مقبلا لبسها فقال له النبي (ص) امض فلا حاجة لنا في رعايتك فقال و لم ذلك فقال إنا أهل بيت لا نستخدم من لا يتأدب مع الله و لا يستحي منه في خلوته و إنما فعل ذلك لأن الراعي أعطاه فوق ما أعطى ربه .

و روي أنه (ص) سلم عليه غلام دون البلوغ و بش له و تبسم فرحا بالنبي (ص) فقال له أ تحبني يا فتى فقال إي و الله يا رسول الله فقال له مثل عينيك فقال أكثر فقال مثل أبيك فقال أكثر فقال مثل أمك فقال أكثر فقال مثل نفسك فقال أكثر و الله يا رسول الله فقال أ مثل ربك فقال الله الله الله يا رسول الله ليس هذا لك و لا لأحد فإنما أحببتك لحب الله فالتفت النبي إلى من كان معه و قال هكذا كونوا أحبوا الله لإحسانه إليكم و إنعامه عليكم و أحبوني لحب الله .

فاختبر (ص) على صحة أدبه في المحبة لله تعالى فالأدب مع الله بالاقتداء ب آدابه و آداب نبيه و أهل بيته (ع) و هو العمل بطاعته و الحمد لله على السراء و الضراء و الصبر على البلاء و لهذا قال أيوب (ع) رب أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ فقد تأدب هنا من وجهين أحدهما إنه لم يقل إنك أمستني بالضر و الآخر لم يقل ارحمني بل عرض تعريضا فقال وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ و إنما فعل ذلك حفظا لمرتبة الصبر و كذا قال إبراهيم وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ و لم يقل إذا مرضتني حفظا للأدب و قال أيوب (ع) في موضع آخر أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْب وَ عَذاب أشار بذلك إلى الشيطان لأنه كان يغري الناس فيؤذونه و كل ذلك تأدب منهم مع الله تعالى في مخاطبتهم و قوم آخرون افتروا عليه سبحانه و نسبوا إليه من القبيح ما نزهوا عنه آباءهم و أمهاتهم و قالوا

[162]

كلما في الوجود من كفر و ظلم و فساد و قتل و غضب فمنه قضاء و إرادة و هذا باطل لأنه تعالى يقول وَ اللّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ و يقولون إنه سبحانه يأمر بما لا يريد و ينهى عما يريد و إنه أمر قوما بالإيمان و أراد منهم الكفر و هو قوله تعالى يقول وَ لا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ و قيل لأحدهم إنك تأمر بما لا تريد و تنهى عما لا تكره و كذلك أبوك و أمك لغار من ذلك و غضب و قال لقائله إنك قد نسبتني إلى السفه و الجنون و الجهل فسبحانه ما أحلمه و أكرمه و لو لا حلمه و رحمته لأحل بالأرض النقمة غضبا على القائل لذلك و الراضي به و إن الله سبحانه لم يعص مغلوبا و لم يطع مكرها و إنما أمر الله سبحانه تخييرا و نهى تحذيرا و أقدر على الحالين.

و قد قال سبحانه وَ هَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ يعني عرفناه الطريقين الخير و الشر و أمر سبحانه بالخير و نهى عن الشر كما قال سبحانه وَ أَمّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى و قال سبحانه يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً و ما كان يأمر بالدخول في باب ثم يغلقه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فاعتبروا و تفكروا و دعوا اتباع الهوى فهو مردي لصاحبه و مهلك له فسبحانه و تعالى كيف يجبر عباده على الكفر ثم يعذبهم عليه و على الزناء و السرقة و القذف للمحصنات و يأمرهم بحدهم أ فمن العدل و الحكمة هذا أم لا خبرونا هداكم الله تعالى و لا شك أن هذه مكيدة من الشيطان عظيمة منتجة لارتكاب كل قبيح و ضلال .

و قال أمير المؤمنين (ع) أدلك على الطريق و ألزم عليك المضيق إن هذا بالحكمة لا يليق و قال (ع) أ يأمر بالعدل و يخالفه و ينهى عن المنكر و يؤالفه لقد افترى عليه من بهذا وصفه و قال (ع) إذا كان الوزر في الأصل محتوما كان المأخوذ فيه بالقصاص مظلوما و قال (ع) ما استغفرته عليه فهو منك و ما حمدته عليه فهو منه و قال تعالى ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَة فَمِنَ اللّهِ وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَة فَمِنْ نَفْسِكَ و هذه الأقوال أجوبة لمن سأله عن القضاء و القدر من العلماء .

و أما جواب الحسن بن علي (ع) لما كتب إليه الحسن البصري يسأله عن

[163]

القضاء و القدر فإنه قال (ع) من لم يؤمن بالقدر خيره و شره فقد فجر و من حمل المعاصي على الله فقد كفر إن الله سبحانه لا يطاع بإكراه و لا يعصى بغلبة و لا أهمل العباد من الملكة بل هو المالك لما ملكهم القادر على ما أقدرهم فإن عملوا بالطاعة لم يكن الله تعالى لهم عنها صادا و لا منها مانعا و إن عملوا بالمعصية فشاء أن يحول بينهم و بينها فعل و إن لم يفعل فليس هو حملهم عليها إجبارا و لا ألزمهم بها إكراها بل له الحجة عليهم إن عرفهم و جعل لهم السبيل إلى فعل ما دعاهم إليه و ترك ما نهاهم عنه و لله الحجة البالغة على جميع خلقه و السلام .

و قال مصنف هذا الكتاب ره و الأدب أيضا التفقه في الدين و علوم اليقين و ثلاثة أشياء هي رأس الأدب مجانبة الريب و السلامة من العيب و الإيمان بالغيب و الأدب كل الأدب أن لا يراك الله حيث نهاك و لا يفقدك حيث أمرك. و قال شخص إن الجنيد قال إذا صحت المودة سقطت شروط الأدب قلت هذا غلط لترك الأدب بل إذا صحت المحبة و خلصت تأكدت على المحب ملازمة الأدب و الدليل على ذلك أن رسول الله (ص) كان أكثر الناس محبة لله تعالى و أعظمهم أدبا .

و روي أن الخليل بن أحمد قال لولده يا بني تعلم الأدب فإنه يقومك و يسددك صغيرا و يعظمك كبيرا و روي أن صبيا كان له سبع سنين وقف على الحجاج فقال أيها الأمير اعلم أن أبي مات و أني حمل في بطن أمي و ماتت أمي و أنا رضيع و كفلني الغرباء و خلف لي ضيعة أتمون بها و أستند إليها و قد غصبها رجل من عمالك لا يخاف الله و لا يخشى من سطوة الأمير و عليك بردع الظالم و رد المظالم لتجد ذلك يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْس ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْر مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوء تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً فأمر برد ضيعته و صرف الأدباء من بابه و قال الأدب أدب الله يؤتيه من يشاء و على العاقل أن يتأدب مع العالم الذي يعلمه .

و روى عبد الله بن الحسين بن علي (ع) عن أبيه عن جده أنه قال إن من حق المعلم على المتعلم أن لا يكثر السؤال عليه و لا يسبقه في الجواب و لا يلح عليه إذا

[164]

أعرض و لا يأخذ ثوبه إذا كسل و لا يشير إليه بيده و لا يخزره بعينه و لا يشاور في مجلسه و لا يطلب عوراته و أن لا يقول فلان خلاف قولك و لا يفشي له سرا و لا يغتاب أحدا عنده و أن يحفظه شاهدا و غائبا و يعم القوم بالسلام و يخصه بالتحية و يجلس بين يديه و إن كان له حاجة سبق القوم إلى خدمته و لا يمل من طول صحبته فإنما هو مثل النخل ينتظر متى يسقط عليك منها منفعة و العالم بمنزله الصائم القائم المجاهد في سبيل الله و إذا مات العالم انثلم في الإسلام ثلمة لا تنسد إلى يوم القيامة و إن طالب العلم ليشيعه سبعون ألف ملك من مقربي السماء و عن رسول الله (ص) من أعان طالب العلم فقد أحب الأنبياء و كان معهم و من أبغض طالب العلم فقد أبغض الأنبياء فجزاؤه جهنم و إن لطالب العلم شفاعة كشفاعة الأنبياء و له في جنة الفردوس ألف قصر من ذهب و في جنة الخلد مائة ألف مدينة من نور و في جنة المأوى ثمانون درجة من ياقوتة حمراء و له بكل درهم أنفقه في طلب العلم حورا بعدد النجوم و عدد الملائكة و من صافح طالب العلم حرم الله جسده على النار و إن طالب العلم إذا مات غفر الله له و لمن حضر جنازته و قالوا لمالك بن دينار يا أبا يحيى رب طالب علم للدنيا قال ويحكم ليس يقال له طالب العلم و لكن يقال له طالب الدنيا ألا و إن ذهاب العلم ذهاب العلماء و من أذى طالب العلم لعنته الملائكة و أتى الله يوم القيامة و هو عليه غضبان ألا و من أعان طالب العلم بدرهم بشرته الملائكة عند قبض روحه بالجنة و فتح الله له بابا من نور في قبره .

و قال النبي (ص) سألت جبرائيل (ع) فقلت العلماء أكرم عند الله أم الشهداء فقال العالم الواحد أكرم على الله من ألف شهيد فإن اقتداء العلماء بالأنبياء و اقتداء الشهداء بالعلماء .

و قال (ع) من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فلينظر إلى طالب العلم، و قال (ع) طالب العلم أفضل عند الله من المجاهدين و المرابطين و الحجاج و العمار و المعتكفين و المجاورين و استغفرت له الشجر و الرياح و السحاب و البحار و النجوم و النبات و كل شيء طلعت عليه الشمس .

[165]

و عن الرضا (ع) عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه أمير المؤمنين صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين قال سمعت رسول الله (ص) يقول طلب العلم فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم من مظانه و اقتبسوه من أهله فإن تعلمه لله حسنة و طلبه عبادة و المذاكرة فيه تسبيح و العمل به جهاد و تعلمه لمن لا يعلمه صدقة و بذله لأهله قربة إلى الله تعالى لأنه معالم الحلال و الحرام و منار سبيل الجنة و المونس في الوحشة و الصاحب في الغربة و الوحدة و المحدث في الخلوة و الدليل على السراء و الضراء و السلاح على الأعداء و التزين عند الأخلاء يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة تقتبس آثارهم و يهتدى بأفعالهم و ينتهى إلى رأيهم و ترغب الملائكة في خلتهم و بأجنحتها تمسحهم و في صلاتها تبارك عليهم و يستغفر لهم كل رطب و يابس حتى حيتان البحر و هوامه و سباع البر و أنعامه إن العلم حياة القلوب من الجهل و ضياء الأبصار من الظلمة و قوة الأبدان من الضعف يبلغ بالعبد منازل الأخيار و مجالس الأبرار و الدرجات العلى في الآخرة و الأولى الفكر فيه يعدل بالصيام و مدارسته بالقيام به يطاع الرب و يعبد و به توصل الأرحام و يعرف الحلال و الحرام العلم أمام العمل و العمل تابعه و يلهمه السعداء و يحرمه الأشقياء فطوبى لمن لم يحرم الله منه حظه .

و عن رسول الله (ص) العالم بين الجهال كالحي بين الأموات و أن طالب العلم يستغفر له كل شيء فاطلبوا العلم فإنه السبب بينكم و بين الله عز و جل و أن طلب العلم فريضة على كل مسلم .

و قال (ع) إذا كان يوم القيامة يوزن مداد العلماء مع دماء الشهداء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء .

و قال (ع) ما عمل رجل عملا بعد إقامة الفرائض خير من إصلاح بين الناس يقول خيرا و يتمنى خيرا .

و قال (ع) عليكم بسنتي فعمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة .

و قال (ع) من احتقر صاحب العلم فقد احتقرني و من احتقرني فهو كافر

و قال (ع) سألت جبرائيل عن صاحب العلم فقال هم سراج أمتك في الدنيا و الآخرة طوبى لمن عرفهم و أحبهم و الويل لمن أنكر معرفتهم و أبغضهم و من أبغضهم شهدنا أنه في النار و من أحبهم شهدنا أنه في الجنة .

و عن أمير المؤمنين (ع) قال إذا جلس المتعلم بين يدي العالم فتح الله له سبعين بابا من الرحمة و لا يقوم من عنده إلا كيوم ولدته أمه و أعطاه بكل حديث عبادة سنة و يبني بكل ورقة مدينة مثل الدنيا عشر مرات .

و قال (ع) جلوس ساعة عند العلماء أحب إلى الله تعالى من عبادة سنة لا يعصى الله فيها طرفة عين و النظر إلى العالم أحب إلى الله تعالى من اعتكاف سنة في البيت الحرام و زيارة العلماء أحب إلى الله تعالى من سبعين حجة و عمرة و أفضل من سبعين طوافا حول البيت و رفع الله له سبعين درجة و يكتب له بكل حرف حجة مقبولة و أنزل عليهم الرحمة و شهدت الملائكة له بأنه قد وجبت له الجنة و قال (ع) إذا كان يوم القيامة جمع الله العلماء فيقول لهم عبادي إني أريد بكم الخير الكثير بعد ما أنتم تحملون الشدة من قبلي و كرامتي و تعبدني الناس بكم فأبشروا فإنكم أحبائي و أفضل خلقي بعد أنبيائي فأبشروا فإني قد غفرت لكم ذنوبكم و قبلت أعمالكم و لكم في الناس شفاعة مثل شفاعة أنبيائي و إني منكم راض و لا أهتك ستوركم و لا أفضحكم في هذا الجمع.

و قال النبي (ص) طوبى للعالم و المتعلم و العامل به فقال رجل يا رسول الله هذا للعالم فما للمتعلم فقال العالم و المتعلم في الأجر سواء.

و قال (ص) كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا لهم و لا تكن الخامس فتهلك فإن أهل العلم سادة و مصاحبتهم زيادة و مصافحتهم زيادة .

الباب الخمسون في توحيد الله تعالى

قال أمير المؤمنين (ع) إن القول بأن الله تعالى واحد على أربعة أقسام فوجهان منها يجوزان على الله تعالى و وجهان لا يجوزان عليه فأما اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به الإعداد فهذا ما لا يجوز على الله

[167]

تعالى لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد أ ما ترى أن الله تعالى كفر من قال ثالث ثلاثة و كذا قول القائل واحد يريد به النوع من الجنس فهذا لا يجوز عليه لأنه تشبيه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا و أما الوجهان اللذان يثبتان له فقول القائل هو واحد يعني ليس في الأشياء له مثيل و لا شبيه و كذا قول القائل بأنه واحد بمعنى أنه أحدي المعنى أي لا ينقسم في عقل و لا وجود و لا وهم .

و قال رجل للصادق جعفر بن محمد (ع) أي شيء تعبد فقال الله فقال هل رأيته فقال لم تره العيون بمشاهدة العيان و لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان لا يعرف بالقياس و لا يشبه بالناس موصوف بالآيات معروف بالعلامات لا يجور في حكمه ذلك الله لا إله إلا هو ربي عليه توكلت و إليه أنيب .

و قال له رجل يا أبا عبد الله أخبرني عن الله متى كان فقال له ويلك أخبرني أنت عن الله متى لم يكن حتى أخبرك متى كان .

و قال له رجل آخر لم يزل الله تعالى يعلم و يسمع و يبصر فقال ذات الله تعالى علامة سميعة بصيرة .

و سأله رجل فقال قوله تعالى وَ مَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوى ما هذا الغضب فقال العقاب يا هذا من زعم أن الله تعالى زال من شيء إلى شيء فقد وصفه بصفة المخلوق و أن الله تعالى لا يغيره شيء و لا يشبهه شيء و كلما وقع في الوهم فهو مخالفه .

و قال ذعلب اليماني لأمير المؤمنين (ع) هل رأيت ربك فقال له أ فأعبد من لا أراه فقال فكيف تراه فقال لا تدركه العيون بمشاهدة العيان و لكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان قريب من الأشياء من غير ملامسة بعيد منها من غير مباينة متكلم بلا روية مريد بلا همة صانع بلا جارحة لطيف لا يوصف بالخفا كبير لا يوصف بالحقا بصير لا يوصف بالحاسة رحيم لا يوصف بالرقة تعنو الوجوه لعظمته و توجل القلوب من مخافته الذي لا يسبق له حال حالا فيكون أولا قبل أن يكون آخرا و يكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا كل يسمى بالوحدة غيره قليل و كل عزيز غيره ذليل و كل قوي غيره ضعيف و كل

[168]

مالك غيره مملوك و كل عالم غيره متعلم و كل قادر غيره عاجز و كل سميع غيره أصم عن لطيف الأصوات و يصمه كبيرها و يذهب عنه ما بعد منها و كل بصير غيره يعمى عن خفي الألوان و لطيف الأجسام و كل ظاهر غيره باطن و كل باطن غيره ظاهر لم يخلق ما خلقه لتسديد سلطان و لا تخوف من عواقب زمان و لا استعانة على يد مشاور و لا شريك مكاثر و لا ضد منافر و لكن خلائق مربوبون و عباد داخرون لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كائن و لا ينأى عنها فيقال هو منها كائن لم يؤده خلف ما خلق و لا تدبير ما برأ و ذرأ و لا وقف به عجز عما خلق و لا ولجت عليه شبهة فيما قدر و قضى بل قضاؤه متقن و علمه محكم و أمره مبرم المأمول مع النقم المرهوب من النعم .

و قال له أخبرنا يا أمير المؤمنين بما عرفت ربك قال بفسخ العزم و نقض الهمم لما هممت فحال بيني و بين همي و عزمت فخالف القضاء عزمي علمت أن المدبر لي غيري قال فيما ذا شكرت نعماه قال نظرت إلى بلاء قد صرفه عني و أبلى به غيري و إحسان شملني به فعلمت أنه قد أحسن إلي و أنعم علي فشكرته قال فما ذا أحببت لقاءه قال رأيته قد اختار لي دين ملائكته و رسله فعلمت أنه قد أكرمني و اختار لي دار كرامته فاشتقت إلى لقائه .

و قال (ع) من عبد الله بالوهم أن يكون صورة أو جسما فقد كفر و من عبد الاسم دون المعنى فقد عبد غير الله و من عبد المعنى دون الاسم فقد دل على غائب و من عبد الاسم و المعنى فقد أشرك و عبد اثنين و من عبد المعنى بوقوع الاسم عليه فعقد به قلبه و نطق به لسانه في سرائره و علانيته فذلك ديني و دين آبائي (ع) .

و بالإسناد عن الصادق (ع) أن رجلا سأله فقال يا ابن رسول الله دلني على الله ما هو فقد أكثر على المجادلون و حيروني فقال له يا عبد الله هل ركبت سفينة قط قال نعم قال فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك و لا سباحة تغنيك قال نعم قال فهل تعلق قلبك هناك أن شيئا من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك قال نعم قال الصادق (ع) فذلك

[169]

الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي و على الإغاثة حيث لا مغيث .

و جاء في تفسير قوله تعالى وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ أي ما عرفوه حق معرفته و لا عظموه حق عظمته و لا عبدوه حق عبادته .

و قال أمير المؤمنين (ع) في وصيته لولده الحسن إن ربك أعظم أن يثبت ربوبيته بإحاطة سمع أو بصر و كان (ع) إذا بالغ في التحميد يقول سبحانه من إذا تناهت العقول في وصفه كانت حائرة دون الوصول إليه و تبارك من إذا عرفت الفطن في تكيفه لم يكن لها طريق إليه غير الدلالة عليه و كفى قوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ .

قال مصنف الكتاب ره دواء القلوب في سبع أشياء التفكر في طرق السلامة و تدبر أدلة العقل و ترك الهوى و قراءة القرآن المجيد بالتدبر و خلاء البطن و قيام الليل و التضرع في السحر و مجالسة العلماء و الصالحين و من ألزم من نفسه آداب الكتاب العزيز و العلم بمعانيه و العمل به و بسنة نبينا محمد (ص) و سنن الأئمة من أهل بيته (ع) نور الله قلبه بنور الإيمان و مكن له بالبرهان و جعل وجهه و فعله و قوله شاهد الحق كما قال بعضهم شعرا :

و قل من ضمنت خيرا طويته إلا و في وجهه للخير عنوان

قال النبي (ص) إن من دعامة البيت أساسه و دعامة الدين المعرفة بالله تعالى و اليقين بتوحيده و العقل القامع فقالوا و ما القامع يا رسول الله قال الكف عن المعاصي و الحرص على طاعة الله و الشكر على جميل إحسانه و إنعامه و حسن بلائه .

و من علامات المعرفة بالله شدة الخوف منه و الهيبة له قال تعالى إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ و ذلك لمشاهدتهم له في أسرار قلوبهم و معرفتهم أنه تعالى مشاهد لهم كما قال تعالى وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فكلما ازدادت معرفة العبد لربه ازدادت مخافته منه و مهابته له و كذلك أعرف أعوان السلطان به أهيبهم له و أخوفهم منه و مثال ذلك مثل رجلين دخلا دارا عرفا أحدهما أن الملك واقف على بابها يشرف عليه فأحسن أدبه و لم يحدث أمرا و مستنكرا

[170]

و الآخر لم يعرف إشرافه عليه فأساء أدبه و فعل ما لا يليق أن يفعل بحضرة الملك و كذا العارف بالله فإنه مشاهده في كل حالاته و أسراره فهو معه متأدب و منه خائف و له مراقب و الجاهل بالله خارج عن هذه الحالة راكب للجهالة و لهذا تقول إن كان العاصي يعتقد حين يواقع المعصية أن الله تعالى يراه فإنه جاهل حيث جعله أهون الناظرين و إن كان يعتقد أنه لا يراه فإنه لكافر فكلا الأمرين خطر عظيم و إثم جسيم و لا شك أن المعرفة توجب الخوف و الحياء و من علامات العارف أن يكون خاطره فارغا من علق الدنيا و مهامها مشغولا بأخطار الآخرة و أهوالها و العارف لا يأسف على شيء إلا على ما فات من ذكر الله فإنه أبدا لا يرى إلا الله فلا يأسف على شيء مع الله لأنه يرى ما سوى الله بعين الفناء و الزوال فكيف ينظر إلى شيء فان زائل كما قال تعالى كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلّا وَجْهَهُ يعني إلا ذاته سبحانه و العارف لا يخرج من الدنيا متأسفا إلا على قلة بكائه على ذنبه و تقصيره في ثنائه على ربه و لكل شيء

ثمرة و ثمرة المعرفة الهيبة و المخافة و الأنس و لكل شيء عقوبة و عقوبة العارف فتوره عن الذكر و غفلته عن الفكر و من علامات المعرفة شدة المحبة لله و إذا اشتدت محبة العارف بالله كان الله له سمعا و بصرا و يدا و مؤيدا .

و قال رسول الله (ص) إن الله إذا أحب عبدا قال لجبرائيل إني أحب فلانا فأحبوه و يوضع له القبول في الأرض و المحبة حالة شريفة كما أثنى الله تعالى بها على قوم فقال فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ و محبة الله للعبيد سبوغ نعمه عليهم في الدنيا مع طاعتهم له و إثباته لهم في الآخرة فأما إنعامه على الكفار و العصاة فإنما هو إملاء لهم و استدراج لم يصدر عن محبته كما قال تعالى وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً و قال سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ و قال تعالى أَ يَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مال وَ بَنِينَ نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْراتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ.

و محبة الله تعالى لأهل طاعته إرادة نفعهم و ثوابهم و تسمى هذه المحبة رحمة منه و ثناء على العبيد كما أن ذمه لمن غضب عليه بغض له و لقد ذهب المحبون

[171]

لله تعالى بشرف الدنيا و الآخرة لقول النبي (ص) المرء مع من أحب و أي منزلة أشرف درجة و أعلى ممن يكون مع الله و ليس بصادق من ادعى محبة الله و لم يحفظ حدوده و من علامات محبة العبد لله تعالى أن لا ينسى ذكره و ذلك أن من أحب حبيبا توله بذكره يقظة و مناما و لقد أحسن من قال شعرا :

عجبت لمن يقول ذكرت ربي *** و هل أنسى فأذكر إن نسيت

شربت الحب كأسا بعد كأس *** فما نفذ الشراب و ما رويت

و إذا تردد العبد بين الشوق إلى لقاء الله تعالى و بين البقاء رغبة في عبادته يوكل الأمر إلى الله و يقول يا رب اختر لي أحب الأمرين إليك.

و روي أن داود (ع) خرج مصحرا منفردا فأوحى الله إليه يا داود ما لي أراك وحدانيا فقال إلهي اشتد الشوق مني إلى لقائك فحال بيني و بينك خلقك فأوحى الله إليه ارجع إليهم فإنك إن تأتيني بعبد آبق أثبتك في اللوح جميلا .

و ينبغي أن يتمنى الإنسان الموت في حالة الراحة و النعمة و العافية كيوسف (ع) لما ألقي في الجب لم يقل توفني و لا في السجن قال توفني فلما دخل عليه أبواه و خروا له سجدا و كان أعظم مسرة بلقاء الأحبة و تمام الملك و كمال النعمة قال توفني مسلما.

و روي أن شعيب (ع) بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره فأوحى الله إليه يا شعيب إن كان هذا البكاء لأجل الجنة فقد أبحتها لك و إن كان من أجل النار فقد حرمتها عليك فقال لا بل شوقا إليك فقال الله تعالى لأجل هذا أخدمتك نبيي و كليمي موسى عشر سنين و من اشتاق إلى الله اشتاق إليه كل شيء.

و روي أن الله تعالى أنزل في بعض كتبه عبدي أنا و حقي لك محب فبحقي عليك كن لي محبا و المحبة تهيج الشوق إلى لقاء الله تعالى و تبعث على العمل

[172]

الصالح لقوله تعالى فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحاً وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً.

و مما يستدل به على معرفة الله تعالى أيضا أنه لا بد للعالم من صانع لأنه لا يجوز أن تجتمع ألواح السفينة و مساميرها و غيرها مع بعضها ببعض بغير جامع و لا مؤلف و لا تعبر الناس بغير ملاح و لا معبر و لا مدبر لها و لا تمتلي السفينة من نفسها متاعا ثم تصعد و تنحدر في البلاد من غير مدبر لها و إذا كان ذلك مستحيلا في العقول كان ذلك في وجود هذا العالم العظيم أشد امتناعا و ما رأينا أيضا دولابا يدور بغير مدير و لا رحى تطحن بغير طاحن و لا سراجا بغير مسرج فأي سراج أعظم من نور الشمس و القمر يضيئان لأهل السماوات و الأرض و أهل المشارق و المغارب و أي دولاب أعظم من هذه الأفلاك التي تقطع في اليوم الواحد و الليلة الواحدة ألوفا من السنين شمسها و قمرها و نجومها تراها عيانا من غير مخبر يخبرك عنها كما قال تعالى رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَد تَرَوْنَها و أشار بذلك إلى أنها آية عظيمة تدل على عظم صانعها و محكم تدبيره و واسع قدرته و قال تعالى أَ فَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَ إِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَ إِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ و قال تعالى إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ لَ آيات لِأُولِي الْأَلْبابِ.

و الآيات في ذلك كثيرة و لا بد لها من صانع و مدبر حكيم فتفكروا و اعتبروا تجدوا دلالات توحيده أضوأ من الشمس و أنور من القمر و كل من وصفه بتحديد فهو ملحد و من أشار إليه في جهة فهو كافر و من تصوره فهو ضال و من شبهه فهو جاحد كلما ميزتموه بأوهامكم و أدركتموه ممثلا في نفوسكم و مصورا في أذهانكم فهو محدث مصنوع مثلكم فالعارف به فهو الموحد له برفع هذه الأسباب المستحيلة عليه.

و مما يستدل به على توحيد الله و عظم قدرته أمر الفيل و أصحابه الذين أخبر الله تعالى عنهم و ما أصابهم مما ليس لأحد فيه حيلة بوجه من الوجوه و لا إلى إنكاره سبيل لاشتهاره فإنه لا يجوز أن يقول النبي (ص) لقريش في وجوههم

[173]

مع كثرة عنادهم و ردهم عليه أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ و يقص عليهم قصصهم و ما نزل بهم من العذاب إلا بعد أن رأوها و شاهدها كثير منهم و ليس من الطبائع و العادات التي تحتج بها الملاحدة ما يوجب قصة أصحاب الفيل و لا علم في العادات قبلها و لا وقع في الآثار نظيرها و هو أن يجيء طير كثير و في منقار كل واحد منها حجر ثم يرسل على رأس كل واحد من مائة ألف فيخرج من دبره حتى يعود كعصف مأكول و كذلك كان في كل رجل من أرجل الطير حجر يلقيه على رأس كل واحد من أصحاب الفيل فيخرج من دبره فيهلكهم جميعا دون أهل الأرض و هذا لا يكون إلا من صانع حكيم عليم و ليس ذلك إلا رب العالمين جل جلاله و تقدست أسماؤه و لا إله إلا هو الرحمن الرحيم .

الباب الحادي و الخمسون في أخبار عن النبي (ص) و الأئمة الأطهار

من كتاب ورام عن جعفر بن محمد (ع) قال لأهل الجنة أربع علامات وجه منبسط و لسان فصيح لطيف و قلب رحيم و يد معطية .

و عنه (ع) يقول المؤمن أكرم على الله أن يمر عليه أربعون يوما لا يمحصه الله فيها من ذنوبه و إن الخدش و العثرة و انقطاع الشسع و اختلاج العين و أشباه ذلك ليمحص به ولينا من ذنوبه و إن يغتم لا يدري ما وجهه فأما الحمى فإن أبي حدثني عن آبائه عن رسول الله (ص) قال حمى ليلة كفارة سنة .

و قال رسول الله (ص) السلطان العادل ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم فمن عدل كان له الأجر و على الرعية الشكر و من جار كان عليه الوزر و على الرعية الصبر حتى يأتيهم الأمر .

و عنه (ع) أن في جهنم واديا يستغيث منه أهل النار كل يوم سبعين ألف مرة و في ذلك الوادي بيت من النار و في ذلك البيت جب من النار و في ذلك الجب تابوت من النار و في ذلك التابوت حية لها ألف ناب كل ناب ألف ذراع قال أنس قلت يا رسول الله لمن يكون هذا العذاب قال لشارب الخمر من أهل القرآن و تارك الصلاة

[174]

و عن النبي (ص) قال جاءني جبرائيل متغير اللون فقلت يا جبرائيل ما لي أراك متغير اللون قال اطلعت في النار فرأيت واديا في جهنم يغلي فقلت يا مالك لمن هذا فقال لثلاث نفر للمحتكرين و المدمنين على الخمر و القوادين .

و عن رسول الله (ص) إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين أعدائي فيقول جبرائيل يا رب أعداؤك كثير فأي أعداؤك فيقول عز و جل أين أصحاب الخمر أين الذين كانوا يبيتون سكارى أين الذين كانوا يستخفون فروج المحارم فيقرنهم مع الشياطين .

و قال رسول الله (ص) أيما امرأة رضيت بتزويج فاسق و هي منافقة حبست في النار و إذا ماتت فتح في قبرها سبعون بابا من العذاب و إن قالت لا إله إلا الله لعنها كل ملك بين السماء و الأرض و غضب الله عليها في الدنيا و الآخرة و كتب الله عليها في كل يوم و ليلة سبعين خطيئة .

و قال (ص) من زوج كريمته بفاسق نزل عليه كل يوم ألف لعنة و لا يصعد له عمل إلى السماء و لا يستجاب له دعاؤه و لا يقبل منه صرف و لا عدل .

و قال (ص) أيما امرأة وهبت صداقها لزوجها فلها بكل مثقال ذهب كأجر عتق رقبة .

و قال (ص) أيما امرأة كتمت سر زوجها فلم تطلع عليه أحدا فهي في درجات الحور العين فإن كان في غير طاعة الله فلا يحل لها أن تكتم .

و قال رسول الله (ص) من شهد نكاح امرأة مسلمة كان خائضا في رحمة الله تعالى و له ثواب ألف شهيد و كان له بكل خطوة يخطوها ثواب نبي و كتب الله تعالى له بكل كلمة يتكلمها عبادة سنة و لا يرجع إلا مغفورا له و من سعى فيما بينهما و كان دليلا أعطاه الله

بكل شعرة على بدنه مدينة في الجنة و زوجه ألف حوراء و كأنما اشترى أسراء أمة محمد (ص) و أعتقهم و إن مات ذاهبا أو جائيا مات شهيدا .

و قال (ع) لا تدخل الملائكة بيتا فيه خمر أو دف أو طنبور أو نرد و لا

[175]

يستجاب دعاؤهم و يرفع الله عنهم البركة .

و قال (ع) أيما امرأة أطاعت زوجها و هو شارب الخمر كان لها من الخطايا بعدد نجوم السماء و كل مولود يلد منه فهو نجس و لا يقبل الله تعالى منها صرفا و لا عدلا حتى يموت زوجها أو تخلع عنه نفسها .

و قال رسول الله (ص) المرأة الصالحة خير من ألف رجل غير صالح و أيما امرأة خدمت زوجها سبعة أيام غلق الله عنها سبعة أبواب النار و فتح لها ثمانية أبواب الجنة تدخل من أينما شاءت .

و قال (ع) من ضرب امرأة بغير حق فأنا خصمه يوم القيامة لا تضربوا نساءكم فمن ضربهم بغير حق فقد عصى الله و رسوله .

و قال (ع) من تزوج امرأة لجمالها جعل الله جمالها وبالا عليه .

و قال (ع) ما من امرأة تسقي زوجها شربة ماء إلا كان خيرا لها من سنة صيام نهارها و قيام ليلها و بنى الله لها بكل شربة تسقي زوجها مدينة في الجنة و غفرت لها ستين خطيئة .

و قال (ع) ثلاث من النساء يرفع الله عنهن عذاب القبر و يكون محشرهن مع فاطمة بنت محمد (ص) امرأة صبرت على غيرة زوجها و امرأة صبرت على سوء خلق زوجها و امرأة وهبت صداقها لزوجها يعطي الله تعالى لكل واحدة منهن ثواب ألف شهيد و يكتب لكل واحد منهن عبادة سنة .

و عن أمير المؤمنين (ع) قال قال رسول الله (ص) من رد عادية ماء أو عادية نار فله الجنة البتة .

و قال (ع) ما من أحد مر بمقبرة إلا و أهل المقبرة يقولون يا غافل لو علمت ما علمنا لذاب لحمك عن جسمك .

و قال (ع) من ضحك على جنازة أهانه الله تعالى يوم القيامة على رءوس الخلائق و لا يستجاب دعاؤه و من ضحك في المقبرة رجع عليه من الوزر مثل جبل أحد و من ترحم عليهم نجا من النار .

و قال (ع) إذا تصدق الرجل بنية الميت أمر الله تعالى جبرائيل أن يحمل

[176]

على قبره سبعين ألف ملك في يد كل ملك طبق من نور فيحملون إلى قبره و يقولون السلام عليك يا ولي الله هذه هدية فلان ابن فلان إليك فيتلألأ قبره و أعطاه الله ألف مدينة في الجنة و زوجه ألف حوراء و ألبسه ألف حلة و قضى له ألف حاجة .

و قال (ع) إذا قرأ المؤمن آية الكرسي و جعل ثواب قراءته لأهل القبور جعل الله تعالى من كل حرف ملكا يسبح له إلى يوم القيامة .

و قال (ع) إذا مات شارب الخمر عرج بروحه إلى السماء السابعة و معه الحفظة يقولون ربنا عبدك فلان مات و هو سكران فيقول الله تعالى ارجعا إلى قبره و العناه إلى يوم القيامة .

و قال (ع) إذا مات ولي الله عرج الله بروحه إلى السماء السابعة و الحفظة معه فيقولون ربنا عبدك فلان مات فيقول الله ارجعا إلى قبره و استغفرا له إلى يوم القيامة .

و قال (ع) من مات و ميراثه الدفاتر و المحابر وجبت له الجنة .

و قال (ع) لا تسبوا الدنيا فنعم المطية للمؤمن عليها يبلغ الخير و بها ينجو من الشر إنه إذا قال عبد لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه .

و عن أبي عبد الله (ع) قال من زنى بامرأة خرج من الإيمان و من شرب الخمر خرج من الإيمان و من أفطر يوما من شهر رمضان خرج من الإيمان .

و عن موسى بن جعفر (ع) قال دخل عمرو بن عبيد على أبي عبد الله (ع) فلما سلم عليه و جلس تلا هذه الآية الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَواحِشَ و أمسك فقال له أبو عبد الله ما أسكتك فقال أحب أن أعرف الكبائر من كتاب الله عز و جل فقال نعم يا عمرو أكبر الكبائر الشرك بالله عز و جل قال الله تعالى إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ و بعده اليأس من روح الله عز و جل قال الله عز و جل وَ لا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكافِرُونَ ثم الأمن من مكر الله عز و جل قال الله تعالى فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ يعني يجازيهم بمكرهم له و منها عقوق الوالدين لأن الله تعالى جعل العاق جبارا شقيا و قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق

قال تعالى فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً و قذف المحصنات قال الله تعالى لُعِنُوا فِي الدُّنْيا وَ الْ آخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ و أكل مال اليتيم قال تعالى إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيراً و الفرار من الزحف قال تعالى وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذ دُبُرَهُ إِلّا مُتَحَرِّفاً لِقِتال أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَة فَقَدْ باءَ بِغَضَب مِنَ اللَّهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ و أكل الربا قال تعالى الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلّا كَما يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ و السحر قال تعالى وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ ما لَهُ فِي الْ آخِرَةِ مِنْ خَلاق و الزناء قال الله تعالى وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً و اليمين الغموس الفاجرة قال الله تعالى الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ أَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلًا أُولئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الْ آخِرَةِ و الغلول قال تعالى وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِما غَلَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ و منع الزكاة المفروضة قال تعالى يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ و شهادة الزور و كتمان الشهادة قال تعالى وَ مَنْ يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ و شرب الخمر لأن الله تعالى نهى عنه كما نهى عن عبادة الأوثان و ترك الصلاة أو شيء مما فرض الله لأن رسول الله (ص) قال من ترك الصلاة متعمدا فقد برئ من ذمة الله و ذمة رسول

الله (ص) و نقض العهد و قطيعة الرحم قال تعالى أُولئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدّارِ قال فجزع عمرو و علا صراخه و بكاؤه و هو يقول هلك من قال برأيه و نازعكم في الفضل و العلم .

و قال رسول الله (ص) أول ما عصي به الله تعالى ست خصال حب الدنيا و حب الرئاسة و حب الراحة و حب النوم و حب النساء و حب الطعام .

و قال (ص) الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل و قال أبو عبد الله (ع) الغضب مفتاح كل شر و قال النبي (ص) من كف نفسه عن أعراض المسلمين أقاله الله يوم القيامة عثرته و من كف غضبه عن الناس كف الله تعالى

[178]

عنه عذاب يوم القيامة و قال (ع) إن في جهنم واديا للمتكبرين يقال له سعير فشكا إلى الله شدة حره و سأله أن يأذن له أن يتنفس فتنفس فأحرق جهنم .

و عن أبي جعفر (ع) قال كان علي بن الحسين (ع) يقول لولده اتقوا الكذب الصغير منه و الكبير في كل جد و هزل فإن الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير أ ما علمتم أن رسول الله (ص) قال لا يزال العبد يصدق حتى يكتبه الله عز و جل صادقا و لا يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كاذبا .

و عنه (ص) قال إن الكذب هو خراب الإيمان .

و عن أمير المؤمنين (ع) إنه قال لا تجد طعم الإيمان حتى تترك الكذب جده و هزله .

و قال عيسى (ع) من كثر كذبه ذهب بهاؤه .

و قال أمير المؤمنين (ع) ينبغي للرجل المؤمن أن يجتنب مواخاة الكذاب إنه لا يزال يكذب حتى يجيء بالصدق فلا يصدق .

و عن أبي عبد الله (ع) قال من لقي المسلمين بوجهين و لسانين جاء يوم القيامة و له لسانان من نار .

و عن أبي جعفر (ع) قال بئس العبد عبدا يكون ذا وجهين و ذا لسانين يطري أخاه شاهدا و يأكله غائبا إن أعطي حسده و إن ابتلي خذله قال الله تعالى يا عيسى ليكن لسانك في السر و العلانية لسانا واحدا و كذلك قلبك إني أحذرك لنفسك و كفى بي من خبير لا يصلح لسانان في فم واحد و لا سيفان في غمد واحد و لا قلبان في صدر واحد و كذلك الأذهان .

و عن أبي عبد الله (ع) قال لا يفترق رجلان على الهجران إلا استوجب أحدهما البراءة و اللعنة و ربما استوجب ذلك كلاهما و عنه يقول قال أبي (ع) قال رسول الله (ص) أيما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثا لا يصطلحان إلا كانا خارجين عن الإسلام و لم يكن بينهما ولاية و أيهما كان أسبق إلى كلام صاحبه كان السابق إلى الجنة يوم الحساب .

[179]

و عن أبي جعفر (ع) قال إن الشيطان يغري بين المؤمنين ما لم يرجع أحدهما عن ذنبه فإذا فعلوا ذلك استلقى على قفاه و قال فزت فرحم الله امرأ ألف بين وليين لنا يا معشر المؤمنين تألفوا و تعاطفوا .

و عن أبي عبد الله (ع) قال إذا كان يوم القيامة كشف غطاء من أغطية الجنة يجد ريحها من كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام إلا صنف واحد قلت من هم قال العاق لوالديه .

و قال (ع) أدنى العقوق أف و لو علم الله شيئا هو أهون منه لنهى عنه كما قال تعالى فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَ لا تَنْهَرْهُما وَ قُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيماً .

و قال (ع) من نظر إلى أبويه نظر ماقت و هما له ظالمان لم يقبل الله تعالى له صلاة .

و عن أبي جعفر (ع) قال قال رسول الله (ص) في كلام له إياكم و عقوق الوالدين فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف سنة و لا يجدها عاق و لا قاطع الرحم و لا شيخ زان .

و عن أبي جعفر (ع) قال قال رسول الله (ص) يقول الله تبارك و تعالى و عزتي و جلالي و كبريائي و نوري و عظمتي و علوي و ارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواه على أمري إلا شتت عليه أمره و لبست عليه دنياه و شغلت قلبه بها و لم أعطه منها إلا ما قدرت له و عزتي و جلالي و عظمتي و نوري و علوي و ارتفاع مكاني لا يؤثر عبد أمري على هواه إلا استحفظته ملائكتي و كفلت السماوات و الأرضين رزقه و كنت له من وراء تجارة كل تاجر و أتته الدنيا و هي راغمة .

و قال رسول الله (ص) من طلب مرضاة الناس بما يسخط الله عز و جل كان حامده من الناس ذاما و من آثر طاعة الله عز و جل بما يغضب الناس كفاه الله عز و جل عداوة كل عدو و حسد كل حاسد و بغي كل باغ و كان الله عز و جل له ناصرا و ظهيرا .

و عن أبي جعفر (ع) قال إن عليا (ع) باب فتحه الله من دخله كان مؤمنا و من خرج منه كان كافرا

و عن أبي عبد الله (ع) قال إن العبد ليذنب الذنب فيدخله الله عز و جل به الجنة قلت يا ابن رسول الله ليدخله الله عز و جل بالذنب الجنة قال نعم إنه ليذنب فلا يزال منه خائفا ماقتا لنفسه فيرحمه الله به و يدخله الجنة قال (ع) من أذنب ذنبا فعلم أن الله تعالى مطلع عليه إن شاء عذبه و إن شاء غفر له غفر له و إن لم يستغفر .

و عن عبد الله بن موسى بن جعفر عن أبيه (ع) قال سألته عن الملكين هل يعلمان الذنب إذا أراد العبد أن يعمله أو الحسنة فقال ريح الكنيف و ريح الطيب سواء قلت لا قال إن العبد إذا هم بالحسنة خرج نفسه طيب الريح فيقول صاحب اليمين لصاحب الشمال قف فإنه قد هم بالحسنة فإذا هو عملها كان لسانه و قلمه و ريقه مداده فأثبتها له و إذا هم بالسيئة خرج نفسه منتن الريح فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين قف فإنه قد هم بالسيئة فإذا هو فعلها كان لسانه و قلمه و ريقه مداده فأثبتها عليه في الدنيا و الآخرة .

و عن أبي عبد الله (ع) قال إذا تاب العبد توبة نصوحا لوجه الله فإن الله تعالى يستر عليه في الدنيا و الآخرة فقلت فكيف يستر الله عليه قال ينسي ملائكته ما كتبا عليه من الذنوب ثم يوحي الله إلى جوارحه اكتمي عليه ذنوبه و يوحي إلى بقاع الأرض اكتمي ما كان يعمل عليك من الذنوب فيلقى الله عز و جل حين يلقاه و ليس يشهد عليه شيء بشيء من الذنوب .

و عن أبي جعفر (ع) قال يا محمد بن مسلم ذنوب المسلم إذا تاب منها مغفورة له فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة و المغفرة أما و الله إنها ليست إلا لأهل الإيمان قلت فإن عاد بعد التوبة و الاستغفار للذنوب و عاد في التوبة فقال يا محمد بن مسلم أ ترى العبد المؤمن يندم على ذنبه و يستغفر الله عز و جل منه و يتوب ثم لا يقبل الله توبته قلت فإن فعل ذلك مرارا يذنب ثم يتوب و يستغفر فقال كلما عاد المؤمن بالاستغفار و التوبة عاد الله عليه بالمغفرة و إن الله غفور رحيم يقبل التوبة و يعفو عن السيئات و إياك أن تقنط المؤمنين من رحمة الله تعالى و عنه (ع) قال التائب من الذنب كمن لا ذنب له و المقيم

[181]

على الذنب و هو يستغفر كالمستهزئ .

قال الصادق (ع) من استغفر الله في كل يوم سبعين مرة غفر له سبعمائة ذنب و لا خير في عبد يذنب في كل يوم أكثر من سبعمائة ذنب و قال (ع) ما من مؤمن إلا و له ذنب يهجره زمانا ثم يلم به و ذلك قول الله تعالى إِلَّا اللَّمَمَ و سألته عن قول الله عز و جل الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَواحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ قال الفواحش الزناء و السرقة و اللمم رجل يلم بالذنب فيستغفر الله تعالى منه.

و عن بعض أصحابه قال صعد أمير المؤمنين (ع) المنبر بالكوفة فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أيها الناس إن الذنوب ثلاثة ثم أمسك فقال له رجل من أصحابه يا أمير المؤمنين قلت الذنوب ثلاثة ثم أمسكت فقال ما ذكرتها إلا و أنا أريد أن أفسرها و لكن عرض لي شيء حال بيني و بين الكلام نعم الذنوب ثلاثة فذنب مغفور و ذنب غير مغفور و ذنب يرجى لصاحبه و يخاف عليه قال يا أمير المؤمنين فبينها لنا فقال نعم أما الذنب المغفور فعبد عاقبه الله في الدنيا على ذنبه و الله تعالى أحلم و أكرم أن يعاقب عبده مرتين و أما الذنب الذي لا يغفر فظلم العباد بعضهم لبعض إن الله أقسم قسما على نفسه فقال و عزتي و جلالي لا يجوز لي ظلم ظالم و لو كفا بكف و لو مسحا بكف و لو نطحا بين القرناء إلى الجماء فيقتص العباد بعضهم من بعض حتى لا يبقى لأحد على أحد مظلمة فأما الذنب الثالث فذنب ستره الله على عبده و رزقه التوبة منه فأصبح خائفا من ذنبه راجيا لربه فنحن له كما هو لنفسه فيرجى له الرحمة .

و عن أبي جعفر (ع) قال إن الله عز و جل إذا كان من أمره أن يكرم عبدا و عليه ذنب ابتلاه بالسقم فإن لم يفعل ذلك به شدد عليه الموت ليكافيه بتلك الذنوب قال و إن كان من أمره أن يهين عبدا و له عنده حسنة صح بدنه و إن لم يفعل ذلك به وسع عليه رزقه و إن لم يفعل ذلك به هون عليه الموت فيكافيه بتلك الحسنة .

و عن أبي عبد الله (ع) قال إن العبد إذا كثرت ذنوبه و لم يكن عنده من العمل ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها و عنه (ع) قال قال رسول الله

[182]

ص إن الله تعالى يقول و عزتي و جلالي لا أخرج عبدا من الدنيا و أنا أريد أن أرحمه حتى أستوفي منه كل خطيئة عملها إما بسقم في جسده و إما بضيق في رزقه و إما بخوف في دنياه فإن بقيت عليه بقية شددت عليه عند الموت حتى يأتي و لا ذنب عليه فأدخله الجنة و عزتي و جلالي لا أخرج عبدا من الدنيا و أنا أريد أن أعذبه حتى أوفيه كل حسنة عملها إما بسعة في رزقه و إما بصحة في جسمه و إما بأمن في دنياه قال فإن بقي عليه بقية هونت عليه الموت حتى يأتي و لا حسنة له فأدخله النار .

و قال (ع) إذا أراد الله بعبد سوءا أمسك عليه ذنوبه حتى يوافي بها يوم القيامة و إذا أراد بعبد خيرا عجل عقوبته في الدنيا .

و قال رسول الله (ص) لا يزال الغم و الهم بالمؤمن حتى لا يدع له ذنبا و عن أبي الحسن (ع) قال ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فإن عمل حسنة استزاد الله عز و جل و إن عمل سيئة استغفر الله منها و تاب إليه و من كلام له لا خير في العيش إلا لرجلين رجل يزداد في كل يوم خيرا أو رجل يتدارك سيئة بالتوبة و أنى له بالتوبة و الله لو سجد حتى ينقطع عنقه ما يقبل الله ذلك منه إلا بولايتنا أهل البيت ألا و من عرف حقنا و رجا الثواب فينا و رضي بقوته و ستر عورته و دان بمحبتنا فهو آمن يوم القيامة .

و عن أبي جعفر (ع) قال ما أحسن الحسنات بعد السيئات و ما أقبح السيئات بعد الحسنات .

و عن أبي عبد الله (ع) قال إنكم في آجال منقوصة و أيام معدودة و الموت يأتي بغتة من زرع خيرا يحصد غبطة و من زرع شرا يحصد ندامة و لكل زارع ما زرع لا يسبق البطيء منكم حظه و لا يدرك حريص ما لم يقدر له من أعطي خيرا فالله أعطاه و من وقي شرا فالله وقاه و عنه (ع) قال جاء رجل إلى أبي ذر ره فقال له يا أبا ذر ما لنا نكره الموت قال لأنكم عمرتم الدنيا و أخربتم الآخرة فتكرهون أن تنتقلوا من عمران إلى خراب قال فكيف ترى قدومنا على الله عز و جل قال أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله

[183]

و أما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه قال فكيف ترى حالنا عند الله فقال اعرضوا أعمالكم على كتاب الله بقول الله إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيم وَ إِنَّ الْفُجّارَ لَفِي جَحِيم فقال الرجل أين رحمة الله فقال إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قال أبو عبد الله كتب رجل إلى أبي ذر يا أبا ذر أطرفني بشيء من العلم فكتب إليه أن العلم كثير و لكن إن قدرت أن لا تسيئ إلى من تحبه فافعل فقال هل رأيت أحدا يسيئ إلى من يحبه فقال نعم نفسك أحب الأنفس إليك فإذا عصيت الله عز و جل فقد أسأت إليها .

و عن علي بن الحسين (ع) قال إن أسرع الخير ثوابا و أسرع الشر عقابا البغي و كفى بالمرء عيبا أن ينظر في عيوب غيره و يعمى عن عيوب نفسه أو يؤذي جليسه بما لا يعنيه أو ينهى الناس عما لا يستطيع تركه .

و عن أبي عبد الله قال كان أمير المؤمنين (ع) كثيرا ما يقول في خطبته أيها الناس دينكم دينكم دينكم فإن السيئة فيه خير من الحسنة في غيره لأن السيئة فيه تغفر و الحسنة في غيره لا تقبل

و قال من له جار و يعمل بالمعاصي فلم ينهه فهو شريكه و قال ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب .

و قال (ع) ما أعطي أحد شيئا خير من امرأة صالحه إذا رآها سرته و إذا أقسم عليها أبرته و إذا غاب عنها حفظته .

و قال النبي (ص) هلاك نساء أمتي في الأحمرين الذهب و الثياب الرقاق و هلاك رجال أمتي في ترك العلم و جمع المال و قال (ع) إذا أحب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه .

و عن مجاهد قال دخل النبي (ص) على شاب و هو في الموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله و أخاف ذنوبي فقال رسول الله (ص) لا يجتمعان في قلب عبد مثل هذا الرجاء إلا أعطاه الله ما يرجو و آمنه مما يخاف .

و قال (ص) إن الله عز و جل ليستحي من عبده إذا صلى في جماعة ثم سأله حاجة أن ينصرف حتى يقضيها .

و قال (ع) أكثر خطايا ابن آدم من لسانه و قال (ع) من صلى

[184]

ركعتين في خلاء لا يراه إلا الله كانت له براءة من النار و قال (ع) ما من قوم قعدوا في مجلس ثم قاموا فلم يذكروا الله عز و جل فيه إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة و قال (ع) أكثروا الاستغفار فإن الله تعالى لم يعلمكم الاستغفار إلا و هو يريد أن يغفر لكم و قال (ع) أ لا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا و يذهب به الذنوب فقلنا بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء في المكروهات و كثرة الخطى إلى المساجد و انتظار الصلاة بعد الصلاة و قال (ع) اتق المحارم تكن أعبد الناس و ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس و أحسن إلى جارك تكن مؤمنا و أحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما و لا تكثر من الضحك فإن كثرة الضحك يميت القلب و قال (ع) إذا كان للرجل على أخيه دين فأخره إلى أجل كان له صدقة فإن أخره بعد أجله كان له بكل يوم صدقة و قال (ع) الخير كثير و من يعمل به قليل و عنه (ع) قال إن الرجل ليدعو ربه و هو عنه معرض ثم يدعو ربه و هو عنه معرض ثم يدو ربه و هو عنه معرض فإذا كانت الرابعة يقول الله تعالى يدعوني عبدي و أنا عنه معرض عرف عبدي أنه لا يغفره إلا أنا أشهدكم أني قد غفرت له و قال (ع) كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته و الأمير الذي على الناس راع و هو مسئول عن رعيته و الرجل راع على أهل بيته و هو مسئول عنهم و المرأة راعية على أهل بيت بعلها و ولده و هي مسئولة عنهم و العبد راع على مال سيده و هو مسئول عنه ألا فكلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته .

و عن النبي (ص) قال إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها و أغرف لجيرانك منها و قال (ع) لا يزال الناس بخير ما لم يستعجلوا قيل يا رسول الله و كيف يستعجلون قال يقولون دعونا فلم يستجب لنا و قال (ع) من أدرك الصلاة أربعين يوما في الجماعة كتب له براءة من النفاق و براءة من النار و قال (ع) إن الله يحب عبده الفقير المتعفف أبا العيال و قال (ع) طهروا أفواهكم فإنها طرق القرآن .

و قال النبي (ص) اطلبوا الحوائج إلى ذي الرحمة من أمتي ترزقوا و تنجحوا

[185]

فإن الله عز و جل يقول رحمتي في ذي الرحمة من عبادي و لا تطلبوا الحوائج عند القاسية قلوبهم فلا ترزقوا و لا تنجحوا فإن الله تعالى يقول إن سخطي فيهم .

و قال (ع) إن العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام و إنه لينظر إلى إخوانه و أزواجه في الجنة و قال (ع) من أذنب ذنبا و هو ضاحك دخل النار و هو باك و قال (ع) أ لا أنبئكم أكبر الكبائر قالوا بلى يا رسول الله قال أكبر الكبائر ثلاث الإشراك بالله تعالى و عقوق الوالدين و كان متكئا فجلس و قال ألا و قول الزور و شهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت .

و بالإسناد الصحيح عن رسول الله (ص) قال يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب ثم التفت إلى علي (ع) و قال هم شيعتك يا علي و أنت إمامهم و عن رسول الله (ص) قال من رفع قرطاسا من الأرض مكتوبا فيه اسم الله إجلالا لله و لاسمه من أن يداس كان عند الله من الصديقين و خفف عن والديه و إن كانا مشركين .

و قال (ع) ليس منا من لم يرحم صغيرنا و يوقر كبيرنا و قال (ع) من عرف فضل كبير لسنه فوقره آمنه الله من فزع يوم القيامة و قال (ع) إذا بلغ المؤمن ثمانين سنة فهو أسير الله في الأرض يكتب له الحسنات و يمحى عنه السيئات .

و عن ابن عباس من بلغ الأربعين و لم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار و عن محمد بن علي بن الحسين (ع) إذا بلغ الرجل أربعين سنة نادى مناد من السماء دنا الرحيل فأعد زادا و لقد كان فيما مضى إذا أتت على الرجل أربعون سنة حاسب نفسه .

و عن عبد الله بن عمر قال جاء رجل إلى النبي (ص) فقال يا رسول الله ما عمل أهل الجنة قال الصدق إذا صدق العبد بر و إذا بر آمن و إذا آمن دخل الجنة قال يا رسول الله و ما عمل أهل النار قال الكذب إذا كذب

العبد فجر و إذا فجر كفر و إذا كفر دخل النار و عنه من مشى مع ظالم لنفسه و هو يعلم أنه ظالم فقد خرج عن الإسلام .

و عن رسول الله (ص) قال إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة و أعوان الظلمة و أشباه الظلمة حتى من برى لهم قلما أو لاق لهم دواتا قال فيجمعون في تابوت من حديد ثم يرمى بهم في جهنم .

و عنه (ع) و يأتي في آخر الزمان أناس يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا و حب الدنيا فلا تجالسوهم فليس الله بهم حاجة .

و قال عيسى (ع) إني أرى الدنيا في صورة عجوز فيما عليها كل زينة قيل لها كم تزوجت قالت لا أحصيهم كثرة قيل أ ماتوا عنك أم طلقوك قالت بل كلهم ماتوا قيل فتعسا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين و كيف لا يكونون على حذر .

و كان الحسين بن علي (ع) كثيرا ما يتمثل بقول الشاعر :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها *** إن اغترارا بظل زائل حمق

و قال النبي (ص) الدنيا دار من دار له و لها يجمع من لا عقل له و يطلب شهواتها من لا فهم له و عليها يعادي من لا علم له و عليها يحسد من لا فقه له و لها يسعى من لا يقين له من كانت الدنيا همه كثر في الدنيا و الآخرة غمه و قيل إن عابدا احتضر فقال ما تأسفي على دار الأحزان و الغموم و الخطايا و الذنوب و إنما تأسفي على ليلة نمتها و يوم أفطرته و ساعة غفلت عن ذكر الله تعالى .

و عن النبي (ص) من ذب عن عرض أخيه كان ذلك حجابا له من النار و من كان لأخيه المسلم في قلبه مودة و لم يعلمه فقد خانه و من لم يرض من أخيه إلا بإيثاره على نفسه دام سخطه و من عاتب صديقه على كل ذنب كثر عدوه .

و قال (ع) إن الله يعطي الدنيا على نية الآخرة و لا يعطي الآخرة على نية الدنيا اجعل الآخرة رأس مالك فما أتاك من الدنيا فهو ربح

[187]

الباب الثاني و الخمسون في أحاديث منتخبة

روي عن الصادق (ع) أنه قال لبعض تلاميذه يوما أي شيء تعلمت مني قال له يا مولاي ثمان مسائل قال (ع) قصها علي لأعرفها قال الأولى رأيت كل محبوب يفارق محبوبه عند الموت فصرفت همي إلى ما لا يفارقني بل يؤنسني في وحدتي و هو فعل الخير قال أحسنت و الله الثانية قد رأيت قوما يفخرون بالحسب و آخرين بالمال و الولد و إذا ذلك لا فخر فيه و رأيت الفخر العظيم في قوله تعالى إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ فاجتهدت أن أكون عند الله كريما قال أحسنت و الله الثالثة قال رأيت الناس في لهوهم و طربهم و سمعت قوله تعالى وَ أَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى فاجتهدت في صرف الهوى عن نفسي حتى استقررت على طاعة الله تعالى قال أحسنت و الله الرابعة قال رأيت كل من وجد شيئا يكرم عنده اجتهد في حفظه و سمعت قوله تعالى مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ فأحببت المضاعفة و لم أر أحفظ مما يكون عنده فكلما وجدت شيئا يكرم عنده وجهت به إليه ليكون لي ذخرا إلى وقت حاجتي قال أحسنت و الله الخامسة قال رأيت حسد الناس بعضهم لبعض و سمعت قوله تعالى نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ رَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْض دَرَجات لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا وَ رَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ فلما عرفت أن رحمة الله خير ما يجمعون ما حسدت أحدا و لا أسفت على ما فاتني قال أحسنت و الله السادسة قال رأيت عداوة الناس بعضهم لبعض في دار الدنيا و الحزازات التي في صدورهم و سمعت قول الله تعالى إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا فاشتغلت بعداوة الشيطان عن عداوة غيره قال أحسنت و الله السابعة قال رأيت كدح الناس و اجتهادهم في طلب الرزق و سمعت قوله تعالى وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْق وَ ما أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللّهَ هُوَ الرَّزّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ فعلمت

[188]

أن وعده حق و قوله تعالى صدق فسكنت إلى وعده و رضيت بقوله و اشتغلت بما له علي عما لي عنده قال أحسنت و الله الثامنة قال رأيت قوما يتكلمون على صحة أبدانهم و قوما على كثرة أموالهم و قوما على خلق مثلهم و سمعت قوله تعالى وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللّهَ بالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكُلِّ شَيْء قَدْراً فاتكلت على الله و زال اتكالي عن غيره قال له و الله إن التوراة و الإنجيل و الزبور و الفرقان و سائر الكتب ترجع إلى هذه المسائل .

قال النبي (ص) من طلب العلم لله عز و جل لم يصب منه بابا إلا ازداد في نفسه ذلا و للناس تواضعا و لله خوفا و في الدين اجتهادا فذلك الذي ينتفع بالعلم فيتعلمه و من طلب العلم للدنيا و المنزلة عند الناس و الخطوة عند السلطان لم يصب منه بابا إلا ازداد في نفسه عظمة و على الناس استطالة و بالله اغترارا و في الدين جفاء فذلك الذي لا ينتفع بالعلم فليكف و ليمسك عن الحجة على نفسه و الندامة و الخزي يوم القيامة .

و عن أمير المؤمنين (ع) قال قال رسول الله إن ملك الموت إذا نزل لقبض روح الفاجر نزل معه سفود من نار قال علي (ع) يا رسول الله فهل يصيب ذلك أحدا من أمتك قال نعم حاكما جائرا و آكل مال اليتيم و شاهد الزور و إن شاهد الزور يدلع لسانه في النار كما يدلع الكلب لسانه في الإناء و قيل لبعضهم على ما بنيت أمرك قال على أربع خصال علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأننت نفسي و علمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به و علمت أن أجلي لا أدري متى يأتيني و لا يأتيني إلا بغتة فأنا أبادره و علمت أني لا

أغيب من عين الله فأنا منه مستحي و قال من علق سوطا بين يدي سلطان جائر جعل ذلك السوط يوم القيامة ثعبان من نار طوله سبعين ذراعا يسلطه الله عليه يوم القيامة في نار جهنم و بئس المصير .

و قال (ع) من كان ظاهره أرجح من باطنه خف ميزانه و من كان باطنه أرجح من ظاهره ثقل ميزانه

[189]

و عن الحسين بن علي (ع) قال إذا كان يوم القيامة نادى مناد أيها الناس من كان له على الله أجر فليقم قال فلا يقوم إلا أهل المعروف قيل من كان غناه في كيسه لم يزل فقيرا و من كان غناه في قلبه لم يزل غنيا و قال بعضهم من لم يسلم لك صدره فلا يغرنك بشره باشر من أغناك و لا تكله إلى سواك استغن فيما دهاك بمن يغنيه غناك و عن النبي إياكم و الغيبة فإن الغيبة أشد من الزناء إن الرجل ليزني و يتوب فيتوب الله عليه و إن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبها .

و قال (ع) يا معاشر الناس من اغتاب آمن بلسانه و لم يؤمن بقلبه فلا تغتابوا المسلمين و لا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه تتبع الله عورته و فضحه في جوف بيته .

و أوحى الله إلى موسى (ع) من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة و من مات و هو مصر عليها فهو أول من يدخل النار .

و قال (ع) ليس الشهيد بالصرعة إنما الشهيد الذي يملك نفسه عند الغضب فإن الغضب مفتاح كل شر و قد ذم الله تعالى الكبر في مواضع من كتابه و ذم كل جبار عنيد فقال سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ و قال مَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبادَتِهِ وَ يَسْتَكْبِرْ و قال الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ بِما كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَ كُنْتُمْ عَنْ آياتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ و قال فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ و قال كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّر جَبّار و قال وَ اسْتَفْتَحُوا وَ خابَ كُلُّ جَبّار عَنِيد .

و قال رسول الله (ص) لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر و لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان و قال رسول الله (ص) إن الله تعالى يقول الكبرياء ردائي و العظمة إزاري فمن نازعني في واحد منهما ألقيته في النار .

و روي عن النبي (ص) قال من اجتهد من أمتي بترك شهوة من شهوات الدنيا فتركها من مخافة الله آمنه الله من الفزع الأكبر و أدخله الجنة .

[190]

و روي عن النبي (ص) أنه قال من قبل غلاما بشهوة عذبه الله ألف عام في النار و من جامعه لم يجد ريح الجنة و ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام إلا أن يتوب .

و بإسناده عنه (ص) قال ما من أحد من أمتي يذكرني و يصلي علي إلا غفر الله له ذنوبه و إن كانت مثل رمل عالج .

و بإسناده عن النبي (ص) قال صدقة المؤمن تدفع عن صاحبها آفات الدنيا و فتنة القبر و عذاب يوم القيامة .

و روي عن النبي (ص) قال صلاة الليل سراج لصاحبها في ظلمة القبر و قول لا إله إلا الله يطرد الشيطان عن قائلها .

و عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) من مات غريبا مات شهيدا و قال (ع) موت غربة شهادة فإذا احتضر فرمى ببصره عن يمينه و عن شماله فلم ير إلا غريبا و ذكر أهله فتنفس قلبه بكل نفس تنفسه يمحو الله عنه ألف ألف سيئة و يكتب له به ألف ألف حسنة و إذا مات مات شهيدا .

و عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) الغريب إذا مرض فنظر عن يمينه و عن شماله و من بين يديه و من خلفه فلم ير أحدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه و في الخبر من أحرق سبعين مصحفا و قتل سبعين ملكا مقربا و زنى بسبعين بكرا كان أقرب إلى النجاة ممن ترك الصلاة متعمدا .

و عن النبي (ص) جلوس ساعة عند العالم في مذاكرة العلم أحب إلى الله تعالى من مائة ألف ركعة تطوعا و مائة ألف تسبيحة و من عشرة آلاف فرس يغزو بها المؤمن في سبيل الله .

و بإسناده عن النبي (ص) قال إذا صليت الصلاة لوقتها صعدت و لها نور شعشعاني تفتح لها أبواب السماء حتى تنتهي إلى العرش فتشفع لصاحبها و تقول حفظك الله كما حفظتني و إذا صليت في غير وقتها صعدت مظلمة تغلق دونها أبواب السماء ثم تلف كما يلف الثوب الخلق و يضرب بها وجه صاحبها فتقول ضيعك الله كما ضيعتني .

[191]

و روي عن الصادق عن آبائه عن أمير المؤمنين (ع) قال قال رسول الله (ص) صلاة الليل مرضاة للرب و حب الملائكة و سنة الأنبياء و نور المعرفة و أصل الإيمان و راحة الأبدان و كراهية للشيطان و سلاح على الأعداء و إجابة للدعاء و قبول للأعمال و بركة في الرزق و شفيع بين صاحبها و بين ملك الموت و سراج في قبره و فراش من تحت جنبيه و جواب منكر و نكير و مونس و زائر في قبره فإذا كان يوم القيامة كانت الصلاة ظلا عليه و تاجا على رأسه و لباسا على بدنه و نورا يسعى بين يديه و سترا بينه و بين النار و حجة للمؤمن بين يدي الله تعالى و ثقلا في الموازين و جوازا على الصراط و مفتاحا للجنة لأن الصلاة تكبير و تحميد و تسبيح و تمجيد و تقديس و تعظيم و قراءة و دعاء و أن أصل الأعمال كلها الصلاة لوقتها .

و قال (ع) ارحموا رحمكم الله إنكم أعلام بينة فالطريق نهج إلى دار السلام و أنتم في دار مستعتب على مهل و فراغ و الصحف منشورة و الأقلام جارية و الأبدان صحيحة و الألسن مطلقة و التوبة مسموعة و الأعمال مقبولة .

و عن حذيفة بن اليمان رفعه عن رسول الله (ص) أن قوما يجيئون يوم القيامة و لهم من الحسنات أمثال الجبال فيجعلها الله هباء منثورا ثم يؤمر بهم إلى النار فقال سلمان صفهم يا رسول الله فقال أما إنهم قد كانوا يصومون و يصلون و يأخذون أهبة من الليل و لكنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام وثبوا عليه .

و قال (ص) ألا فاذكروا هادم اللذات و منغص الشهوات و قاطع الأمنيات عند المشاورة للأعمال القبيحة و استعينوا بالله على أداء واجب حقه و ما لا يحصى من أعداد نعمه و إحسانه .

و قال (ع) رحم الله امرأ تفكر فاعتبر و اعتبر فأبصر فكأنما هو كائن من الدنيا عما قليل لم يكن و كان ما هو كائن من الآخرة عن قليل لم يزل و كل معدود منتقص و كل متوقع آت و كل آت قريب دان .

و قال (ع) ألا و إن الآخرة قد أقبلت و الدنيا قد أدبرت و لكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة و لا تكونوا من أبناء الدنيا فإن كل ولد سيلحق

[192]

بأمه يوم القيامة و إن اليوم عمل بلا حساب و غدا حساب بلا عمل .

و قال (ع) إن النساء نواقص الإيمان و الحظوظ و نواقص العقول فأما نقصان إيمانهن فعقودهن عن الصلاة و الصوم أيام حيضهن و أما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الإنصاف من مواريث الرجال لقوله تعالى لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ و أما نقصان عقولهن فشهادة الامرأتين كشهادة الرجل الواحد فاتقوا أشرار النساء و كونوا من خيارهن على حذر و لا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر .

و قال (ع) عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي هو منه هرب و يفوته الغناء الذي إياه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء و يحاسب في الآخرة حساب الأغنياء و عجبت للمتكبر الذي كان بالأمس نطفة و يكون غدا جيفة و عجبت لمن شك في الله و هو يرى خلق الله و عجبت لمن نسي الموت و هو يرى من يموت و عجبت لمن أنكر النشأة الآخرة و هو يرى النشأة الأولى و عجبت لعامر دار الفناء و تارك دار البقاء .

و قال (ع) من آذى جاره حرم الله عليه ريح الجنة و مأواه جهنم و بئس المصير و من ضيع حق جاره فليس منا .

و قال (ع) من مشى إلى ذي قرابة بنفسه و ماله ليصل رحمه أعطاه الله عز و جل أجر مائة شهيد و له بكل خطوة أربعون ألف حسنة و محي عنه أربعون ألف سيئة و رفع له من الدرجات مثل ذلك و كان كأنما عبد الله عز و جل مائة سنة صابرا محتسبا و من كفى ضريرا حاجة من حوائج الدنيا و مشى له فيها حتى يقضي له حاجته أعطاه الله براءة من النفاق و براءة من النار و قضى له سبعين ألف حاجة من حوائج الدنيا و لا يزال يخوض في رحمة الله حتى يرجع .

و سئل النبي (ص) ما أثقل من السماء و ما أغنى من البحر و ما أوسع من الأرض و ما أحر من النار و ما أبرد من الزمهرير و ما أشد من الحجر و ما أمر من السم فقال (ص) البهتان على البريء أثقل من السماء و الحق أوسع من الأرض و قلب قانع أغنى من البحر و سلطان

جائر أحر من النار و الحاجة إلى

[193]

اللئيم أبرد من الزمهرير و قلب المنافق أشد من الحجر و الصبر على الشدة أمر من السم .

و قال (ع) ستة أشياء حسن و لكن من ستة أحسن العدل حسن و هو من الأمراء أحسن و الصبر حسن و هو من الفقراء أحسن و الورع حسن و هو من العلماء أحسن و السخاء حسن و هو من الأغنياء أحسن و التوبة حسنة و هي من الشاب أحسن و الحياء حسن و هو من

النساء أحسن و أمير لا عدل له كغيم لا غيث له و فقير لا صبر له كمصباح لا ضوء له و عالم لا ورع له كشجرة لا ثمرة لها و غني لا سخاء له كمكان لا نبت له و شاب لا توبة له كنهر لا ماء له و امرأة لا حياء لها كطعام لا ملح له .

و عن رسول الله (ص) من تاب و لم يغير لسانه فليس بتائب و من تاب و لم يغير فراشه فليس بتائب و من تاب و لم يغير أعماله فليس بتائب فإذا حصل هذه الخصال فهو تائب .

و عن النبي (ص) أنه قال خلق الله تعالى ملكا تحت العرش يسبحه بجميع اللغات المختلفة فإذا كان ليلة الجمعة أمره أن ينزل من السماء إلى الدنيا و يطلع إلى أهل الأرض و يقول يا أبناء العشرين لا تغرنكم الدنيا و يا أبناء الثلاثين اسمعوا و عوا و يا أبناء الأربعين جدوا و اجتهدوا و يا أبناء الخمسين لا عذر لكم و يا أبناء الستين ما ذا قدمتم في دنياكم لآخرتكم و يا أبناء السبعين زرع قد دنا حصاده و يا أبناء الثمانين أطيعوا الله في أرضه و يا أبناء التسعين آن لكم الرحيل فتزودوا و يا أبناء المائة أتتكم الساعة و أنتم لا تشعرون ثم يقول لو لا مشايخ ركع و فتيان خشع و صبيان رضع لصب عليكم العذاب صبا .

و قال (ع) إن لله ملكا ينادي في كل يوم تهيئوا للموت و اجمعوا للفناء و ابنوا للخراب و قال (ع) من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها .

و قال (ع) لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه في ثلاث في نكبته

[194]

و غيبته و وفاته و قال (ع) أصدقاؤك ثلاثة و أعداؤك ثلاثة فأصدقاؤك صديقك و صديق صديقك و عدو عدوك و أما أعداؤك فعدوك و عدو صديقك و صديق عدوك .

و عن رسول الله (ص) إن الله تعالى ينظر إلى هذه الأمة بالعلماء و الفقراء فقال العلماء ورثتي و الفقراء أحبائي و خلق الله الخلق من طين الأرض و خلق الأنبياء و الفقراء من طين الجنة فمن أراد أن يكون في عهد الله فليكرم الفقراء و قال (ع) سراج الأغنياء في الدنيا و الآخرة الفقراء و لو لا الفقراء لهلك الأغنياء و مثل الفقراء مع الأغنياء كمثل عصا في يد أعمى .

و عن رسول الله (ص) لعن الله من أكرم الغني لغناه و لعن الله من أهان الفقير لفقره و لا يفعل هذا إلا منافق و من أكرم الغني لغناه و أهان الفقير لفقره سمي في السماوات عدو الله و عدو الأنبياء لا يستجاب له دعوة و لا يقضى له حاجة .

و قال (ع) الفقر ذل في الدنيا و فخر في الآخرة و قال (ع) المنان على الفقراء ملعون في الدنيا و الآخرة و المنان على أبويه و إخوته و أخواته بعيد من الرحمة و بعيد من الملائكة قريب من النار لا يستجاب له دعوة و لا يقضى له حاجة و لا ينظر الله إليه في الدنيا و الآخرة و قال (ع) من آذى مؤمنا فقيرا بغير حق فكأنما هدم مكة عشرة مرات و البيت المعمور و كأنما قتل ألف ملك من المقربين و قال (ع) حرمة المؤمن الفقير أعظم عند الله من سبع سماوات و سبع أرضين و الملائكة و الجبال و ما فيها .

و عن أمير المؤمنين (ع) قال الفتوة أربعة التواضع مع الدولة و العفو مع القدرة و النصيحة مع العداوة و العطية بلا منة و قال (ع) أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله و حسن الخلق و خير ما أعطي الإنسان الخلق الحسن و خير الزاد ما صحبه التقوى و خير

القول ما صدقه الفعل و قال (ع) من فعل خمسة أشياء فلا بد له من خمسة و لا بد لصاحب الخمسة من النار الأولى من شرب المثلث فلا بد له من شرب الخمر و لا بد لشارب الخمر من النار الثاني من لبس

[195]

الثياب الفاخرة فلا بد له من الكبر و لا بد لصاحب الكبر من النار الثالث من جلس على بساط السلطان فلا بد أن يتكلم بهوى السلطان و لا بد لصاحب الهوى من النار الرابع من جالس النساء فلا بد له من الزناء و لا بد للزاني من النار الخامس من باع و اشترى من غير فقه فلا بد له من الربا و لا بد لآكل الربا من النار .

و قال (ع) الحرمة من الفاسق محال و الشفقة من العدو محال و النصيحة من الحاسد محال و الهيبة من الفقير محال و الوفاء من المرأة محال و قال (ع) من مشى في طلب العلم خطوتين و جلس عند العالم ساعتين و سمع من المعلم كلمتين أوجب الله له جنتين كما قال الله تعالى وَ لِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ و عن أبي عبد الله (ع) قال لا يكمل إيمان عبد مؤمن حتى يكون فيه أربع خصال يحسن خلقه و يصلح نفسه و يمسك الفضول من قوله و يخرج الفضل عن ماله .

و عن الصادق (ع) قال إن الله يحب الجمال و التجمل و يكره البؤس و التباؤس و إن الله عز و جل إذا أنعم على عبده نعمة يحب أن يرى أثر نعمته عليه قيل و كيف ذلك قال ينظف ثوبه و يطيب ريحه و يحسن داره و يكنس أفنيته حتى أن السراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر و يزيد في الرزق .

و عن الصادق (ع) قال ما كان و لا يكون إلى يوم القيامة رجل مؤمن إلا و له جار يؤذيه و قال (ع) إن الرجل ليموت والداه و هو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه من البارين.

و قال رسول الله (ص) يا أبا أيوب أ لا أدلك على عمل يرضي الله قال بلى يا رسول الله قال فأصلح بين الناس إذا تفاسدوا و حبب بينهم إذا تباغضوا .

و قال (ع) لأخبرنكم على من تحرم النار عليه غدا على كل هين لين قريب سهل و قال (ع) خمس كلمات في التوراة و ينبغي أن تكتب بماء الذهب أولها حجر الغصب في الدار رهن على خرابها و الغالب بالظلم هو المغلوب و ما ظفر من ظفر الإثم به و من أقل حق الله عليك أن لا تستعين بنعمه على معاصيه

[196]

و وجهك ماء جامد يقطر عند السؤال فانظر عند من تقطره .

و عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) ثلاثة يستغفر لهم السماوات و الأرض و الملائكة و الليل و النهار العلماء و المتعلمون و الأسخياء و ثلاثة لا ترد دعوتهم المريض و التائب و السخي و ثلاثة لا تمسهم النار المرأة المطيعة لزوجها و الولد البار لوالديه و السخي يحسن خلقه و ثلاثة معصومون من إبليس و جنوده الذاكرون لله و الباكون من خشية الله و المستغفرون بالأسحار و ثلاثة رفع الله عنهم العذاب يوم القيامة الراضي بقضاء الله و الناصح للمسلمين و الدال على الخير و ثلاثة على كثيب المسك الأذفر يوم القيامة لا يهولهم فزع و لا ينالهم حساب رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله و رجل أم بقوم و هم عنه راضون و رجل أذن في مسجد ابتغاء وجه

الله و ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يغسل قميصه و لم يكن له بدل و رجل لم يطبخ على مطبخ قدرين و رجل كان عنده قوت يوم فلم يهم لغد و ثلاثة يدخلون النار بغير حساب أشمط زان و عاق الوالدين و مدمن الخمر .

قيل دخل إبراهيم بن أدهم البصرة فاجتمع الناس إليه و قالوا يا أبا إسحاق قال الله تعالى ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ و نحن ندعو فلا يستجاب لنا قال يا أهل البصرة لأن قلوبكم قد صارت في عشرة أولها عرفتم الله فلم تؤدوا حقه الثاني قرأتم كتاب الله فلم تعملوا به الثالث قلتم نحب رسول الله و تركتم سنته الرابع قلتم إن الشيطان لنا عدو فوافقتموه الخامس قلتم نحب الجنة و لم تعملوا لها السادس قلتم إن الموت حق و لم تتهيئوا له السابع انتبهتم من النوم فاشتغلتم باغتياب إخوانكم الثامن أكلتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها التاسع قلتم نخاف من النار و لم تهربوا منها العاشر دفنتم موتاكم فلم تعتبروا بهم .

قيل نادى أمير المؤمنين (ع) أهل القبور من المؤمنين و المؤمنات فقال السلام عليكم و رحمة الله و بركاته فسمعنا صوتا يقول و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته يا أمير المؤمنين فقال نخبركم بأخبارنا أن تخبرونا بأخباركم قال أخبرنا بأخباركم يا أمير المؤمنين فقال أزواجكم قد تزوجوا و أموالكم قسمها

[197]

وراثكم و حشر في اليتامى أولادكم و المنازل التي شيدتم و بنيتم سكنها أعداؤكم فما أخباركم فأجابه مجيب قد تخرقت الأكفان و انتشرت الشعور و تقطعت الجلود و سالت الأحداق على الخدود و تنازلت المناخر و الأفواه بالقيح و الصديد و ما قدمناه وجدناه و ما أنفقناه ربحناه و ما خلفناه خسرناه نحن مرتهنون بالأعمال نرجو من الله الغفران بالكرم و الامتنان .

الباب الثالث و الخمسون في العقل و أن به النجاة

عن أمير المؤمنين (ع) قال قال رسول الله (ص) إن الله تعالى خلق العقل من نور مخزون في سابق علمه الذي لم يطلع عليه نبي مرسل و لا ملك مقرب فجعل العلم نفسه و الفهم روحه و الزهد رأسه و الحياء عينه و الحكمة لسانه و الرأفة همه و الرحمة قلبه ثم إنه حشاه و قواه بعشرة أشياء اليقين و الإيمان و الصدق و السكينة و الوقار و الرفق و التقوى و الإخلاص و العطية و القنوع و التسليم و الرضا و الشكر ثم قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال له تكلم فتكلم فقال الحمد لله الذي ليس له ضد و لا مثل و لا شبيه و لا كفو و لا عديل الذي كل شيء لعظمته خاضع ذليل فقال الله تعالى و عزتي و جلالي ما خلقت خلقا أحسن منك و لا أطوع لي منك و لا أرفع و لا أشرف منك و لا أعز علي منك بك أوحد و بك أعبد و بك أدعى و بك أرتجى و بك أخاف و بك أبتغى و بك أحذر و بك الثواب و بك العقاب فخر العقل عند ذلك ساجدا و كان في سجوده ألف عام فقال تعالى ارفع رأسك و سل تعطى و اشفع تشفع فرفع العقل رأسه فقال إلهي أسألك أن تشفعني فيمن جعلتني فيه فقال الله تعالى للملائكة أشهدكم أني قد شفعته فيمن خلقته فيه .

و قال رسول الله (ص) لا يكون العاقل مؤمنا حتى تجتمع فيه عشر خصال الخير منه مأمول و الشر منه مأمون يستكثر قليل الخير من غيره و يستقل كثير الخير من نفسه لا يسأم من طلب العلم طول عمره و لا يتبرم لطلب الحوائج من قبله الذل أحب إليه من العز و الفقر أحب إليه من الغنى نصيبه من الدنيا القوت

[198]

و العاشر لا يرى أحدا إلا قال هو خير مني و أتقى .

و قال أمير المؤمنين (ع) العقل ولادة و العلم إفادة و مجالسة العلماء زيادة و روي أن جبرائيل (ع) هبط إلى آدم فقال يا أبا البشر أمرت أن أخيرك بين ثلاث فاختر منهن واحدة و دع اثنتين فقال له آدم و ما هن فقال العقل و الحياء و الإيمان فقال آدم قد اخترت العقل قال فقال جبرائيل للإيمان و الحياء ارحلا فقالا أمرنا أن لا نفارق العقل .

قال المصنف ره لكل أدب ينبوع و أمير الفضل و ينبوع الأدب العقل جعله الله لمعرفته و للدين أصلا و للملك و الدنيا عمادا و للسلامة من المهلكات معقلا فأوجب لهم التكليف بإكماله و جعل أمر الدنيا مدبرا به و ألف به بين خلقه مع اختلافهم و تباين أغراضهم و مقاصدهم و ما استودع الله تعالى أحدا عقلا إلا استنقذه به يوما و العقل أصدق مشير و أنصح خليل و خير جليس و نعم وزير و خير المواهب العقل و شرها الجهل قال بعضهم شعرا :

إذا تم عقل المرء تمت أموره *** و تمت أياديه و تم ثناؤه

و قال رسول الله (ص) العقل نور في القلب يفرق به بين الحق و الباطل و جاء في قوله تعالى لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا قال يعني من كان عاقلا و قال رسول الله (ص) أعقل الناس أفضلهم و من لم يكن عقله أغلب خصال الخير فيه كان حقه في أغلب خصال الشر فيه و كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل إذا كثر غلا و العقل الصحيح ما حصلت به الجنة و العاقل يؤلف العاقل و الجاهل يؤلف الجاهل و لقد أحسن من قال شعرا :

إذا لم يكن للمرء عقل يزينه *** و لم يك ذا رأي سديد و لا أدب

فما هو إلا ذو قوائم أربع *** و إن كان ذا مال كثير و ذا حسب

و قال إنه إذا ستر الله عبدا حصر عليه العلم و الأدب و لا يزال المرء في صحة من عقله و دينه ما لم يشرب مسكرا و في صحة من مروءته ما لم يفعل الزلات و في صحة من أمانته ما لم يقبل وصية و يستودع وديعة و في صحة من فضله ما لم يؤم قوما أو يرقي منبرا و أشراف الناس العلماء و ساداتهم المتقون و ملوكهم

الزهاد و سخف منطق المرء يدل على قلة عقله .

و روي أن الحسن بن علي (ع) قال في خطبة له اعلموا أن العقل حرز و الحلم زينة و الوفاء مروة و العجلة سفه و السفه ضعف و مجالسة أهل الدنيا شين و مخالطة أهل الفسوق ريبة و من استخف بإخوانه فسدت مروءته و لا يهلك إلا المرتابون و ينجو المهتدون الذين لم يتهموا الله في آجالهم طرفة عين و لا في أرزاقهم فمروتهم كاملة و حياؤهم كامل يصبرون حتى يأتي لهم الله برزق و لا يبيعون شيئا من دينهم و مرواتهم بشيء من الدنيا و لا يطلبون منه شيئا منها بمعاصي الله و من عقل المرء مروته أن يسرع إلى قضاء حوائج إخوانه و إن لم ينزلوها به و العقل أفضل ما وهبه الله تعالى للعبد إذ به نجاته في الدنيا من آفاتها و سلامته في الآخرة من عذابها .

و قيل إنهم وصفوا رجلا عند رسول الله (ص) بحسن عبادته فقال انظروا إلى عقله فإنما يجزى العباد يوم القيامة على قدر عقولهم و حسن الأدب دليل على صحة العقل .

الباب الرابع و الخمسون فيما سأل رسول الله (ص) ربه ليلة المعراج

روي عن أمير المؤمنين (ع) أن النبي (ص) سأل ربه سبحانه ليلة المعراج فقال يا رب أي الأعمال أفضل فقال الله تعالى ليس شيء أفضل عندي من التوكل علي و الرضا بما قسمت يا محمد وجبت محبتي للمتحابين في و وجبت محبتي للمتعاطفين في و وجبت محبتي للمتواصلين في و وجبت محبتي للمتوكلين علي و ليس لمحبتي علم و لا غاية و لا نهاية و كلما رفعت لهم علما وضعت لهم علما أولئك الذين نظروا إلى المخلوقين بنظري إليهم و لم يرفعوا الحوائج إلى الخلق بطونهم خفيفة من أكل الحرام نعيمهم في الدنيا ذكري و محبتي و رضائي عنهم.

يا أحمد إن أحببت أن تكون أورع الناس فازهد في الدنيا و ارغب في الآخرة فقال إلهي كيف أزهد في الدنيا فقال خذ من الدنيا حفنا من الطعام و الشراب و اللباس و لا تدخر لغد و دم على ذكري فقال يا رب كيف

[200]

أدوم على ذكرك فقال بالخلوة عن الناس و بغضك الحلو و الحامض و فراغ بطنك و بيتك من الدنيا .

يا أحمد احذر أن تكون مثل الصبي إذا نظر إلى الأخضر و الأصفر و إذا أعطي شيئا من الحلو و الحامض اغتر به فقال يا رب دلني على عمل أتقرب به إليك قال اجعل ليلك نهارا و نهارك ليلا قال يا رب كيف ذلك قال اجعل نومك صلاة و طعامك الجوع .

يا أحمد و عزتي و جلالي ما من عبد ضمن لي بأربع خصال إلا أدخلته الجنة يطوي لسانه فلا يفتحه إلا بما يعنيه و يحفظ قلبه من الوسواس و يحفظ علمي و نظري إليه و يكون قرة عينيه الجوع.

يا أحمد لو ذقت حلاوة الجوع و الصمت و الخلوة و ما ورثوا منها قال يا رب ما ميراث الجوع قال الحكمة و حفظ القلب و التقرب إلي و الحزن الدائم و خفة المئونة بين الناس و قول الحق و لا يبالي عاش بيسر أم بعسر.

يا أحمد هل تدري بأي وقت يتقرب العبد إلي قال لا يا رب قال إذا كان جائعا أو ساجدا.

يا أحمد عجبت من ثلاثة عبيد عبد دخل في الصلاة و هو يعلم إلى من يرفع يديه و قدام من هو و هو ينعس و عجبت من عبد له قوت يوم من الحشيش أو غيره و هو يهتم لغد و عجبت من عبد لا يدري أني راض عنه أو ساخط عليه و هو يضحك.

يا أحمد إن في الجنة قصرا من لؤلؤ فوق لؤلؤ و درة فوق درة ليس فيها قصم و لا وصل فيها الخواص أنظر إليهم كل يوم سبعين مرة فأكلمهم كلما نظرت إليهم و أزيد في ملكهم سبعين ضعفا و إذا تلذذ أهل الجنة بالطعام و الشراب تلذذوا أولئك بذكري و كلامي و حديثي قال يا رب ما علامة أولئك قال مسجونون قد سجنوا ألسنتهم من فضول الكلام و بطونهم من فضول الطعام.

يا أحمد إن المحبة لله هي المحبة للفقراء و التقرب إليهم قال و من الفقراء قال الذين رضوا بالقليل و صبروا على الجوع و شكروا على الرخاء و لم يشكوا

[201]

جوعهم و لا ظمأهم و لم يكذبوا بألسنتهم و لم يغضبوا على ربهم و لم يغتموا على ما فاتهم و لم يفرحوا بما آتاهم.

يا أحمد محبتي محبة الفقراء فادن الفقراء و قرب مجلسهم منك و ابعد الأغنياء و ابعد مجلسهم عنك فإن الفقراء أحبائي.

يا أحمد لا تزين بلين اللباس و طيب الطعام و لين الوطاء فإن النفس مأوى كل شر و رفيق كل سوء تجرها إلى طاعة الله و تجرك إلى معصيته و تخالفك في طاعته و تطيعك فيما تكره و تطغى إذا شبعت و تشكو إذا جاعت و تغضب إذا افتقرت و تتكبر إذا استغنت و تنسى إذا كبرت و تغفل إذا آمنت و هي قرينة الشيطان و مثل النفس كمثل النعامة تأكل الكثير و إذا حمل عليها لا تطير و كمثل الدفلى لونه حسن و طعمه مر.

يا أحمد أبغض الدنيا و أهلها و أحب الآخرة و أهلها قال يا رب و من أهل الدنيا و من أهل الآخرة قال أهل الدنيا من كثر أكله و ضحكه و نومه و غضبه قليل الرضا لا يعتذر إلى من أساء إليه و لا يقبل عذر من اعتذر إليه كسلان عند الطاعة شجاع عند المعصية أمله بعيد و أجله قريب لا يحاسب نفسه قليل المنفعة كثير الكلام قليل الخوف كثير الفرح عند الطعام و إن أهل الدنيا لا يشكرون عند الرخاء و لا يصبرون عند البلاء كثير الناس عندهم قليل يحمدون أنفسهم بما لا يفعلون و يدعون بما ليس لهم و يتكلمون بما يتمنون و يذكرون مساوئ الناس و يخفون حسناتهم فقال يا رب كل هذا العيب في أهل الدنيا.

قال يا أحمد إن عيب أهل الدنيا كثير فيهم الجهل و الحمق لا يتواضعون لمن يتعلمون منه و هم عند أنفسهم عقلاء و عند العارفين حمقاء.

يا أحمد إن أهل الخير و أهل الآخرة رقيقة وجوههم كثير حياؤهم قليل حمقهم كثير نفعهم قليل مكرهم الناس منهم في راحة أنفسهم منهم في تعب كلامهم موزون محاسبين لأنفسهم متعيبين لها تنام أعينهم و لا تنام قلوبهم أعينهم باكية و قلوبهم ذاكرة إذا كتب الناس من الغافلين كتبوا من الذاكرين في أول النعمة يحمدون و في آخرها يشكرون دعاؤهم عند الله مرفوع و كلامهم مسموع تفرح

[202]

بهم الملائكة و يدور دعاؤهم تحت الحجب يحب الرب أن يسمع كلامهم كما تحب الوالدة الولد و لا يشغلون عنه طرفة عين و لا يريدون كثرة الطعام و لا كثرة الكلام و لا كثرة اللباس الناس عندهم موتى و الله عندهم حي كريم يدعون المدبرين كرما و يزيدون المقبلين تلطفا قد صارت الدنيا و الآخرة عندهم واحدة.

يا أحمد هل تعرف ما للزاهدين عندي قال لا يا رب قال يبعث الخلق و يناقشون الحساب و هم من ذلك آمنون إن أدنى ما أعطي الزاهدين في الآخرة أن أعطيهم مفاتيح الجنان كلها حتى يفتحوا أي باب شاءوا و لا أحجب عنهم وجهي و لأنعمنهم بألوان التلذذ من كلامي و لأجلسنهم في مقعد صدق و أذكرهم ما صنعوا و تعبوا في دار الدنيا و أفتح لهم أربعة أبواب باب يدخل عليهم الهدايا بكرة و عشيا من عندي و باب ينظرون منه إلى كيف شاءوا بلا صعوبة و باب يطلعون منه إلى النار فينظرون إلى الظالمين كيف يعذبون و

باب يدخل عليهم منه الوصائف و الحور العين قال يا رب من هؤلاء الزاهدون الذين وصفتهم قال الزاهد هو الذي ليس له بيت يخرب فيغتم لخرابه و لا له ولد يموت فيحزن لموته و لا له شيء يذهب فيحزن لذهابه و لا يعرفه إنسان ليشغله عن الله طرفة عين و لا له فضل طعام يسأل عنه و لا له ثوب لين.

يا أحمد وجوه الزاهدين مصفرة من تعب الليل و صوم النهار و ألسنتهم كلال إلا من ذكر الله تعالى قلوبهم في صدورهم مطعونة من كثرة صمتهم قد أعطوا المجهود في أنفسهم لا من خوف نار و لا من شوق جنة و لكن ينظرون في ملكوت السماوات و الأرض فيعلمون أن الله سبحانه أهل للعبادة.

يا أحمد هذه درجة الأنبياء و الصديقين من أمتك و أمة غيرك و أقوام من الشهداء قال يا رب أي الزهاد أكثر زهاد أمتي أم زهاد بني إسرائيل قال إن زهاد بني إسرائيل في زهاد أمتك كشعرة سوداء في بقرة بيضاء فقال يا رب و كيف ذلك و عدد بني إسرائيل أكثر قال لأنهم شكوا بعد اليقين و جحدوا بعد الإقرار قال النبي (ص) فحمدت الله تعالى و شكرته و دعوت لهم بالحفظ و الرحمة و سائر الخيرات

[203]

يا أحمد عليك بالورع فإن الورع رأس الدين و وسط الدين و آخر الدين إن الورع به يتقرب إلى الله تعالى.

يا أحمد إن الورع زين المؤمن و عماد الدين إن الورع مثله كمثل السفينة كما أن البحر لا ينجو إلا من كان فيها كذلك لا ينجو الزاهدون إلا بالورع.

يا أحمد ما عرفني عبد و خشع لي إلا خشع له كل شيء يا أحمد الورع يفتح على العبد أبواب العبادة فيكرم به العبد عند الخلق و يصل به إلى الله عز و جل.

يا أحمد عليك بالصمت فإن أعمر مجلس قلوب الصالحين و الصامتين و إن أخرب مجلس قلوب المتكلمين بما لا يعنيهم .

يا أحمد إن العبادة عشرة أجزاء تسعة منها طلب الحلال فإن أطيب مطعمك و مشربك فأنت في حفظي و كنفي قال يا رب ما أول العبادة قال أول العبادة الصمت و الصوم قال يا رب و ما ميراث الصوم قال الصوم يورث الحكمة و الحكمة تورث المعرفة و المعرفة تورث اليقين فإذا استيقن العبد لا يبالي كيف أصبح بعسر أم بيسر و إذا كان العبد في حالة الموت يقوم على رأسه ملائكة بيد كل ملك كأس من ماء الكوثر و كأس من الخمر يسقون روحه حتى تذهب سكرته و مرارته و يبشرونه بالبشارة العظمى و يقولون له طبت و طاب مثواك إنك تقدم على العزيز الكريم الحبيب القريب فتطير الروح من أيدي الملائكة فتصعد إلى الله تعالى في أسرع من طرفة عين و لا يبقى حجاب و لا ستر بينها و بين الله تعالى و الله عز و جل إليها مشتاق و يجلس على عين عند العرش ثم يقال لها كيف تركت الدنيا فيقول إلهي و عزتك و جلالك لا علم لي بالدنيا أنا منذ خلقتني خائف منك فيقول الله صدقت عبدي كنت بجسدك في الدنيا و روحك معي فأنت بعيني سرك و علانيتك سل أعطك و تمن علي فأكرمك هذه جنتي مباح فتبيح فتبحبح فيها و هذا جواري فأسكنه فيقول الروح إلهي عرفتني نفسك فاستغنيت بها عن جميع خلقك و عزتك و جلالك لو كان رضاك في أن أقطع إربا إربا و أقتل سبعين قتلة بأشد ما يقتل به الناس لكان رضاك أحب إلهي كيف أعجب بنفسي و أنا ذليل إن لم تكرمني و أنا مغلوب إن لم تنصرني و أنا

[204]

ضعيف إن لم تقويني و أنا ميت إن لم تحييني بذكرك و لو لا سترك لافتضحت أول مرة عصيتك إلهي كيف لا أطلب رضاك و قد أكملت عقلي حتى عرفتك و عرفت الحق من الباطل و الأمر من النهي و العلم من الجهل و النور من الظلمة فقال الله عز و جل و عزتي و جلالي لا أحجب بيني و بينك في وقت من الأوقات كذلك أفعل بأحبائي.

يا أحمد هل تدري أي عيش أهنى و أي حياة أبقى قال اللهم لا قال أما العيش الهنيء فهو الذي لا يفتر صاحبه عن ذكري و لا ينسى نعمتي و لا يجهل حقي يطلب رضاي ليله و نهاره و أما الحياة الباقية فهي التي يعمل لنفسه حتى تهون عليه الدنيا و تصغر في عينيه و تعظم الآخرة عنده و يؤثر هواي على هواه و يبتغي مرضاتي و يعظم حق عظمتي و يذكر علمي به و يراقبني بالليل و النهار عند كل سيئة و معصية و ينفي قلبه عن كل ما أكره و يبغض الشيطان و وساوسه لا يجعل لإبليس على قلبه سلطانا و سبيلا فإذا فعل ذلك أسكنت في قلبه حبا حتى أجعل قلبه لي و فراغه و اشتغاله و همه و حديثه من النعمة التي أنعمت بها على أهل محبتي من خلقي و أفتح عين قلبه و سمعه حتى يسمع بقلبه و ينظر بقلبه إلى جلالي و عظمتي و أضيق عليه الدنيا و أبغض إليه ما فيها من اللذات و أحذره من الدنيا و ما فيها كما يحذر الراعي غنمه من مراتع الهلكة فإذا كان هكذا يفر من الناس فرارا و ينقل من دار الفناء إلى دار البقاء و من دار الشيطان إلى دار الرحمن يا أحمد لأزينه بالهيبة و العظمة فهذا هو العيش الهنيء و الحياة الباقية و هذا مقام الراضين فمن عمل برضائي ألزمه ثلاث خصال أعرفه شكرا لا يخالطه الجهل و ذكرا لا يخالطه النسيان و محبة لا يؤثر على محبتي محبة المخلوقين فإذا أحبني أحببته و أفتح عين قلبه إلى جلالي فلا أخفي عليه خاصة خلقي فأناجيه في ظلم الليل و نور النهار حتى ينقطع حديثه من المخلوقين و مجالسته معهم و أسمعه كلامي و كلام ملائكتي و أعرفه السر الذي سترته عن خلقي و ألبسه الحياء حتى يستحي منه الخلق كلهم و يمشي على الأرض مغفورا له و أجعل قلبه واعيا و بصيرا و لا أخفي عليه شيء من جنة و لا نار و أعرفه بما يمر على الناس في يوم القيامة من الهول

[205]

و الشدة و ما أحاسب به الأغنياء و الفقراء و الجهال و العلماء و أنور له في قبره و أنزل عليه منكرا يسأله و لا يرى غم الموت و ظلمة القبر و اللحد و هول المطلع حتى أنصب له ميزانه و أنشر له ديوانه ثم أضع كتابه في يمينه فيقرأ منشورا ثم لا أجعل بيني و بينه ترجمانا فهذه صفات المحبين.

يا أحمد اجعل همك هما واحدا فاجعل لسانك واحدا و اجعل بدنك حيا لا تغفل أبدا من غفل عني لا أبالي بأي واد هلك يا أحمد استعمل عقلك قبل أن يذهب فمن استعمل عقله لا يخطئ و لا يطغى.

يا أحمد أنت لا تغفل أبدا من غفل عني لا أبالي بأي واد هلك.

يا أحمد هل تدري لأي شيء فضلتك على سائر الأنبياء قال اللهم لا قال باليقين و حسن الخلق و سخاوة النفس و رحمة بالخلق و كذلك أوتاد الأرض لم يكونوا أوتادا إلا بهذا.

يا أحمد إن العبد إذا جاع بطنه و حفظ لسانه علمته الحكمة و إن كان كافرا تكون حكمته حجة عليه و وبالا و إن كان مؤمنا تكون حكمته له نورا و برهانا و شفاء و رحمة فيعلم ما لم يكن يعلم و يبصر ما لم يكن يبصر فأول ما أبصره عيوب نفسه حتى يشغل بها عن عيوب غيره و أبصره دقائق العلم حتى لا يدخل عليه الشيطان.

يا أحمد ليس شيء من العبادة أحب إلي من الصمت و الصوم فمن صام و لم يحفظ لسانه كان كمن قام و لم يقرأ في صلاته فأعطيه أجر القيام و لم أعطه أجر العابدين.

يا أحمد هل تدري متى يكون لي العبد عابدا قال لا يا رب قال إذا اجتمع فيه سبع خصال ورع يحجزه عن المحارم و صمت يكفه عما لا يعنيه و خوف يزداد كل يوم من بكائه و حياء يستحي مني في الخلاء و أكل ما لا بد منه و يبغض الدنيا لبغضي لها و يحب الأخيار لحبي إياهم.

يا أحمد ليس كل من قال أحب الله أحبني حتى يأخذ قوتا و يلبس دونا و ينام سجودا و يطيل قياما و يلزم صمتا و يتوكل علي و يبكي كثيرا و يقل ضحكا و يخالف هواه و يتخذ المسجد بيتا و العلم صاحبا و الزهد جليسا و العلماء أحباء

[206]

و الفقراء رفقاء و يطلب رضاي و يفر من العاصين فرارا و يشغل بذكري اشتغالا و يكثر التسبيح دائما و يكون بالعهد صادقا و بالوعد وافيا و يكون قلبه طاهرا و في الصلاة ذاكيا و في الفرائض مجتهدا و قيما عندي من الثواب راغبا و من عذابي راهبا و لأحبائي قريبا و جليسا.

يا أحمد لو صلى العبد صلاة أهل السماء و الأرض و صام صيام أهل السماء و الأرض و طوى من الطعام مثل الملائكة و لبس لباس العاري ثم أرى في قلبه من حب الدنيا ذرة أو سمعتها أو رئاستها أو حليتها أو زينتها لا يجاورني في داري و لأنزعن من قلبه محبتي و عليك سلامي و محبتي .

تم الجزء الأول من كتاب إرشاد القلوب سنة 1398– هجرية و يليه الجزء الثاني الباب الخامس و الخمسون و الأخير و فيه فضائل

الإمام علي (ع) و مناقبه و غزواته